الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ
كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التّاريخ

الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التّاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
عبد الحفيظ موسم

إشراف الدكتور:
د. الطاهر جبلي

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	تلمسان	رئيسا
د. الطاهر جبلي	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د.بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	خميس مليانة	عضوا مناقشا
أ.د.محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. لحسن جاكر	أستاذ محاضر (أ)	معسكر	عضوا مناقشا
د. معمر العايب	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

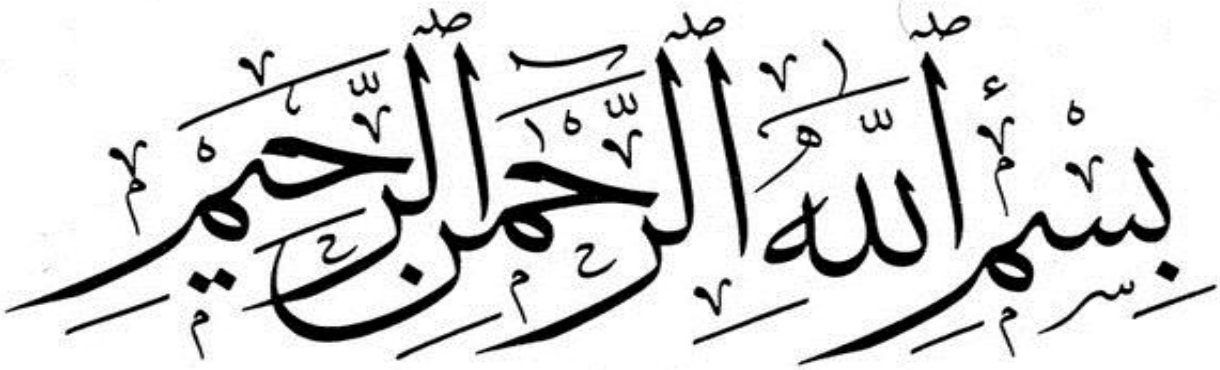
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين برّا وإحسانا

إلى جميع الأصدقاء والزملاء

إلى كلّ من قدّم لي يد العون والمساعدة

إلى كلّ طالب علم

إلى شهداء الثورتين الجزائرية والتونسية

أهدي ثمرة جهدي

شكر وعرفان

الحمد لله وحده أحمده وأشكره على ما رزقني به من نعم، وعلى توفيقه لي في إنجاز هذا البحث، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

أتقدّم بالشّكر أوفاه وأجزله، والفضل أكبره، والعرفان كلّه لأستاذي الفاضل الدكتور الطاهر جبلي الذي تفضّل بمهمّة الإشراف على هذه الأطروحة، فتابع معي خطوات العمل وأمدّني بتوجيهاته ونصائحه القيّمة التي دلّلت لي الكثير من الصّعوبات.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى جميع أساتذتي بقسم التّاريخ لجامعة تلمسان الذين تلقّيت عنهم أبجديات المنهجيّة والبحث التّاريخي العلمي الجادّ، ولزملائي الأساتذة في الوظيفة الذين تحمّلوا معي مشقّة البحث خاصّة الأستاذين دازي إسماعيل وزرق محمد، والأستاذ تلّي رفيق الذي أعانني كثيرا على البحث.

كما لا يسعني أن أتوجّه بأسمى عبارات الشّكر والامتنان إلى السّادة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرّفوني بقبول مناقشة هذه الأطروحة والحكم عليها.

والشّكر موصول إلى الأستاذين التونسيين عميرة عليّة الصغير وعبد المجيد الجمل، وإلى كل من قدّم لي عونا ومساعدة في سبيل إنجاز هذه الدّراسة.

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
ج	الجزء
(د.ت)	دون تاريخ
(د.م)	دون مكان
ص	الصفحة
ط	الطبعة
(م.ت.ب.ع.م)	مؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات
(م.ع.ت.ح.و.ت)	المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية

LISTE DES ABREVIATIONS

ANEP	*Agence national d'édition et de Publicité*
ANT	*Archives nationales de la Tunisie*
CMMC	*centre de la méditerranée moderne et contemporaine*
CNRS	*Centre national de recherches scientifiques*
CJB	*Centre jacques Berque*
D	*Dossier*
ENAG	*Enterprise nationale des arts graphiques*
ENAL	*Enterprise nationale du livre*
ED	*Editions*
F	*Folio*
FTRSI	*Fondation Temimi pour la Recherche scientifique et l'information*
ISHMN	*Institut supérieur d'histoire du mouvement national*
MIP	*La Maghrébine d'impression et de publicité*
MC	*Media Com*
NF	*Non folioté*
P	*page*
S D	*Sans date*
SHAT	*Service historique de L'armée de terre*
SL	*Sans lieu*

المقدمة

تعرّضت الجزائر وتونس للاستعمار الأوروبي الحديث، حيث احتلّت فرنسا الجزائر عام 1830، ثم فرضت حمايتها على تونس عام 1881، وأصبحتا بذلك خاضعتين لنظام استعماري قائم على أساس إلغاء الحقوق الوطنية لكلّ واحدة منهما، ففي الجزائر قضى الاستعمار الفرنسي على نظامها السيّاسي بشكل نهائي، حين أعلن بمقتضى المرسوم الملكي الصّادر في يوم 22 جويلية 1834، أنّ الجزائر جزء من الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا. وفي تونس تمّ وضع النّظام السيّاسي بمقتضى مضمون معاهدة الحماية تحت تصرّف المقيم العام الفرنسي الذي جرّد بايات تونس من سيّادتهم على الدولة التونسيّة، ولم يترك لهم إلا سيّادة جزئية.

ولم يقف مشروع نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس عند حدود الاستلاب السيّاسي والاقتصادي فحسب، بل تعدّاه إلى استهداف الإنسان الجزائري والتونسي في هويّتهما ومقوّماتهما الشّخصيّة، حين مارس الاستعمار مختلف أشكال العنف والاضطهاد في حقّ أبناء هذين البلدين، معتمدًا في ذلك على سيّاسة الإبادة الجماعيّة القائمة على التّقتيل والتّشريد والنّفي، وسيّاسة التّشجيع على الاستيطان لأجل ضمان استمراره بالأراضي الجزائرية والتونسية.

وكردّ فعل على الاستعمار الفرنسي في هذين البلدين، قام الشعبان الجزائري والتونسي خلال المراحل الأولى للاحتلال، بالاعتماد على الكفاح المسلّح كوسيلة للدّفاع والمواجهة بعد أن دنّست أقدام الاستعمار الفرنسي أراضي الجزائر وتونس، ثم تغيّر أسلوب النّضال مع مطلع القرن العشرين بسبب عدم تكافؤ القوى والإمكانيّات العسكرية، ليتّخذ نهج الكفاح السيّاسي كأسلوب جديد للنّضال إلى غاية اندلا ع الثورة المسلّحة في تونس سنة 1952، وفي الجزائر سنة 1954.

ونظرا لعاملي الجوار الجغرافي وقدم العلاقات التّاريخية والبشرية بين البلدين، فقد حفل كفاحهما ضدّ الاستعمار الفرنسي بكثير من مظاهر التّضامن والتآزر، حيث برز التّنسيق النّضالي واضحا بينهما منذ الوهلة الأولى للاحتلال، ويتّضح ذلك من خلال سعيهما إلى الدّفاع المشترك عن حريّة وكرامة الإنسان الجزائري والتونسي. كما بلغ التّضامن التونسي الجزائري أوجّه خلال مرحلة الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) التي استطاعت بفضل قوّتها وامتداد تأثيرها إلى داخل تونس، أن تجعل الشعب التونسي معني بأحداثها من يوم اندلاعها إلى غاية تحقيق الاستقلال.

وبحكم دراستي لموضوع العلاقات التونسية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية، في إطار المذكّرة التي أعددتها لنيل شهادة الماستر: بعنوان "الدّعم التونسي للثورة الجزائرية 1954-1962"، فإنّني ارتأيت بدافع الفضول العلمي مواصلة البحث في نفس الموضوع المتعلّق بالعلاقات التونسية الجزائرية خلال الثورة التحريرية، من خلال التطرّق في هذه الأطروحة إلى دراسة متخصّصة عن سابقتها، موضوعها "**الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية**".

فخلال الأشهر الأولى لاندلا ع الثورة الجزائرية، كانت هنالك مفاوضات جاريّة بين الحكومتين التونسية والفرنسيّة، وهي المفاوضات التي انتهت بالتّوقيع على اتّفاقيات الحكم الذّاتي في تونس بتاريخ 03 جوان 1955، مُحدثة بذلك انقسامًا كبيرًا في صفوف الدستوريين التونسيين، خاصّة بعدما أعلن الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي الزّعيم "صالح بن يوسف" عن معارضته لمضمونها معتبرًا إيّاها "خطوة للوراء". وضمّ إليه بعد توضيحه لأهمّ التّجاوزات التي تضمّنتها تلك الاتّفاقيّات، عدّة تيّارات فكريّة وأحزاب سيّاسيّة ومنظّمات نقابيّة ذات ثقل سيّاسي كبير في تونس، فمنذ ذلك الحين ظهرت "الحركة اليوسفية" في تونس لتعبّر عن رفضها القاطع للاستقلال الذّاتي، مُعلنة استئنافها للكفاح المسلّح بجانب الثورة الجزائرية إلى غاية التخلّص التّام من السّيطرة الأجنبية في نطاق مغرب عربي محرّرة أجزاؤه الثلاثة تحريرًا كاملا يضمن دوامه باستمرار.

ولأجل التعرّف على طبيعة الحركة اليوسفية وعلاقتها بالثورة الجزائرية، قمت باختيّار موضوع "**الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية**" لما له من أهميّة كبيرة بالنّسبة لتاريخ الشعبين الجزائري والتونسي، إذ أنّ البحث فيه يصوّر لنا جانبا مهمّا من الملحمة التونسيّة الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، كما يكشف لنا عن روح التّضامن والتّعاون بين التيّار الوطني الثوري الوحدوي في تونس والثوّار الجزائريين، هذا فضلا على أهميّته في توضيح الحقائق التّاريخية المتعلّقة بتطوّر الحركة اليوسفية ومصيرها.

ولا أنكر أنّ اختيّاري لهذا الموضوع كان بدافع القناعة الشّخصيّة بحكم تأثير مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعيّة التي شدّتني إلى البحث فيه، فمن الناحيّة الذاتية لديّ رغبة خاصّة للبحث في مثل هذا النوع من المواضيع التي تتّسم بميزة خاصّة في إطار العلاقات الدولية التي يلعب فيها التّاريخ والجغرافيا دورًا بارزًا، لاسيّما عندما يتعلّق الأمر بالجزائر وتونس الشقيقة، ذلك الجار الذي تربطه بالجزائر أواصر الأخوّة الضّاربة بجذورها في أعماق التّاريخ.

ومن النّاحية الموضوعيّة هناك أسباب كثيرة قادتني إلى البحث في هذا الموضوع، أذكر منها:

- الدّافع العلمي بحكم التخصّص في مجال التّاريخ الحديث والمعاصر، حيث توقّفت في الكثير من المرّات عند أحداث ووقائع لها علاقة وطيدة بالوحدة المغاربية أثناء فترة الكفاح الوطني سيّاسيا وعسكريا، وتبيّن لي من خلال ما اطّلعت عليه إمكانيّة تحقيق حلم مشروع الوحدة المغاربية لولا تطرّف البعض ووقوفهم حجرة عثرة في طريق هذا المشروع، تحت مبرّرات واهيّة حالت دون تحقيق ذلك الانجاز الذي كان من الممكن أن يضمن مكاسب هامّة وإيجابية للمجتمع المغاربي، ومن ثمّة تولّدت لديّ رغبة البحث في هذا الموضوع لمعرفة مدى نجاحه وإخفاقه في سبيل تحقيق حلم الوحدة المغاربيّة.
- المساهمة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، من منطلق مفاده أنّني أرى أنّ تاريخها لا يزال يحتاج إلى مزيد من الدّراسات المعمّقة التي تتطلّب الاطلاع على المصادر التّاريخية الأساسيّة.
- محاولة إبراز مدى قدرة الثورة الجزائرية على ربط العلاقات الأخويّة مع دوّل الجوار، وتوظيفها لخدمة مشروع الكفاح التحرّري ضدّ الاستعمار.
- إبراز قوّة الثورة الجزائرية وتفنيد الطّرح الاستعماري الذي حاول إبعاد الجزائر عن أشقّائها المغاربة وفصلها عن انتمائها الحضاري.
- جدّية الموضوع لتناوله روح التّضامن المغاربي في سبيل الحرّية والاستقلال.
- الإلمام بالدّور الكبير الذي قام به التيّار الوطني الوحدوي بتونس -تحت قيّادة صالح بن يوسف- في نُصرة الثورة الجزائرية، من خلال الإحاطة بأهمّ مظاهر الدّعم والمساندة التي قدّمها اليوسفيون للثورة الجزائرية.
- محاولة تحديد النتائج والآثار التي ترتّبت عن تأييد التيّار الوطني الوحدوي بتونس لكفاح الجزائريين.

أمّا فيما يخصّ الإشكالية التي تعالجها هذه الأطروحة، فهي مرتبطة أساسًا بالبحث في العلاقة القائمة بين الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية أثناء مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس. ولتوضيح حدود هذه الإشكالية أكثر يمكن طرح التّساؤلات التّالية:

- ما هي الجذور التّاريخية لظهور الحركة اليوسفية ؟.
- ما هي طبيعة وحقيقة الحركة اليوسفية ؟.
- لماذا ارتبط اسمها بصالح بن يوسف ؟.
- ما هو المجال الجغرافي للحركة اليوسفية ؟.

- كيف استطاع بن يوسف أن يكسب شرائح هامّة من المجتمع التونسي إلى صفّ اليوسفيين ؟.
- ما هي أهمّ التيّارات التي أعلنت ولاءها للحركة اليوسفية ؟.
- ما موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية ؟.
- ما هي الاستراتيجية المعتمدة في تنسيق النّضال بين مقاومي اليوسفية والثوّار الجزائريين ؟.
- فيما تمثّلت مظاهر دعم اليوسفيين للثورة الجزائرية ؟.
- ما الذي كان يسعى إليه اليوسفيون من وراء تحالفهم مع الثورة الجزائرية ؟.
- كيف كان موقف النّظام البورقيبي من التّنسيق القائم بين اليوسفيين وثوّار الجزائر ؟.
- كيف كان موقف السّلطات الاستعمارية الفرنسية من التّنسيق بين مقاومي اليوسفية والثوّار الجزائريين ؟.
- ألم يؤثر موقف اليوسفيين من الثورة الجزائرية على علاقة النّظام البورقيبي بالسّلطات الاستعمارية ؟.

وفي محاولة مني للإجابة على هذه التّساؤلات، قُمت بناءً على ما توصّلت إليه من مادّة علميّة بإعداد خطّة (مشروع بحث)، تضمّنت مقدّمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول، وخاتمة متبوعة بمجموعة من الملاحق التي تحتوي على بعض الوثائق الأرشيفية والنّصوص والخطابات التي قمت بتسجيلها من الصّحافة التونسية، هذا بالإضافة إلى ترجمة الأعلام المحورية في موضوع البحث، وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

فبالنّسبة للمقدّمة، فإنّني تطرّقت فيها إلى التّعريف بالموضوع مع إبراز أهمّيته وأسباب اختيّاره، موضّحا فيها إشكاليّة البحث الرّئيسية والتّساؤلات الفرعيّة المرتبطة بها. كما استعرضت فيها خطّة الموضوع بشكل عام، وحدّدت فيها المناهج المعتمدة في الدّراسة، ثم تعرّضت إلى نقد أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه الأطروحة، مُشيرًا في النّهاية إلى بعض الصّعوبات التي اعترضتني أثناء فترة البحث.

وفي الفصل التّمهيدي تطرّقت بنظرة عامّة إلى العلاقات السيّاسية بين الجزائر وتونس قبل الثورة التحريرية الجزائرية، مُستهلا الحديث في ذلك بذكر أهمّ المقوّمات الأساسيّة للتّواصل بينهما، حيث تناولت العلاقات بين هذين القطرين خلال مرحلتي الاحتلال والمقاومة، ثم انتقلت إلى الحديث عن العلاقات القائمة بينهما خلال مرحلة النّضال السيّاسي، وخصّصت فيه عنصرا للحديث عن

العلاقات التي تجسّدت بين الجزائر وتونس ضمن النّضال المغاربي المشترك، من خلال الإشارة إلى أهمّ المحطّات التّاريخية المهمّة لنضال المغاربة (الجزائر، تونس، المغرب) ضدّ الاستعمار الفرنسي .

وبحثت عن الخلفيّات التّاريخية لظهور الحركة اليوسفية في الفصل الأوّل من هذا البحث، من خلال التطرّق إلى أهمّ الخلافات التي نشبت بين قيّادة الدستوريين التونسيين داخل وخارج تونس، مشيرا إلى تطوّر الخلاف بين هؤلاء الدستوريين التونسيين بسبب تباين مواقفهم حول استراتيجيّات العمل النّضالي، وانعكاساته على وحدة الدستوريين. كما تحدثت في نهاية هذا الفصل عن الخلاف الذي حدث بين قيّادة الحزب الدستوري التونسي بعد التّوقيع على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس في 03 جوان 1955، مبيّنا أثره المباشر في ميلاد الحركة اليوسفية كحركة معارضة للحكم الذّاتي بتونس.

وخصّصت الفصل الثاني للحديث عن طبيعة الحركة اليوسفية وتطوّرها، محاولا بذلك تحديد مفهوم الحركة اليوسفية وإبراز بعدها القومي العربي مع تفسير ارتباط اسمها بشخصيّة بن يوسف. وفيه أيضا استعرضت المجال الجغرافي للحركة اليوسفية في تونس، بتوضيح مختلف المناطق التي تواجدت بها الشُّعب اليوسفية. كما تطرّقت في نهايته إلى الاستراتيجية التي اعتمدها بن يوسف في حشد الأنصار، مُبرزا في ذلك أهمّ القوى والتيّارات التي أعلنت عن ولائها للحركة اليوسفية.

أمّا في ما يخصّ الفصل الثالث من هذه الأطروحة، والذي يمكن اعتباره جوهر موضوع الدّراسة، فإنّني تطرّقت فيه بنوع من التّفصيل إلى علاقة الحركة اليوسفية بالثورة الجزائرية، من خلال الإشارة إلى أسباب ودوافع اهتمام اليوسفيين بالخيار العسكري، وخلفيّة البعد الثوري الوحدوي للزّعيم صالح بن يوسف. كما وضّحت فيه موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية، وجهود بن يوسف في توحيد الكفاح مع الجزائريين. وفيه أيضا تحدثت عن علاقة جيش التّحرير الوطني التونسي بالثورة الجزائرية، من خلال التّعرف على نشأة وأهداف جيش التّحرير الوطني التونسي، مع إبراز مظاهر التّنسيق القائمة بينه وبين جيش التّحرير الوطني الجزائري. وفي نهاية هذا الفصل، تحدثت عن مظاهر دعم اليوسفيين للثورة الجزائرية من خلال التطرّق إلى أهم المقاومين اليوسفيين الذين شاركوا فيها، مع الإشارة إلى دورهم الميداني في تهريب الأسلحة وإيصالها إلى الجزائر.

وفي الفصل الرّابع والأخير، تحدثت عن استراتيجية التّحالف البورقيبي الفرنسي في القضاء على الحركة اليوسفية وعزلها عن الثورة الجزائرية، من خلال التعرّف على أهمّ الأطراف المعادية للحركة اليوسفية، وإبراز طبيعة وأهداف العلاقة القائمة فيما بينها. ثم تطرّقت إلى الاستراتيجية المعتمدة من طرف هذه الأطراف في القضاء على اليوسفيين وإفشال تنسيقهم مع الثوّار الجزائريين. وفي نهاية هذا الفصل قدّمت قراءة عامّة حول موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية.

لقد أنهيت موضوع الأطروحة بخاتمة ضمّنتها مجموعة من النّتائج التي توصّلت إليها أثناء فترة البحث، محاولا الإجابة فيها عن التّساؤلات المطروحة في المقدّمة في شكل خلاصات واستنتاجات.

وتدعيما لما ورد في هذه الأطروحة من معلومات، فإنّني حرصت على توثيقها بمجموعة من الملاحق ذات الاتصال الوثيق بموضوع الدّراسة، وهي في مجملها عبارة عن نماذج لبعض الوثائق (وثائق أرشيفية، خطابات صحفية، مراسلات...) كشواهد وأدلة ماديّة على صحّة ما ورد في البحث.

وبناء على هذه الخطّة، ومن أجل الإلمام بكلّ الجوانب المختلفة لهذا الموضوع، وفي محاولة منّي للإجابة على التّساؤلات التي أثرتها، فإنّي اعتمدت في معالجة مضمون هذه الأطروحة على المنهج التّاريخي في تحليل الحوادث والوقائع التّاريخية ومناقشتها، ونقدها وربطها ببعضها البعض لأجل تقديم مقاربة واقعيّة لها.

أما فيما يخصّ قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث، فهي كثيرة ومتنوّعة ومتداخلة، ولا يسعني المجال لإحصائها في المقدّمة، لذلك فإنّني سأركّز في هذا المقام على نقد الأهمّ منها:

1- الوثائق الأرشيفية:

باعتبار الأرشيف هو المصدر الأوّل والأساسي لأيّ دراسة من الدّراسات التّاريخية، فإنّني اعتمدت في إنجاز هذه الأطروحة على مجموعة من الوثائق الأرشيفية (مراسلات، تقارير، خطابات، صحفية...)، التي أتيحت لي فرصة الإطلاع عليها أثناء زيّارتي لمركز الأرشيف الوطني التونسي، والمعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق التي أفادني بها بعض الباحثين التونسيين على غرار الباحث عميرة عليّة الصغير والدكتور عبد المجيد الجمل. ومن أهم الوثائق التي استندت إليها بدرجة كبيرة في توثيق البحث أذكر:

- التّقارير والملاحظات والقصاصات الصّحفية المتعلّقة بالخلاف السيّاسي بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، وهي عبارة عن وثائق مصنّفة بمركز الأرشيف الوطني التونسي ضمن سلسلة الحركة الوطنية التونسية، في الصندوق رقم 61 (الملفّ رقم 05)، التي كشفت في مضمونها عن تصريحات وخطابات قادة الحركة اليوسفية الدّاعية إلى رفض الحكم الذاتي بتونس ومواصلة الكفاح المسلّح بجانب الجزائريين إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام.

- بعض التّقارير المتعلّقة بالنّشاط السيّاسي في البلاد التونسية، التّابعة لوزارة الخارجية الفرنسية، والمصنّفة بمركز الأرشيف الوطني التونسي ضمن سلسلة المراسلات السيّاسية والتّجارية، التي تلمّح في مضمونها إلى أهمّ الزيّارات التي كان يقوم بها الزّعيمان بورقيبة وبن يوسف إلى مختلف المناطق التونسية لتعبئة وحشد الجماهير التونسية.

- التّقارير التّابعة للمصلحة التّاريخية لجيش البرّ الفرنسي (S.H.A.T)، التي أمدّني بها الأستاذان: عميرة عليّة الصغير وعبد المجيد الجمل (من تونس). والتي مكّنتني في مجملها من رصد مظاهر التّنسيق القائمة بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري، من خلال إشاراتها إلى تحرّكات ونشاط الفرق العسكرية المشتركة بين هذين الجيشين.

2- الشهادات الحيّة:

أفادتني كثيرا في موضوع البحث، وهي متنوّعة وعديدة، منها التّسجيلات الشفوية والشّهادات المكتوبة. فبالنّسبة للتّسجيلات الشّفوية، فإنّني تمكّنت من الاستماع لعدد هامّ منها بالمعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، أذكر منها على سبيل المثال شهادة المقاوم الطّاهر لسود الذي كشف في حديثه عن عدّة جوانب مهمّة عن علاقاته بالثوّار الجزائريين وبزعيم المعارضة التونسية "صالح بن يوسف". وشهادة المناضل حسين التريكي الذي تحدّث هو الآخر عن علاقة الحركة اليوسفية بالثورة التحريرية الجزائرية، ملمّحا في شهادته إلى أهمّ الأسباب التي دفعت بأشهر قادة الكفاح المسلّح بتونس إلى التخلّي عن صالح بن يوسف بعد الاستقلال التونسي. هذا بالإضافة إلى مجموعة من التّسجيلات الأخرى التي مكّنتني من الوقوف على بعض الحقائق التّاريخية المهمّة ذات الصّلة المباشرة بموضوع البحث، مثل شهادة كلّ من المقاوم محمد الصّالح كعفار وحمّادي غرس، وعبد الرّحمن بوغزالة ومحمد بن فرج بن عمّار السبوعي...الخ.

كما كنت حريصا أيضا على الاستفادة من الشّهادات المكتوبة، من ذلك مثلا شهادة المقاوم عبد الستّار الهاني حول "ملف الخلاف اليوسفي البورقيبي" المنشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة. وشهادة المقاوم بشير القاضي حول "المسيّرون المغاربة. الاتّفاق والاختلاف" المنشورة ضمن أعمال ملتقى مؤسّسة محمد بوضياف حول "جيش تحرير المغرب العربي 1948-1955" المنعقد بالجزائر يومي 11-12 ماي 2001، وكذالك شهادة المناضل أحمد مهساس المنشورة بجريد الخبر الجزائرية ليوم الاثنين 02 مارس 2013. هذا فضلا على شهادات العديد من المقاومين التونسيين من أمثال عبد المجيد رزق الله وحسين الباش ومحمد بن الطيب إدريس وغيرهم من الوطنيين الذين حاورهم الباحث عبد الحميد العلاني، وجمع شهاداتهم ضمن مؤلّفه المعنون بـ "لم يناموا على الذّل، شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين في تونس والقيروان والسّاحل".

3- المذكّرات الشخصية:

اعتمدت في موضوع البحث على مجموعة من المذكّرات الشخصية الجزائرية والتونسية، التي كانت على قدر كبير من الأهمية في التعرّف على عدّة جوانب من موضوع البحث، من ذلك مثلا "مذكّرات الرّائد عثمان سعدي بن الحاج" التي أشاد في صفحاتها بالدّور المتميّز للوطنيين التونسيين من دعاة الكفاح المسلّح في حركة تحرير الجزائر وتونس. ومذكّرات علي المعاوي "ذكريات وخواطر"، وعبد الله العبعاب "شهادة للتّاريخ" التي كشفت في فصولها عن أحداث الصّراع اليوسفي البورقيبي في تونس ملمّحة في ذلك إلى علاقات اليوسفيين بقادة الثورة الجزائرية. هذا فضلا على مذكّرات المقاوم التونسي عبد القادر السمعلي "مذكّرات مقاوم" التي تحدث فيها بالتّفصيل عن تجربته مع جيش التّحرير الوطني التونسي، مُشيرا في ذلك إلى العلاقات التي كانت قائمة بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري.

4- الجرائد:

لقد استفدت كثيرا من الصّحف والجرائد التي كانت تختصّ برصد مجريات الأحداث التّاريخية المتعلّقة بنضال المغاربة ضدّ الاستعمار الفرنسي ونقلها إلى الرّأي العام العالمي، وأخصّ بالذّكر جريدة الصّباح، الزّهرة، البلاغ ...، التي أُتيحت لي فرصة الاطّلاع على عدّة أعداد منها بمركز الأرشيف الوطني التونسي، والتي مكّنتني من تتبّع دور الوطنيين التونسيين من أنصار الكفاح المسلّح في حركة

تحرير تونس والجزائر، من خلال إشارتها إلى تلك اللّقاءات والخطابات التي كان لها دور هامّ في شحن أبناء البلدين وتجنيدهم خلف مشروع الكفاح المشترك.

5- الكتب العربية:

كانت درجة الاستفادة من الكتب المعتمدة كمصادر ومراجع للبحث متفاوتة من كتاب إلى آخر، ومن أهمّ الكتب التي استفدت منها بدرجة كبيرة أذكر: كتاب عبد الله الطّاهر المعنون بـ"الحركة الوطنية التونسية. رؤية شعبيّة قوميّة جديدة" الذي احتوى في مضمونه على تفاصيل مهمّة عن المعارضة اليوسفية التي كان يتزعّمها صالح بن يوسف، من خلال الإشارة إلى أهدافها وعلاقاتها بالثورة التحريرية الجزائرية. وكذلك كتاب فتحي الديب الموسوم بـ"عبد النّاصر وثورة الجزائر"، الذي أشار فيه بنوع من التّفصيل إلى تلك التحرّكات التي كانت تتمّ بين أنصار صالح بن يوسف وقادة الثورة الجزائرية بهدف تنسيق وتوحيد النّضال فيما بينهم. كما أفادتني كتابات كلّ من الباحث عميرة عليّة الصغير "اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي"، والباحثة عروسية التركي "الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)" في تغطيّة بعض الجوانب المهمّة من موضوع البحث.

6- الرّسائل والأطروحات الجامعية:

اعتمدت في إعداد هذا البحث على قائمة متنوّعة من الرّسائل والأطروحات الجامعية بما فيها الماجستير والدكتوراه والدّراسات المتعمّقة في البحث التي لها علاقة مباشرة بصلب موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية. والملاحظ حول هذه الدّراسات خصوصا التونسية منها، هو أنها قد تناولت في جوهرها معلومات ثرية عن الحركة اليوسفية مركّزة في ذلك على أحداث الصّراع اليوسفي البورقيبي بتونس، دون التطرّق باهتمام إلى علاقات اليوسفيين بدعاة الكفاح المسلّح على المستوى الخارجي. وأذكر منها على سبيل المثال: دراسة الباحث محسن الخميري الموسومة بـ" الحركة اليوسفية. مجالها وحدودها 1955-1961" (دراسة التعمّق في البحث)، التي اكتفى فيها بتقديم بعض الحقائق المهمّة عن الحركة اليوسفية على المستوى التونسي (الدّاخلي) وفقط. ولعلّ من أهم الدّراسات التي أشارت في مضمونها إلى علاقة اليوسفيين بغيرهم من الوطنيين الثوريين المغاربة، نجد رسالة رضا ميموني حول "دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال" (رسالة ماجستير) التي أفادتني كثيرا في التعرّف على بعض الحقائق المتعلّقة بالبحث،

باعتبار أنّها كانت بمثابة الدّليل الموجّه إلى البحث في بعض المصادر المهمّة بالنّظر إلى القائمة الببليوغرافية الثرية التي احتوت عليها.

7- المؤلفات باللّغة الأجنبية :

في إطار البحث لجأت إلى بعض الكتب المؤلّفة باللّغة الفرنسية، وهي عديدة ومتنوعة ومتفاوتة من حيث الأهمية، أذكر منها على سبيل المثال: كتاب الباهي الأدغم "مراسلات" (correspondances)، الذي مكنّني من الاطّلاع على مضمون المراسلات التي كانت تتمّ بين الوطنيين التونسيين خلال الفترة الممتدة من 1952 إلى غاية أواخر 1955، بما في ذلك الرّسائل التي كان يبعث بها بن يوسف إلى بعض الدستوريين التونسيين. وكذلك بحث محمد الوالدي حول (l'orage des indépendance Salah ben Youssouf et les youssefiste)، الذي يحتوي على بعض الحقائق التّاريخية التي ترتبط مباشرة بموضوع البحث.

وقبل أن أنتهي إلى تقديم كلمة شكر إلى كلّ من قدّم لي يد العون والمساعدة أثناء فترة البحث، بودّي أن أشير إلى أهمّ الصّعوبات التي اعترضتني في إعداد هذه الأطروحة، والتي يمكن إيجازها في ما يلي:

- صعوبة موضوع البحث وحساسيّته. فموضوع اليوسفية لا يزال إلى يومنا هذا من المواضيع الأكثر حساسيّة في تونس، بدليل عزوف العديد من الشّخصيات التونسية عن الحديث فيه، معتبرين إيّاه من أصعب فترات تاريخ تونس المعاصر بحكم ما ترتّب عنه من تصفيّات بين الوطنيين التونسيين. وأذكر هنا أنّني حاولت مرارا وتكرارا أثناء زيّاراتي إلى تونس، وبإعانة من بعض الباحثين التونسيين، أن أنظّم بعض اللّقاءات الشّخصية مع عدد من المجاهدين التونسيين ممن عايشوا الأحداث التّاريخية المتعلّقة بموضوع البحث، غير أنّ هؤلاء المجاهدين اعتذروا لي عن الحديث في هذا الموضوع، مفضّلين بذلك الحديث عن دور الحكومة التونسية على عهد بورقيبة في الثورة الجزائرية.

- الاطار الزماني للحركة اليوسفية كحركة معارضة بتونس قصير جدّا، لا تزيد مدّته عن عشرة أشهر (جوان 1955 إلى مارس 1956). وحتى المصادر التّاريخية لم تتحدث كثيرا عن هذه الفترة باعتبار أن تونس قد شهدت خلالها تصفيّات كثيرة في صفوف الدستوريين التونسيين.

- لم تسمح لي إدارة مركز الأرشيف الوطني التونسي بالاطلاع على وثائق الكفاح المسلّح التونسي، خصوصا بعض الوثائق المتعلّقة بنشاط الزعيمين بورقيبة وبن يوسف خلال الفترة الممتدة من 1952 إلى 1956، على الرّغم من وجودها ضمن فهرس الوثائق .

– ندرة الوسائل المادّية المتاحة أمام الباحث وعناء اللّجوء إلى ترجمة الكتابات الأجنبية.

– صعوبة التنقّلات التي قمت بها إلى كلّ من تونس والجزائر العاصمة عدّة مرّات من حيث التّكاليف المادّية التي كانت على حسابي الشّخصي منذ بداية البحث إلى نهايته.

إنّ هذه الصّعوبات التي اعترضتني لم تثن عزيمتي عن البحث في هذا الموضوع، بل على العكس من ذلك، فإنّني بذلت قصارى جهدي إلى أن تمكّنت بفضل من المولى عزّ وجل، وبتشجيع دائم من الأستاذ المشرف الدكتور جبلي الطّاهر من إنجاز هذه الأطروحة، آملا بذلك في تسجيل الحقيقة التّاريخية بشيء من الحيّاد والعلميّة.

وفي الختام أتقدّم بخالص الشّكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور جبلي الطّاهر، الذي أفادني كثيرا بتوجيهاته القيّمة أثناء مرحلة البحث، كما أشكر كلّ من قدّم لي عونا في سبيل إعداد هذه الدّراسة، وأخصّ بالذكر الأستاذين الباحثين التونسيين: عميرة عليّة الصغير وعبد المجيد الجمل. وأشكر أيضا أساتذتي المحترمين والسّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضّلوا بقراءة ومناقشة البحث، وزملائي في الوظيفة الذين تحمّلوا معي مشقّة البحث، فلهم مني أسمى عبارات التّقدير والاحترام.

عبد الحفيظ موسم

تلمسان يوم 15 أكتوبر 2015.

الفصل التمهيدي

العلاقات السّياسية بين الجزائر وتونس قبيل الثورة الجزائرية (نظرة عامّة)

1- المقوّمات الأساسيّة للتّواصل بين القطرين الجزائري والتونسي.

2- العلاقات الجزائرية التونسية خلال مرحلتي الاحتلال والمقاومة.

3- العلاقات الجزائرية التونسية أثناء مرحلة النّضال السيّاسي.

4- العلاقات الجزائرية التونسية من خلال النّضال المغاربي المشترك.

إنّ الدّارس للتّاريخ المغاربي، سيلاحظ عراقة العلاقات الجزائرية التونسية التي تم نسجها عبر التّاريخ المشترك، منذ قرطاج مرورا بنوميديا ووصولا إلى الفتوحات الإسلامية التي وطّدت أسسها وأعطتها نفسًا وبعدًا جديدين، حيث انصهرت هذه العلاقات المشتركة في البوتقة العربية الإسلامية، ثم واصلت الدّولة الموحّدية والخلافة العثمانية هذه السيّاسة فيما بعد[1]. ولما احتلّ الاستعمار الفرنسي الأراضي الجزائرية سنة 1830 والتونسية سنة 1881، حاول فصم عرى هذه الأخوّة التي تجذّرت كثيرا كردّ فعل على الاحتلال الفرنسي لهذه المناطق، لكنّه واجه تماسكًا وترابطًا وطيدين بينهما منذ الوهلة الأولى للاحتلال[2].

I- المقوّمات الأساسيّة للتّواصل بين القطرين الجزائري والتونسي.

إنّ التّواصل بين تونس والجزائر لم ينقطع عبر مختلف عصور التّاريخ، إذ أنّ هنالك مجموعة من الدّوافع والأسباب التي ساهمت في تنامي العلاقات الجزائرية التونسية، وزادت في تقارب أبناء هذين البلدين بعد أن يسّرت لهما أسباب التّواصل وعوامل تبادل المصالح على فترات مختلفة من التّاريخ.

فمن خلال الأرضيّة الجغرافيّة لتونس والجزائر، يتّضح لنا أنّهما إقليمان متجاوران، يشكّلان معًا كتلة جغرافية متناسقة ذات خصائص متماثلة ومتشابكة، يكاد لا يفصل بينهما أيّ حاجز طبيعي حصين. وكلّ ما عرفته هذه المنطقة من تقسيمات سيّاسية منفصلة في بعض فترات التّاريخ، إنّما هو إجراء اصطناعي باعتبار أنّ الطّبيعة الجغرافية متّصلة الحلقات، والسّلاسل الجبليّة متشابهة الميزات[3]. ويتجلّى التّجانس بينهما أيضا في كثير من المقوّمات الطّبيعية، إذ أنّ كلاهما يتمتّع بمناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصّحراوي، كما تتميّز تضاريسهما عمومًا بوجود سلسلتين جبليّتين في شمال الصّحراء، هما سلسلة الأطلس التلّي وسلسلة الأطلس الصّحراوي، اللّتان تنفصلان بواسطة السّهول

[1] – علي المحجوبي، العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلّف فاستعمار فمقاومة)، ط1 ، دار محمد علي للنّشر، تونس، 2009، ص 145.

[2] – نور الدّين الدّقي، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، دار سراس للنّشر، تونس، 1997، ص 49 .

[3] – محمد المكّي النّاصري، وحدة المغرب العربي في ظلّ الإسلام، مجلّة الثقافة، العدد 15، وزارة الثقافة والاعلام والاتصال، الجزائر، جويلية 1973، ص ص 195 . 199 (بتصرّف) .

الدّاخلية كالسّهول العليا في الجزائر والسّهول الشمالية في تونس، وتتشّكل المرتفعات في تونس كما في الجزائر نتيجة التقاء هاتين السّلستين مع بعضهما البعض[1].

ومن النّاحية الحضاريّة، يمكننا القول أنّ انضمام تونس والجزائر إلى حظيرة الأمّة العربيّة، وانتشار الدّين الإسلامي والثّقافة العربيّة بهما، قد أدّى إلى صبغهما بالصّبغة العربيّة الإسلاميّة، حيث ظلّ الدّين الإسلامي على مرّ التطوّر التّاريخي لهذين القطرين أهمّ عامل في توحيد الشّعبين التونسي والجزائري، خاصّة بعدما استطاع أن يصبّ كل جماعاتهم في كتلة موحّدة ومتجانسة[2]. وإذا كان الدّين الإسلامي قد جمع بين أبناء البلدين في العقيدة ومظاهرها، فإنّ اللّغة العربيّة استطاعت هي الأخرى أن توحّد بينهما في الثقافة ومعالمها، ذلك أنها كانت أداة للتّفكير والنّضال وواسطة لنقل الأفكار وتبادل المكتسبات، الأمر الذي جعل الشّعبين التونسي والجزائري يشعران دائما أنهم أبناء أمّة واحدة[3].

وممّا لا شك فيه ، أنّ وحدة القطرين في الدّين واللّغة، قد نتج عنها أيضا وحدتهما في العادات والتّقاليد، لأنّ الدّين الإسلامي واللّغة العربيّة كان لهما دورٌ كبير في صهر كل المقوّمات الأخرى واستيعابها بصورة تركيبيّة، وبهما ارتبطت ثقافة البلدين وطقوسهما اليوميّة[4]. ويمكننا توضيح التّماثل بين تونس والجزائر في العادات والتّقاليد من خلال الوصف الذي أعدّه "بيرم التونسي" عن الجزائر أثناء زيّارته لها سنة 1836 إذ يقول: « أغلب عادات الأهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في أهالي تونس، في السّلام والحياء ...، أمّا اللّباس فالرسمي فرنساوي، وقيّاد الأعراب يلبسون قفطانا طويلا

[1] – عبد الرّحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، ج12، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1995، ص ص 196. 199 (بتصرّف) .

[2] – بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي، تر: عبد الرّحمن البدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص42 .

[3] – أبو خلدون ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقوميّة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت 1985، ص20.

[4] – كلود هنري وآخرون، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر: محمد عيتاني، منشورات دار المعارف، بيروت، (د.ت)، ص ص133. 134.

مطرّزا بأسلاك الفضّة المذهّبة، وبقيّة لباس الأهالي على نحو لباس التونسيين...، وكذلك الأكل والمواكب على أنواعها فإنّها على نحو ما في تونس... »[1].

أما فيما يخصّ المعالم التّاريخية لتونس والجزائر، فهنالك عدّة معطيات موضوعيّة تؤكّد وحدتهما التّاريخية على مرّ العصور، ففي القديم عاشت السّواحل الجزائرية بصفة عامّة والشرقية بصفة خاصّة تحت نفوذ القرطاجيين، كما عاشت تونس تحت النّفوذ الرّوماني الذي كان يحكمها من الجزائر ثم من تونس، وتعاون التونسيون والجزائريون معًا على مقاومة ومحاربة الرّومان والوندال والبيزنطيّين الذين غزوا هذه البلاد على التّوالي، إلى أن تمكّنوا من طردهم منها بصفة نهائيّة في منتصف القرن السّابع ميلادي، بالتّعاون مع الفاتحين المسلمين الذين حملوا عقيدة التّوحيد الإسلامية إلى هذه البلاد[2].

وفي ظلّ الدّولة العربيّة الإسلاميّة، تبادل البلدين تسيير دفّة الحكم على امتداد ستّة قرون من الزّمن، ثم خضعت بعد ذلك المنطقة الشرقية من الجزائر للنّفوذ الحفصي، كما حكم تونس في العهد العثماني من الجزائر "عهد البايلرباي"[3]، حيث تعاون الشعبين التونسي والجزائري حينذاك على مواجهة التحدّيات الأوروبية وتصفيّة الجيوب الإسبانية في جيجل وجربة وتونس وحلق الوادي، واستمرّ هذا التّعاون على مدى ثلاثة قرون كاملة[4].

إنّ ما يمكن ملاحظته من خلال استعراض أهمّ الدّوافع التي ساهمت في توطيد العلاقات التونسية الجزائرية، هو أنّ الرّوابط المشتركة بين التونسيين والجزائريين قويّة ومتينة، فكلّ شيء يجمع بينهم ولا يفرّق، اللّهم إلا بعض العوارض السيّاسيّة الطّارئة والعابرة. الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأنّ هذين الشعبين قد عرفا حياة ممتزجة غاية الامتزاج عبر الأجيال والعصور، وهو ما ساهم من جهته في توطيد وتنميّة العلاقات بينهما طيلة الفترة الاستعمارية.

---

[1] – خير الدّين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900–1956)، ج1، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص 128.

[2] – يحي بوعزيز، الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء السّاقية، مجلّة الهداية، العدد 158، وزارة الشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 2003، ص 82.

[3] – محمد شطيبي، العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التّحريرية 1954–1962، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ وعلم الآثار، كلّية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2008. 2009، ص 77.

[4] – يحي بوعزيز، المرجع السّابق، ص 84.

2- العلاقات الجزائرية التونسية خلال مرحلتي الاحتلال والمقاومة.

إنّ الباحث في العلاقات التونسية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، يتّضح له أنّ الموقف التونسي الرسمي من الاحتلال لم يكن ايجابيّا بالنّسبة للجزائر، فعندما تعرّضت هذه الأخيرة لحصار بحري دام ثلاث سنوات (1827-1830)، وقبل هجوم الأسطول الفرنسي بمدّة قليلة، قدم إلى تونس طاهر باشا مكلّفًا من طرف السّلطان العثماني "محمود الثاني" لإنهاء الخلاف بين الجزائر وفرنسا بالطّرق السّلمية، ووصل إلى ميناء تونس في 10 ماي 1830، إلا أنّ باي تونس "حسين باي" (1824-1835) منعه من النّزول إلى البرّ التونسي، إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على تواطؤ بايات تونس مع الفرنسيين منذ بداية الأزمة الجزائرية الفرنسية[1]، حيث يذكر "ألفونسو روسو" أنّ بايات تونس كانوا على اتّفاق شبه تامّ مع الجانب الفرنسي منذ عام 1827 على تقديمهم للمساعدات اللازمة للفرنسيين في هذا المجال، مقابل منحهم بايلك وهران وبايلك قسنطينة، وهو ما نصّت عليه اتّفاقية 18 ديسمبر 1830[2].

كما يتجلّى موقف السّلطات التونسية الرسمي من القضيّة الجزائرية، في حجزهم للإمدادات الحربية التي أرسلتها السّلطنة إلى "أحمد باي" بقسنطينة، حيث اعتذر "مصطفى باشا" (1835-1837) عن هذا الموقف بأنّه يريد إقامة علاقات ودّية مع الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى محاولة فرض الحصار على بايلك الشرق بمنع الاستيراد والتّصدير من ميناء عنابة وقطع التّعامل التّجاري بينه وبين أحمد باي[3] .

وخلال ثورات التّحرير الجزائرية المختلفة في القرن الماضي، لجأ الكثير من الثوّار والمقاومون الجزائريون إلى تونس للاحتماء والاستعداد، غير أنّ الرسميّون التونسيون منعوهم من القيّام بأيّ نشاط ضدّ جيش الاحتلال الفرنسي في منطقة الحدود، ومن أبرز الأمثلة على المواقف السّلبية لبايات تونس

---

[1] - أحمد الشّريف الزّهار، مذكّرات الحاج أحمد الشّريف الزّهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 106. 108.

[2] - السّايح فيلالي، العلاقات السيّاسية الجزائرية التونسية (1910-1954)، رسالة ماجستير، معهد التّاريخ، جامعة قسنطينة، 1997. 1998، ص 116.

[3] - نفسه، ص ص 118. 119.

من المقاومات الشعبية في الجزائر، نذكر معارضتهم لثورة الأمير عبد القادر التي لم تلق التّأييد من الجانب الرسمي التونسي[1]،كما لم تلق المقاومة الشعبية التي واصلها الجزائريون بعد الأمير أيّة إعانة أو مساعدة من طرف البايات والوزراء والولاة التونسيين، هؤلاء الذين كانت مواقفهم سلبيّة إلى أبعد الحدود وفي غير صالح المقاومة الجزائرية[2].

وبخلاف الموقف الرسمي التونسي، فإنّ الموقف الشعبي كان على النّقيض من ذلك، حيث أحدث غزو الفرنسيين للجزائر عام 1830 دويّا كبيرًا لدى التونسيين، خاصّة بعدما أدركوا أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر لن يكون نهاية المطاف بالنّسبة للمطامع الفرنسية في إفريقيا الشّمالية، بل من المنتظر أن تنظر فرنسا إلى تونس كامتداد طبيعي للاستعمار الفرنسي في الجزائر، وهو ما جعل التونسيون يشعرون بخطورة الموقف بعد أن استقرّت أقدام الفرنسيين على حدودهم العربية[3].

لقد قابل الشعب التونسي احتلال فرنسا للجزائر باستيّاء شديد، لاسيما وأنّ حركة الجامعة الإسلاميّة كانت تلقى تأييدًا وترحيبًا شديدين من قبل شعوب شمال إفريقيا، فلا غرابة إذا وجدنا الشعب التونسي يؤيّد بكلّ قوّة حركات المقاومة للحكم الفرنسي في الجزائر، ويَعُدُّ قضيّة الجزائر قضيّته الخاصّة، حيث توثّق التّعاون بين الشعبين الجزائري والتونسي، فتصدّيا لمقاومة الاستعمار ومحاربته بكلّ الوسائل، كما تحوّلت تونس إلى قاعدة خلفيّة ملتهبة للمقاومين الجزائريين الذين كانوا يفرّون إليها عندما يشتدّ عليهم الضّغط من جيش الاحتلال للاحتماء والاستعداد والتّجهيز من جديد، فيجمعون المزيد من الأسلحة من مالطة وجربة، ويشحنوها إلى منطقة الجريد ومدنها المختلفة مثل نفطة وقفصة وتوزر ونفزاوة، ومن هناك يُسرّبونها إلى وادي سوف وبسكرة وغيرها[4].

---

[1] – قدّمت الحكومة التونسية بعض الخدمات المتأخرة جدًّا للأمير عبد القادر، وهذا بعد انتهاء مقاومته وسجنه وإقامته في دمشق. أنظر: أحمد توفيق المدني، الأخوّة الجزائرية التونسية أواخر أيّام الأمير عبد القادر، مجلّة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام والاتصال، عدد خاصّ 75، جوان 1983، ص 157.

[2] – يحي بوعزيز، دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881، مجلّة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة والإعلام والاتصال، الجزائر، 1982، ص ص 40 .45.

[3] – محمد محمود السرّوجي، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، مطبعة المصري، القاهرة، (د.ت)، ص 193.

[4] – يحي بوعزيز، الكفاح المشترك بين الشّعبين الجزائري والتونسي ودماء السّاقية، المرجع السّابق، ص ص 85.84.

إضافة إلى ما سبق، فقد قام الشعب التونسي بإيواء وحماية المقاومين الجزائريين، بل وتأييدهم رغم معارضة حكّامه، فخلال مقاومة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي لجأ إلى تونس عدد كبير من المقاومين الجزائريين من أمثال الشّيخ الحسناوي بن بلقاسم الحنّاشي وخليفة الأمير عبد القادر محمّد بن الصّغير بن عبد الرّحمن والشّريف محمد بن عبد الله، أين وجدوا الدّعم والمساندة التّامة من طرف إخوانهم التونسيين[1]. وأكثر من هذا فقد تطوّع الكثير من التونسيين للقتال في صفوف المقاومة الجزائرية في ولاية قسنطينة، حيث تحدّث الكولونيل "كلير" عن خمسمائة من الفرسان التونسيين المنخرطين في صفوف المقاومين الجزائريين بناحيّة عنابة تحت قيّادة مقاوم جزائري اسمه "ابن أحمد"[2].

إنّ هذه المواقف التونسية، خُصوصًا الشعبية منها لنُصرة القضيّة الجزائرية، هي التي جعلت الجزائريين بمختلف فئاتهم الاجتماعية يقفون ضدّ الاحتلال الفرنسي لتونس، لأنهم كانوا يعتبرونها وطنهم الثاني يلجؤون إليها عندما يُطاردهم جيش الاحتلال من بلادهم ويرغمهم على الهجرة والتشرّد[3].

وللإشارة، فإنّ الفرنسيين كانوا على علم بهذا الموقف، لأنهم جرّبوا صُمود الجزائريين وصلابتهم وعنادهم في المقاومة داخل الجزائر لمدّة نصف قرن من الزّمن، لذلك عملوا على تحطيمهم بمختلف السّبل والوسائل، فاستعملوا القسوة وفرضوا مراقبة واسعة وشديدة على كلّ الجزائريين الذين يشكّون في إخلاصهم ويتوجّسون خيفة منهم، مُعتقدين في ذلك أنّهم بهذه السيّاسة وبهذه الأساليب الزّجرية القاسيّة، سوف يحولون دون مشاركة الجزائريين في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتونس، بيد أنّ اعتقادهم كان خاطئًا، باعتبار أنّ الذي حصل هو العكس تمامًا، حيث أعلن الجزائريون غضبهم وحملوا السّلاح مع إخوانهم التونسيون في مختلف جهات القتال والمقاومة على طول منطقة الحدود،

---

[1] – يحي بوعزيز، أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشّيخ بوزيان عام 1849، مجلّة الثّقافة، العدد 32، وزارة الثقافة والاعلام والاتصال، الجزائر، 1976، ص ص 41.40. أنظر أيضا: يحي بوعزيز، دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881، المرجع السّابق، ص ص 49.48.

[2] – مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمّة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 223.

[3] – Louis Rinn, Histoire de l'insurrection en Algérie de 1871, Alger, (s. d), p 89.

وفي أعماق البلاد التونسية وداخل الجزائر نفسها، في إطار إشغال جزء من القوّات الفرنسية بها لتمكين إخوانهم التونسيين من الكرّ والفرّ[1].

ولعلّه من المستحسن هنا، إعطاء بعض النّماذج والأمثلة عن مساندة الجزائريين لإخوانهم التونسيين. ففي شهر أبريل 1881 اشترك الجزائريون والتونسيون معًا في مقاومة الغزو الفرنسي لجزيرة طبرقة وجبال خمير ووشتاتة والفراشيش وبني مازن، وخلال شهر ماي من نفس السنة، دخل عدد من المهاجرين الجزائريين من نفطة ونفزاوة إلى الجزائر محمّلين بالأسلحة والبارود، فاستقروا بجبال أولاد سلطان في الأوراس ونظّموا مقاومة منسجمة مع زملائهم بتونس، مُحدثين بذلك جوّا من الرّعب والفزع لدى السّلطات الاستعمارية الفرنسية[2].

وفي ربيع 1881، اندلعت ثورة الشّيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني[3]،حيث توافق صداها القوي مع ثورتي صفاقس والقيروان بتونس[4]. وللإشارة فإنّ هذه الثورة كان قد حُدّد وقتها بنهاية شهر جوان حيث يكون الفلاحون قد انتهوا من جمع محاصيلهم الزّراعية، غير أنّ بوعمامة فضّل تقديم توقيتها بهدف خلق اضطراب في صفوف القوّات الفرنسية المتأهّبة لاحتلال تونس، خاصّة بعدما شاهد رحيل معظمها نحو الجبهة التونسية، الأمر الذي شجّع التونسيين على مقاومة الجيش الفرنسي[5].

وخلال شهر أوت 1881، انضمّت مجموعة من العساكر الجزائريين الذين فرّوا من وحداتهم الفرنسية، إلى صفوف فرسان جلاص وأولاد سعيد وجنود السّاحل بقيّادة "حسين بن مسعي"، لنُصرة الثوّار التونسيين في معاركهم ضدّ الاحتلال الفرنسي بجهة قرمبالية والحمّامات، مما كلّفهم إعدام ثلاثة منهم بحمّام الأنف من قبل الضبّاط الفرنسيين[6]. هذا فضلا عن حضور المقاومين الجزائريين المكثّف في

---

[1] – يحي بوعزيز، دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881، المرجع السّابق، ص ص 52.51. (بتصرّف).

[2] – يحي بوعزيز، الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء السّاقية، المرجع السّابق، ص 86.

[3] – شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرّر العربية، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، دمشق، 1991.

[4] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 256.

[5] – شوقي أبو خليل، المرجع السّابق، ص116.

[6] – أحمد حمدي يامن، محاولة في تحديد الخسائر البشرية خلال الحملة العسكرية الفرنسية على البلاد التونسية (1881 – 1884)، رسالة ماجستير، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 2006. 2007، ص 96.

ثورة الفراشيش (ثورة تالة – القصرين) خلال ربيع 1906، التي مثّلت أوّل انتفاضة للريفيين بتونس منذ إعلان الحماية الفرنسية على تونس[1].

إضافة إلى ما سبق، فقد ظهر دعاة جزائريون وتونسيون في واحات وادي سوف ووادي ريغ وتقرت، يحثّون النّاس على حمل السّلاح لمقاومة جيش الاحتلال الفرنسي، وعلى تقديم العون للمقاومين التونسيين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تضامن المهاجرون الجزائريون في وشتاتة والفراشيش والهمامة والجريد، ونظّموا حركة جهاد واسعة مع إخوانهم التونسيين، حيث أكثروا من شراء الأسلحة والذخيرة لاستعمالها في حركة المقاومة بتونس والجزائر، فتعقّدت نتيجة لذلك الأمور على جيش الاحتلال الفرنسي[2].

كما ساند سكّان وادي ميزاب إخوانهم التونسيين، حيث قاموا بقتل شيخهم "الحاج إبراهيم بن جريبة" الموالي للفرنسيين بمدينة بريان، ونظّموا دوريّات مسلّحة في الواحات الصّحراوية، كما اهتمّوا بشراء الأسلحة ونشر أخبار مجاهدي تونس. ومن جهته أيضا، دعا شيخ زاوية "علي أو موسى"، بالمعاتقة في جرجرة إلى مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي تضامنا مع مجاهدي تونس[3].

هكذا عبّر الجزائريون عن غضبهم ونقمتهم من الاحتلال الفرنسي لتونس، فشاركوا إخوانهم التونسيين في مواجهة العدّو، كواجب مقدّس أملاه عليهم الضّمير الوطني والمصير المشترك، مشكّلين بذلك صورة حيّة للتّضامن الوثيق بين الشعبين خلال مرحلة الاحتلال والمقاومة.

---

[1] – الهادي التيمومي، انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر (ثورة 1906)، بيت الحكمة، قرطاج، 1993، ص 108.

[2] – يحي بوعزيز، الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء السّاقية، المرجع السّابق، ص 87.

[3] – نفسه، ص ص 88 .89. (بتصرّف).

3- العلاقات الجزائرية التونسية أثناء مرحلة النّضال السيّاسي.

اتخذت العلاقات التونسية الجزائرية خلال هذه المرحلة أشكالا وصوّرًا مختلفة من التّعاون والتّضامن. فمع مطلع القرن العشرين تآزر الشعبين التونسي والجزائري في شتى المجالات السيّاسيّة والثقافية. واشتركوا جنبا إلى جنب في النّضال الوطني، من خلال انتمائهم إلى الجمعيّات السيّاسيّة والإصلاحيّة والأندية الثّقافية التي أسّسوها خلال مرحلة الاستعمار، حيث كانوا يلتقون على المستوى العلمي والفكري ليعبّرون عن طموحاتهم وآمالهم بقيّم حضاريّة عربيّة وإسلاميّة[1].

ومن الشّخصيات البارزة في مجال التّنسيق النّضالي خلال هذه الفترة نذكر: عمر راسم وعمر بن قدور عن الجزائر، وحسين الجزيري والصّادق الرّزقي وإبراهيم فهمي بن شعبان عن تونس، حيث برز التّنسيق واضحًا بين هؤلاء من خلال كتاباتهم الصّحفية التي تدعوا إلى تكثيف الجهود لمواجهة محنة الاستعمار[2]. كما استجاب المناضل التونسي حسين الجزيري لمشروع عمر بن قدّور، المتمثّل في تأسيس "جماعة التّعارف الإسلامي لمسلمي شمال إفريقية"[3]، من خلال المقال الذي أرسله إلى جريدة الفاروق[4]، بعنوان "التفرّق داء والالتئام دواء"، رحّب فيه بالمشروع وتمنّى له البروز مُبديًّا تحالفه مع إخوانه المسلمين على خدمة الملّة والوطن والعمل لصالح الإسلام والمسلمين[5].

---

[1] – محمد الصّالح الجابري، النّشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900–1962)، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص ص 150 . 151 .

[2] – محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910–1954)، رسالة ماجستير، معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1993–1994، ص ص 24 .27. (بتصرّف).

[3] – عُرف هذا المشروع باسم "المشروع العظيم"، كان يهدف إلى ضمان السّعادة لمسلمي شمال إفريقية، ثم أصبح مشروعا خاصّا بالجزائر فقط، بعدما قرّر عمر بن قدور مراجعته خوفًا من إثارة المستعمر الفرنسي. أنظر: صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 31.

[4] – جريدة الفاروق، جريدة أسبوعية إسلامية، اهتمّت بقضايا المسلمين وأحداث الخلافة الإسلامية، صدر العدد الأوّل منها في الجزائر بتاريخ 18 فيفري 1913، وتوقّفت عن الصّدور سنة 1915، ثم ظهرت في سلسلة ثانية بتاريخ 18 أكتوبر 1920، لتتوقّف مرة أخرى في 18 مارس 1921. أنظر محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص ص 24. 25.

[5] – محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص 27.

وكردّ فعل على التّنسيق النّضالي بين الوطنيين التونسيين والجزائريين خلال هذه الفترة، قامت فرنسا بسجن عدد كبير منهم، من أمثال عمر راسم وعمر بن قدّور والطيّب بن عيسى وحسين الجزيري والصّادق الرّزقي وغيرهم، وحاكمتهم بنفس التّهم المتمثّلة في تجاوز القوانين والتّطاول على السّلطة واستغلال الصّحافة كمنبر للتّهييج والتّثوير[1]، كما سجنت أحمد توفيق المدني[2]، متّهمة إيّاه بإلصاق منشورات معاديّة للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس[3].

إنّ هذه الإجراءات التي أقدمت عليها السّلطات الاستعمارية الفرنسية، لم تمنع الوطنيين التونسيين والجزائريين عن مواصلة النّضال المشترك فيما بينهم، فقد نتج عن حركة التوسّع الاستعماري التي استهدفت بلدانهم، أن هاجر عدد كبير منهم[4] مضطرّين أو مختارين أو مكرهين[5] إلى بلاد المشرق العربي، حيث استقرّ جلّهم في بلاد الشّام أو في استانبول عاصمة الخلافة الإسلامية، أو في غيرها من المدن العربيّة كالقاهرة والإسكندرية وبغداد ومكّة المكرّمة[6]. وهنالك وجد هؤلاء الوطنيون

---

[1] – محمد الصّالح الجابري، المرجع السّابق، ص 170.

[2] – ذكر أحمد توفيق المدني أنّ سجنه كان نتيجة محاولة قام بها لتحضير طاقات الأمّة في المغرب العربي ضدّ فرنسا، وجاءت هذه المحاولة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، وسماع نداء الجهاد الذي وجّهه الخليفة العثماني لكافّة المسلمين، حيث سعى المدني بدافع الحقد والكراهيّة والانتقام من فرنسا، إلى تحضير خطّة لانتفاضة مغاربية بالتّنسيق مع عناصر تونسية من أمثال الصّادق الرّزقي وأحمد نجاح ومحمد النّيفر والهادي مزاح، واتّفقوا على خطّة عمل سرّية تقوم على مهاجمة الثكنات الفرنسية التي بها أسرى الألمان، غير أنّ خطّتهم اكتشفتها فرنسا وسجنته على إثرها في شهر فيفري 1915. أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكّرات)، ج1، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1976، ص ص 83 . 88 . (بتصرّف) .

[3] – Ali Mahdjoubi, Les origines du mouvement national En Tunisie (1904-1934), publication de L'université de Tunis, Tunis, 1982, p 148.

[4] – من أهمّ الشّخصيات ذات الأصول الجزائرية التي حلّت بالمشرق العربي نذكر: الشيخ المكّي بن عزوز (حلّ بها سنة 1905) ومحمد التّهامي شطّة (حلّ بها سنة 1908) ومحمد مزيان التلمساني. أمّا الشّخصيّات ذات الأصول التونسية فنذكر منهم: علي باشا حامبه (حلّ بها سنة 1912) وإسماعيل الصفائحي (حلّ بها سنة 1905) وصالح الشّريف (حلّ بها سنة 1906). أنظر: محمد بلقاسم، المرجع السّابق، 34 .

[5] – Pierre Bardin , Algériens et Tunisiens Dans L'empire Ottomane de 1848 à 1914, Ed du CNRS, Aix -en- Provence, Provence, Paris, 1979, p121 .

[6] – نادية طرشون، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام (1847، 1911)، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ، جامعة دمشق، 1984– 1985، ص 205.

الظّروف ملائمة ومناسبة لشنّ حملات صحفيّة انتقاديّه ضدّ السيّاسة الاستعمارية في بلاد المغرب العربي بصفة عامّة، كما قاموا بتأسيس جمعيّات ولجان مختلفة لمناهضة الاستعمار الفرنسي في بلدانهم[1].

ومن المستحسن هنا أن نذكر بعض الأمثلة عن مثل هذه الجمعيات واللّجان. ففي سنة 1910، تم تأسيس "جمعيّة الأخوّة والمساعدة والدّعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين" باسطنبول، على يد الشّيخين صالح الشّريف وإسماعيل الصّفائحي والمسلم البولوني منادي غازتوت الملقّب (بسيف الإسلام)، حيث اقتصرت مهمّتها على تقديم المساعدات للمهاجرين والتوسّط لهم لدى الحكومة العثمانية قصد تشجيعهم على الهجرة[2]. كما ساهم الجزائري محمّد مزيان التلمساني إلى جانب إخوانه التونسيين إسماعيل الصّفائحي وصالح الشّريف في تأسيس "لجنة استقلال الجزائر وتونس" ببرلين في 07 جانفي 1916، التي اهتمت بتحرير منشورات وكتيبات دعائية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، معتمدة في ذلك على مجلّة المغرب[3] لإبراز نشاطاتها المختلفة[4].

وللإشارة، فقد استطاعت هذه اللّجنة أن تُترجم مطامح الشعبين الجزائري والتونسي على المستوى العام العالمي، من خلال مشاركة وفد عنها برئاسة الشّيخان صالح الشّريف وإسماعيل الصّفائحي في أشغال المؤتمر الثالث للقوميّات المنعقد بلوزان في 27 جوان 1916، حيث قدّم الوفد عريضة تتضمّن مطالب الجزائريين والتونسيين، وممّا جاء فيها: «إنّنا لا نلتمس معروفا ولا امتيّازات، لكنّنا نطالب بحقوقنا وحريّاتنا ...، إنّنا نطالب بميثاق يضمن

---

[1] – صالح خرفي، المرجع السّابق، ص 70.

[2] – نادية طرشون، المرجع السّابق، ص 208.

[3] – مجلّة المغرب (La Revue du Maghreb): أسّسها المناضل التونسي محمد باشا حامبة في نهاية شهر ماي 1916 بجنيف، كانت تصدر باللّغة الفرنسية مرّة واحدة كل شهر خلال سنة 1916، ثم أصبحت تصدر مرّة واحدة في كل شهرين إلى غاية شهر أوت 1918، توقّفت عن الصّدور بتوقّف المساعدة العثمانية لها أنظر:

Ali Mahdjoubi, op.cit, p 145.

[4] – عبد الله حمّادي، التوجّه المغاربي في ذاكرة الحركة الوطنية الجزائرية. حزب الشعب الجزائري. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا. البدايات. التطوّر. التأزّم، مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاص، إصدارات المندوبية السّامية والمجلس الوطني المؤقّت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، مطبعة الصّومعة، الرّباط، 2002، ص 291.

حرّية الإنسان وأملاكه ونطالب بلغة الجزائريين والتونسيين، وبإزالة القوانين والتّشريعات الخاصّة...، إنّنا نطالب بالتّعليم الابتدائي الإجباري لكلّ أبنائنا بلغتنا، وبالمساواة بين الجميع أمام نفس القانون...، وبكلمة موجزة نطالب بالحقّ المشترك للجميع وبالعدالة والحرّية »[1].

إضافة إلى ما سبق، فقد حضر الشّيخين صالح الشّريف وإسماعيل الصّفائحي، ممثّلين عن لجنة استقلال الجزائر وتونس في المؤتمر الاشتراكي الدولي ومؤتمر الشعوب الإسلامية، اللّذين انعقدا بمدينة استوكهولم (السويد) في أواخر 1917، وقدّما عرضا تاريخيّا عن وضعيّة الشعبين الجزائري والتونسي المزريّة في ظلّ النّظام الاستعماري الفرنسي الجائر، متعرّضين في ذلك إلى دفاع هذين الشّعبين المستميت من أجل استرجاع حقوقهم المغتصبة، قائلين: « إنّ أهالي تونس والجزائر، لم يتخلوا أبدًا عن حقّهم في الحريّة، وأنّ الوقت أصبح مناسبًا ليطالبوا بحقوقهم في الحريّة والاستقلال»[2].

وبهذا تكون اللّجنة قد تطوّرت في مطالبها، حيث أصبحت تطالب بالاستقلال خاصّة بعد تصريح الرئيس الأمريكي ويلسن في جانفي 1917 (مبادئ ويلسن 14)، ونتيجة لذلك تكوّنت "اللّجنة الجزائرية – التونسية" في نهاية 1918 من الوطنيين التونسيين والجزائريين[3]، التي اهتمت بالدّفاع عن حقّ الشعبين الجزائري والتونسي في تقرير مصيرهما، ويتّضح ذلك من خلال البرقيّة التي أرسلتها إلى الرئيس ويلسن بروما، والتي جاء فيها ما يلي: « إنّ الشعب الجزائري – التونسي، يطالب باستقلاله التّام، ويناشد الضّمير العالمي ليعترف له بحقّ التصرّف بكلّ حرّية في مصيره »[4].

---

[1] – محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص 55.

[2] – علي تابليت، وحدة المغرب العربي من خلال وثائق عربية وإنجليزية، أعمال النّدوة المغاربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التّحرير، مداخلة منشورة في مجلّة الذاكرة الوطنية، عدد خاصّ، المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2002، ص 63.

[3] – تكوّنت اللّجنة من الوطنيين التونسيين والجزائريين الآتية أسمائهم: صالح الشريف، محمد الخضر حسين، محمد مزيان التلمساني ومحمد الشيبي التونسي، محمد بيزار الجزائري، حمدان بن علي الجزائري ومحمد باشا حامبة. أنظر: محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص ص 59.60.

[4] – "المذكرة التّونسية – الجزائرية إلى الرئيس ويلسن بروما"، نقلا عن: علي تابليت، المرجع السّابق، ص ص 66. 67.

وخلال فترة العشرينات من القرن العشرين، وأثناء تنامي حركة الأمير خالد بالجزائر، كانت تعاصرها حركة الشّيخ الثّعالبي بتونس[1]، هذا الأخير الذي كان قد أسّس الحزب الدّستوري الحر التونسي[2]، حيث كان لهذا الحزب أنصاره من الجزائريين المتواجدين بتونس أو المتعاطفين معه في الجزائر[3].

وجدير بالذّكر هنا. أن نشير إلى مساهمة الجزائريين في تأسيس الحزب الدّستوري التونسي الحر، إذ تدلّنا العديد من المصادر والمراجع التي أرّخت للحركة الوطنية في تونس والجزائر، أنّ الطلبة الجزائريين بتونس كان لهم دورٌ بارز في تأسيس هذا الحزب الذي تزعّمه الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي[4]، ومن الجزائريين الذين ساندوا الشّيخ الثّعالبي وأيّدوه، نذكر أهل وادي ميزاب خاصّة الشّيخان إبراهيم أطفيش وأبو اليقظان، والسيّد النّاصر ملاكي ومحمد بوحجّام وصالح بن يحي، الذين كانوا حينذاك طلبة بجامع الزيتونة، فعندما نشأ الحزب أصبح الشّيخ إبراهيم أطفيش عضوا إداريّا فيه، وأبو اليقضان عضوًا في لجنة دعايته[5]. كما كان هؤلاء الطلبة يموّلون الحزب بالأموال التي يتمّ جمعها على الجزائريين المتواجدين بتونس أو بالجزائر، حيث ذكر أحمد توفيق المدني أنّ الشّيخ صالح بن يحي قد جمع عن التّجار الميزابيين خلال زيّارته إلى الجزائر عام 1920، حوالي ثمانون ألف فرنك فرنسي باسم حزب الدّستور[6]، إن دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على إيمان هؤلاء الجزائريين بمبادئ الحزب وخدمته للقضيّة الجزائرية والمغاربية بصفة عامّة[7].

---

[1] – خلال هذه الفترة قدّم الثعالبي وزميله أحمد السّقا مذكّرة إلى الرئيس ويلسن يطالبان فيها باستقلال تونس. كما قدّم الضّبّاط الجزائريون برئاسة الأمير خالد نفس الطّلب. أنظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط٣، نشر المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، دار أبي رقراق للطّبّاعة والنّشر، الرّباط، 2010، ص 66.

[2] – ثم الإعلان عن ميلاد الحزب الدستوري التونسي رسميّا يوم 14 مارس 1920، برئاسة الشيخ عبد العزيز الثعالبي. أنظر: عبد الكريم عزّيز، نضال شعب أبيّ. تونس (1881–1956)، مركز النّشر الجامعي، تونس 2005 ، ص 180 .

[3] – محمّد الصّالح الجابري، المرجع السّابق، ص 154.

[4] – خير الدّين شترة، إسهامات النّخبة الجزائرية في الحياة السيّاسية والفكرية التونسية (1900 – 1939)، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 106 .

[5] – عبد الله حمّادي، المرجع السّابق، ص ص 296. 297.

[6] – أحمد توفيق المدني، المصدر السّابق، ص 158.

[7] – عبد الله حمّادي، المرجع السّابق، ص 297.

ولم تقتصر مساندة الشّيخ الثّعالبي على الطلبة الجزائريين المتواجدين بتونس، بل شملت أيضا مختلف شرائح الشعب الجزائري، ذلك أنّ الجزائريون اعتبروا أنّ قضيّة الحزب الدّستوري التونسي الحرّ هي قضيّتهم، وأنّ انتصاره هو انتصار لهم أيضا[1]، لذلك اندفعوا إلى العمل فيه مدعّمين إيّاه بجهودهم السيّاسيّة والماليّة والفكريّة، خاصّة وأنهم كانوا يهدفون إلى استقلال القطرين التونسي والجزائري معًا، حيث ذكر تقرير الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، المرسَل إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في نهاية 1920، أنّ الجزائريين كانوا ملتفّين حول جمعيّة دينية تعمل على الدّعاية لاستقلال الجزائر وتونس، وهم كلّهم ثقة بأنّ المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعيّة، مثلما هو الأمر في مصر وليبيا وغيرهما من البلدان التي نالت استقلالها بناء على مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسن[2].

وبعد الانشقاق الذي حدث في صفوف الدستوريين وظهور الحزب الدّستوري الجديد سنة 1934، معلنا بذلك استقلاله عن اللّجنة التنفيذية، لجأ عدد كبير من المهاجرين الجزائريين إلى الانخراط في عضويته لتولّي مهامّ إعلاميّة وتنظيميّة في إدارته، حيث برز في هذا المجال الجزائري الجبّاري محمد العيد الذي أشرف على "جريدة العمل" اللّسان الرسمي للحزب الدّستوري الجديد[3]، كما برزت مساعي الجزائريين واضحة خلال هذه الفترة في التّوفيق بين الدستوريين القدماء والجدد، إذ يتحدّث المدني توفيق في مذكّراته عن مساهمته في التّوفيق بين الجناحين قائلا: « بعدما آلت القضيّة إلى خلاف مرير، مؤلم وعنيف، غادرت الجزائر من جديد قاصدًا تونس، ساعيّا لجمع الشّتات. ولإصلاح الموقف بذلت مع أصحابي رجال اللّجنة طريقتي في العمل، فوافقوا بالإجماع على تفويضي في حلّ المشكلة لإعادة الوحدة للحزب وتعهّدوا بقبول أيّ اتفاق أمضيه باسمهم...»[4].

ولا ننسى فيما يتعلّق بقضيّة التّوفيق بين الدستوريين، مساهمة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي حضرت في شخص رئيسها الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" اجتماع الوفاق التّمهيدي، حيث

---

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص 198.

[2] – يوسف مناصرية، الحزب الحرّ الدستوري التونسي، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1985. 1986، ص ص 70 .71.

[3] – محمد الصّالح الجابري، المرجع السّابق، ص ص318 . 320 (بتصرّف).

[4] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكّرات)، ج2، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1977، ص 242.

يذكر الشّيخ الثّعالبي في كلمته الحاسمة: « أنّه دعا أعضاء الهيأتين للحزب الدّستوري إلى اجتماع أخوي يوم 21 جويلية 1937، فاجتمعوا بمحضر الصّلح الجليل، بحضور علامة الجزائر الشّيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وكان الاجتماع مشبعًا بالولاء لا يعكّر صفوه معكّر، حتى اعتقد الحاضرون أنّ وشيجة الخلاف قُطعت، وعادت الصّداقة القديمة إلى مجاريها»[1].

وفي إطار التّنسيق النّضالي بين التونسيين والجزائريين خلال هذه المرحلة، تجب الإشارة أيضًا إلى أنّ المكتب السيّاسي السّادس للحزب الذي كان يقوده الحبيب ثامر كانت له خلال شهر فيفري 1940 عدّة شُعب في الجزائر، خاصّة لدى مناضلي حزب الشعب الجزائري، إذ تُشير بعض المصادر الصّادرة عن المخابرات الفرنسية، إلى الصّلات التي عقدها الحزب مع مجموعة من الوطنيين الجزائريين في عنّابة وقسنطينة، والتي برز فيها النّاشط الجزائري صلاح الدّين أبو شوشة كمنسّق بين الشُّعب التونسية والجزائرية، حيث تقول (المصادر): « إنّ الأمور اختلطت علينا بين جماعة الدّستور والأحزاب الجزائرية، وأنّ هناك منشورًا متداولا في تونس لأوّل مرة، موقّعًا من طرف مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري ... »[2].

وفي مقابل ذلك، سعى الوطنيون الجزائريون إلى تكثيف اتّصالاتهم مع الدستوريين التونسيين، خاصّة مع نهاية الأربعينيّات من القرن العشرين[3]، فكما هو معلوم أنّ المنظمّة الخاصّة كان لها ضابط

---

[1] – في 05 جويلية 1937، حلّ الثعالبي بتونس قصد التّوفيق بين الدستوريين القدماء والجدد، وخلال هذه الفترة كان بورقيبة يمسك في قبضته حوالي 400 من الشعب الحزبية، بخلاف الدستور القديم الذي كانت تبدو عليه علامات التحجّر، الأمر الذي جعل الثعالبي يضطرّ إلى الرّجوع على أعقابه، خاصّة بعدما طالب بورقيبة بضرورة تحكيم الجماهير الشّعبية. أنظر: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم وآخرون، الدّار التونسية للنّشر، تونس، 1976، ص ص 110. 111.

[2] – خير الدّين شترة، المرجع السّابق، ص 372.

[3] – خلال هذه المرحلة، وبالضّبط في شهر مارس 1947، ناقش المكتب السيّاسي لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية مشكلة التّسليح التي كانت تتخبّط فيها المنظّمة الخاصّة، وتم الاتّفاق على أنّ حلّها يفرض إجراء اتّصالات مع البلدان العربية والأحزاب المعاديّة للاستعمار، حيث أعطيّت الأوامر والتّعليمات لنوّاب الحركة من أمثال الأمين دباغين– باعتباره مسؤول العلاقات الخارجية – لعقد اتّصالات مع الحركات الوطنية في الدول المجاورة مثل الحركة الوطنية التونسية. أنظر: محمد حربي، جبهة

اتّصال يدعى محمد دحماني، مقيم بشكل دائم في تونس كتاجر في الظّاهر، لكنّه في حقيقة الأمر كان همزة وصل بين المنظّمة والوطنيين التونسيين[1]، وإليه يرجع الفضل حسب شهادة المجاهد محمد عصّامي، في ترتيب الزيّارة التي قام بها محمد بوضياف رفقة حامد روابحية وعصّامي إلى تونس مع نهاية 1949، حيث استقبلهم هناك محمد بن دحمان ومسعود المقراني (حفيد الشّيخ المقراني)[2]، وانتهت هذه الزيّارة باتّصال هذا الوفد مع مجموعتين هما :

- المجموعة الأولى: تمّت مع بعض مهرّبي السّلاح الذين لم يجدوا بحوزتهم سلاحا للبيع، غير أنهم تعهّدوا بتوفيره في المرّة القادمة.

- المجموعة الثانية: تمت بين الوفد المذكور سابقا، وقادة الحزب الدّستوري التونسي، من أجل تنظيم التّعاون في مجالات التّسليح والاتّصالات العسكرية وغيرها[3].

وبخصوص الاتّصالات مع الوطنيين التونسيين، يذكر المجاهد عبد القادر العمّودي (عضو مجموعة 22)، أنّ محمد بوضياف وغيره من الوطنيين الجزائريين، قد تمكّنوا من الاتّصال بقادة الدستوريين لتنظيم التّعاون معهم في مجالات التّسليح والاتّصالات العسكرية وغيرها، كما تمكّن المجاهد عبد القادر العمّودي، أثناء زيّارته لمنطقة توزر بالقطر التونسي، من الاجتماع بوفد من الدستوريين، أين تمّ الاتّفاق معهم على أن تكون الاجتماعات دوريّة لبحث سبل التّنسيق والتّعاون بين الطّرفين[4].

= التّحرير الوطني الأسطورة والواقع (1954-1966)، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983، ص ص 49. 50.

[1] - عبد الرّحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسيّاسي من خلال مذكّرات معاصر (1947-1954)، ج3، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 31.

[2] - الزّبير بوشلاغم، حوار مع محمد عصّامي، مجلّة أوّل نوفمبر، العدد 146، المنظّمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1994، ص 39.

[3] - الطّاهر جبلي، إرهاصات الثورة الجزائرية: مسألة التّسليح في اهتمامات قادة المنظّمة الخاصّة (1947، 1950)، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 143- 144، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2011، ص 74.

[4] - خضراء بوزايد، لقاء مع المجاهد عبد القادر العمّودي عضو مجموعة 22، مجلّة المصادر، العدد 04، القرص المضغوط الصّادر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، الجزائر، 2010.

وفي شهر جانفي 1949م ، قصد كلّ من أحمد بن بلّة وبوقادوم ودردور تونس، في محاولة منهم لإقناع الوطنيين التونسيين باللّجوء إلى الكفاح المسلّح، فالتقى هؤلاء مع الأمين العامّ للحزب الدّستوري التونسي الجديد السيّد صالح بن يوسف، الذي تعامل معهم باستعلاء واصفا مسعاهم "بالعمل الصّبياني" وهو ما أدّى إلى فشل اللّقاء[1]، حيث لم يستطع بن بلّة الذي كان لديه انطباع خاصّ لاسيما وأنّه كان قد سمع هذا النّوع من التأمّلات في مكان آخر لدى أصدقاء فرحات عباس والشّيخ الإبراهيمي اختراق الحزب، لكنّه استطاع أن يكسب عددا من المناضلين في الحزب الدّستوري التونسي الجديد لفكرته واتّفق معهم على التّعاون في صنع المتفجّرات[2].

وعلى إثر ذلك قرّر بن بلّة أن يقوم برحلة ثانيّة إلى تونس رفقة بلحاج جيلالي، لتركيز التّعاون على صعيد تقني بين الدّستوريين الجدد وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وتنفيذا لذلك تمّ إرسال فريق من خبراء المتفجّرات إلى تونس في ربيع 1949م، لإفادة إخوانهم الدستوريين بمعارفهم وخبراتهم، وانظمّ إلى هذا الفريق بوقادوم حاملا وثائق وكرّاسات التّدريب التّابعة للمنظّمة الخاصّة، بنيّة إقناع حزب الدّستور بصحّة وجهات نظر حركة انتصار الحريات الديمقراطية، غير أن جهودهم ذهبت سدى، حيث أصبحت مهمّة إقناع الحزب الدستوري أمرا جدّ صعبا[3]. ورغم ذلك فإنّ آمال الجزائريين في إقناع قادة الحزب الدستوري الجديد بهذا التوجّه قد ظلّت مستمرّة، بدليل أنّ أحمد بن بلّة وبحكم تجربته وقناعته، كلّف خلال الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية، الضّابط "الحاج علي" بالدّخول إلى سوق أهراس والتّحضير لاندلاع الثورة بالتّنسيق مع الثّوار التونسيين، غير أنّ هذا الأخير اغتيل وهو ينجز مهمّته في ظروف غامضة[4].

---

[1] – عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص 50 .

[2] – عبد الحفيظ موسم ورفيق تلّي، التّحضير للثورة الجزائرية من خلال الاستعدادات الدّاخلية والاتّصال بالحركتين الوطنيّتين: (التونسية والجزائرية)، دورية كان التّاريخية، العدد 27، دار ناشري للنّشر الإلكتروني، الكويت، 2015، ص 65 .

[3] – محمد حربي، المصدر السّابق، ص ص 58. 59.

[4] – عبد الحفيظ موسم ورفيق تلّي، المرجع السّابق، ص 66.

بناء على ما سبق يتّضح لنا أنّ الوطنيين التونسيين والجزائريين، قد تمكّنوا خلال هذه المرحلة من إثراء قضيّة الوحدة فيما بينهم، بأدبيّات سيّاسيّة وفكريّة متنوعّة، كما تمكّنوا من توظيف هياكل التّنسيق والنّضال المشترك لخدمة المسألتين الوطنيتين التونسية والجزائرية معًا.

4- العلاقات الجزائرية التونسية من خلال النّضال المغاربي المشترك.

لقد استمرّ التّضامن والتّواصل بين الجزائريين والتونسيين خلال هذه المرحلة، من خلال النّضال المغاربي المشترك، ففي سنة 1926[1] تأسّس بصفة رسميّة حزب نجم شمال إفريقيا الذي ضمّ العمّال الجزائريين والتونسيين والمراكشيين المهاجرين بباريس، ونصّ قانونه الأساسي على فكرة العمل المشترك من أجل مغرب عربي موحّد[2]، خاصّة بعدما أصبحت أدبيّات النّجم ومنشوراته تحمل مبدأ الاستقلال لكلّ شمال إفريقيا، حيث أقرّ النّجم "مبدأ الاستقلال" عمليّا، و"مبدأ الثورة" فكريّا، و"مبدأ وحدة الشّمال الإفريقي" استراتيجيًا [3]، وهي المبادئ التي نادى بها قادة النّجم في مؤتمر بروكسل، إذ جاء على لسان مصالي الحاج بعد مشاركته في هذا المؤتمر، ما يلي: « إنّنا قد عرّفنا الرّأي العام العالمي ببرنامج الاستقلال السيّاسي وبوحدة شمال إفريقيا »[4].

وبهذا استطاع النّجم أن يجسّد التّعاون والتّضامن بين الجزائريين والتونسيين والمراكشيين، من خلال دعوتهم إلى توحيد الجهود فيما بينهم، قصد التصدّي لسيّاسة فرنسا الاستعمارية، وهو ما نلمسه من خلال التّصريح الذي نشرته "جريدة الإقدام للشّمال الإفريقي"[5] في أحد أعدادها ، حيث كتبت تقول: « إنّ استقلال بلد من البلدان المغاربية الثلاثة، لا يتمّ إلا بمؤازرة البلدين الآخرين، فمن الواجب إذن توحيد جهود الحركات الوطنية لاستقلال البلدان الثلاثة... »[6].

---

[1] – ذُكرت عدّة تواريخ مختلفة لتأسيس النّجم بين شهري فيفري وجوان، لكن كلّ المصادر تتّفق على سنة 1926.

[2] – Mohammed Guenaneche, Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939), Traduit de l'arabe par Sidi Ahmed Bouali, ENAL, Alger, 1990, p 35.

[3] – Ibid, p 48.

[4] – محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص 222.

[5] – صدرت هذه الجريدة في سنة 1927، وتوقّفت عن الصّدور في أوائل 1928. أنظر: محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص 229.

[6] – عبد الله حمّادي، المرجع السّابق، ص 304.

وعلى الرّغم من أنّ النّجم قد أصبح فيما بعد ذا طابع جزائري، إلاّ أنّه لا أحد يستطيع أن ينكر دوره في طرح قضيّة استقلال بلدان المغرب العربي، إذ بقيّت فلسفة النّجم ومبادئه سائدة لدى مناضلي حزب الشعب الجزائري[1]، وهو ما عبّرت عنه جريدة الأمّة[2] حين صرّحت قائلة: « إنّ حزب الشعب الجزائري، سيدافع عن المغرب العربي، ولا يمكنه أن يفرّط في حفنة واحدة من تراب مغربنا الطيّب...»، كما أكّدت نفس الجريدة في عدد آخر على توجّهات الحزب المغاربية قائلة: « ...إنّ وطننا هو المغرب العربي، ونحن مخلصون له حتى الموت ... »[3].

وفي الواقع يمكننا تأكيد التوجّه المغاربي لحزب الشعب الجزائري، من خلال رغبته الملحّة في بعث جبهة لوحدة النّضال من أجل الاستقلال على مستوى المغرب العربي، ففي شهر ماي 1945، أرسل حزب الشعب وفدًا إلى تونس العاصمة، يتكوّن من الأمين دبّاغين وعبد الله فيلالي والشّاذلي المكّي، وحاول هؤلاء الثلاثة جسّ النّبض مع كلّ التيّارات السيّاسيّة في تونس حول إمكانيّة الوحدة المغاربية في مجابهة فرنسا الاستعمارية[4]. كما تمّ عقد اجتماع خلال شهر جوان من نفس السنة ببيت شيخ الزيتونة "الشّاذلي بن القاضي"، حضره إلى جانب وفد حزب الشعب كلّ من الشّيخ الفاضل بن عاشور وصالح بن يوسف وعلالة البلهوان عن الدّستور الجديد، والشّيخ محي الدّين القليبي وصالح

---

[1] – تمت إعادة بعث نجم شمال إفريقيا الذي كان ينشط في السّرية بتسميّة جديدة هي: "حزب الشعب الجزائري"، وذلك يوم 11 مارس 1937. غير أنّ هذا الأخير ضلّ متمسّكا بمبادئ النّجم وأهدافه. أنظر: عبد الوهّاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة ، الجزائر، 2009، ص 126.

[2] – جريدة أصدرها النّجم باللّغة الفرنسية في باريس خلال شهر أكتوبر 1930، أي أثناء فترة حلّه من طرف السّلطات الفرنسية، وقد أعلنت منذ ظهورها أنها تدافع عن مصالح التونسيين والجزائريين والمغاربة، ورغم أنّ السّلطات الاستعمارية منعتها من الدخول إلى إفريقيا الشمالية، إلا أنّ القائمين عليها كانوا يوزّعونها سرّيا، واستمرّت في الظّهور عبر ظروف مختلفة حتى سنة 1939. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945)، ج3.، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 122. 123.

[3] – بن يامين سطورا، مصالي الحاج، تر: صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 1999، ص ص 182.183.

[4] – BenYoucef ben Khadda , Les origines du 1 novembre 1954, Ed Dahleb, Alger, 1989, p 107.

فرحات عن الدّستور القديم، وخلاله أُقرّت "اتّفاقية لوحدة النّضال في المغرب العربي"[1]، وهي الاتّفاقية التي ذهب بها الأمين دبّاغين إلى المغرب الأقصى، حيث اتّصل بالمهدي بن بركة وقادة حزب الاستقلال الذين باركوها ووقّعوا عليها هم كذلك[2].

وفي إطار الحديث عن العلاقات التونسية الجزائرية من خلال النّضال المغاربي المشترك، تجب الإشارة إلى "جمعيّة الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا" التي تأسّست بباريس سنة 1927، والتي اهتمّت بتجسيد التّضامن بين طلاب المغرب العربي والتّشجيع على فكرة الوحدة المغاربية[3].وإذا كانت هذه الجمعيّة تهدف إلى تشجيع شبّان بلاد المغرب العربي على استكمال دراستهم بفرنسا عن طريق تسهيل إقامتهم هناك، ومنحهم الإعانات المادّية والمعنوية، فإنها قد وجدت نفسها مع مرور الوقت مجبرة على الخوض في الأمور السيّاسيّة (مع بقائها أمينة لأهدافها)، حيث أصبحت تناضل من أجل هدف مشترك، ألا وهو الاستقلال السيّاسي والاقتصادي والثقافي لدول المغرب العربي[4].

فخلال مؤتمرها الرّابع المنعقد بمعهد الخلدونية بتونس في شهر أكتوبر 1934، عالجت الجمعيّة موضوع وحدة المغرب العربي، حيث يذكر بعض الكتّاب الفرنسيون أنّ المؤتمرون وافقوا على إجراءات شجاعة ضدّ فرنسا، خاصّة وأنهم أقرّوا الاستقلال المطلق لبلدانهم معتبرين المغرب العربي أمّة واحدة تشمل المغرب الأقصى والجزائر وتونس، ودعواهم هذه تستند على قاعدة مشتركة واحدة هي: الإسلام[5].

إضافة إلى ما سبق، فقد تمّ تأسيس "جبهة الدّفاع عن إفريقيا الشّمالية" بالقاهرة في 18 فيفري 1944، تحت رئاسة محمد الخضر حسين وسكرتارية الفضيل الورتلاني، وضمّت هذه الجبهة ممثلين عن

---

[1] – نصّت الاتّفاقية على تحضير العمل المشترك من أجل استقلال المغرب العربي، كما ألحت على عدم التّفاوض الانفرادي مع أيّة قوّة من قوّات الاحتلال إلاّ بموافقة الطّرفين الآخرين، وحملت الوثيقة إمضاء الأمين دبّاغين عن حزب الشعب والمنجي سليم وعلالة البلهوان عن الدّستور الجديد، ومحمد بن ناصر عن حزب الاستقلال. أنظر:

Ben Youcef Ben Khadda, op, cit, p p108.109 .

[2] – محمد عبّاس، حديث الاثنين مع المناضل حامد روابحية، الحلقة الأول، جريدة الشعب، العدد 12، الجزائر، 12 جانفي 1987.

[3] – معمّر العايب، مؤتمر طنجة المغاربي (دراسة تحليلية تقييميه)، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص ص 42. 43.

[4] – Noureddine Sraieb, Politique culturelles nationales et unité maghrébine, In Annuaire d'Afrique du Nord 1970, paris, 1971, p105.

[5] – Aron Robert et autres, Les origines de la guerre d'Algérie, Ed. Fayard, Paris, 1992, p 66.

الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، كما وضع لها قانونا أساسيّا يهدف بالدّرجة الأولى إلى استقلال أقطار المغرب العربي استقلالا تامّا[1]، حيث جاهدت الجبهة جهادا متواصلا في سبيل إيصال صوت المغرب العربي إلى الدول العربية عبر الجامعة العربية، وإلى دول العالم عبر منظّمة الأمم المتّحدة، من خلال تقديم المذكّرات ورفع الاحتجاجات والاتّصال بالهيئات والأندية والالتقاء بالشّخصيات والمسؤولين في الوطن العربي وخارجه[2].

وخلال المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، فإنّ الدّارس للعلاقات التي كانت سائدة بين الحركات الاستقلالية في أقطار المغرب العربي، سيقف عند المنحى الجديد الذي ميّز نشاطها، والمتمثّل في كثافة الاتّصالات والمشاورات بين القادة المغاربة، وعيًا منهم بأهمّية المواجهة الموحّدة للعدّو المشترك[3]. وقد أدّت هذه الاتّصالات واللّقاءات إلى الإعلان عن تأسيس "مكتب المغرب العربي" من القاهرة في منتصف شهر فيفري 1947[4]، الذي وجّه عناية بالغة الأهمية لقضيّة التّنسيق بين الحركات الوطنية في بلاد المغرب. من خلال إلحاحه على ضرورة الاتّفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قُطر، وإحكام الرّوابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة لتحقيق الاستقلال التّام[5].

لقد كان من أهمّ الأعمال التي قام بها مكتب المغرب العربي بعد فترة وجيزة من تأسيسه، هو ترتيب عمليّة لجوء عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة، هذا الأخير الذي أعطى دفعًا جديدًا لنشاط المكتب، حين قام بتأسيس "لجنة تحرير المغرب العربي" في 05 جانفي 1948، التي أسندت رئاستها إليه، وضمّت ممثّلين عن جميع الأحزاب المكوّنة لمكتب المغرب العربي[6]. وقد عملت هذه اللّجنة على تحقيق الاستقلال التّام لكافة أقطار المغرب، من خلال تأكيد ميثاقها على أنّ الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التّام لكلّ أقطاره (تونس، الجزائر، مراكش)[7].

---

[1] – الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ط3، دار الهدى للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1991، ص 269.

[2] – المختار نزّار، وحدة المغرب العربي. الفكرة والتّطبيق (1918 – 1958)، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011، ص 79.

[3] – عامر رخيلة، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلّة المصادر، العدد 4، القرص المضغوط، المرجع السّابق.

[4] – إدريس الرّشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 67.

[5] – علال الفاسي، المصدر السّابق، ص 314. أنظر كذلك: إدريس الرّشيد، المصدر السّابق، ص 87.

[6] – نفسه، ص 339.

[7] – أحمد بن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة. دراسات ووثائق، منشورات عكاض، (د.م)، (د.ت)، ص 52.

وزيادة على ما سبق ذكره، تجب الإشارة إلى توطّد العلاقات التونسية الجزائرية، في إطار النّضال المغاربي المشترك، من خلال النّشاطات التي كانت تشرف عليها الأحزاب الوطنية المؤطّرة للجاليّات المغاربية في المهجر، وهو ما أكّده المناضل التونسي أحمد بن صالح، حين قال: « إنّ تجربة العمل المشترك في فرنسا، أفادت كثيرًا في التّقارب بين الحركات السيّاسيّة والعمّالية الشّمال إفريقية، وفي هذه الأجواء تعمّقت وشائج الأخوّة واستحكمت روابط الصّداقة مع الإخوان الجزائريين »[1].

ومن ثمار هذا التّقارب نذكر ذلك الاجتماع التّنسيقي الذي جمع بين الأحزاب الوطنية المغاربية[2] في شانتيي (فرنسا) بمقرّ إقامة مصالي يوم 28 جانفي 1952، أين وقّعت الأحزاب الحاضرة على تصريح ينصّ على ضرورة الاتحاد فيما بينها لمواجهة العدوّ المشترك[3]. كما قرّرت الأحزاب المغاربية الحاضرة بعد دراستها للمستجدّات الحاصلة في المغرب العربي، تنسيق أعمالها وإحداث "جبهة الاتحاد والعمل المغربية"[4] يوم 02 فيفري من نفس السنة، التي نصّ ميثاقها على تعهّد الأحزاب بمتابعة الكفاح ومضاعفته في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار، والوصول بأقطارها في دائرة ميثاق الأمم المتّحدة إلى نظام دول ديمقراطي تتمتّع فيه بسيّادتها الكاملة[5].

---

[1] – عبد الجليل التميمي وآخرون، شهادة أحمد بن صالح السيّاسية. إضاءات حول نضاله الوطني والدولي، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، زغوان، 2002، ص ص 94. 96.

[2] – الأحزاب الحاضرة هي: (حركة انتصار الحريات الديمقراطية، جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) عن الجزائر، (حزب الاستقلال، حزب الإصلاح الوطني، حزب الوحدة، حزب الشورى والاستقلال) عن المغرب، (الحزب الدستوري القديم، الحزب الدستوري الجديد، الجبهة الوطنية التونسية) عن تونس. أنظر: "من بوادر الوحدة المغاربية". جريدة المنار، السنة الأولى، العدد15، 01 فيفري 1952، ص 02.

[3] – نفسه.

[4] – "جبهة مغربية (مغاربية) "، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 16، 15 فيفري 1952، ص 03.

[5] – "ميثاق الجبهة المغربية"، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 19، 28 مارس 1952، ص 02.

إنّ ما يمكن ملاحظته بعد عرض العلاقات السيّاسية بين الجزائر وتونس خلال الفترة التي سبقت الثورة التحريرية الجزائرية، هو أنّ هذين البلدين قد مثّلا بالفعل كتلة واحدة، إذ لا يمكن فصل جزء منها عن الآخر، فإلى جانب ارتباطهما بالجوار الجغرافي وبوحدة الدّين واللّغة والتّاريخ والمصير المشترك، ظهرت عوامل سيّاسية أخرى عملت على تكريس وحدتهما أكثر فأكثر، وتمثّلت بصفة خاصّة في التّواجد الاستعماري الدّخيل على هذين القطرين، الأمر الذي دفعهما إلى توحيد جهودهما النّضالية للدّفاع عن مطالب شعوبهما، ومواجهة السيّاسة الاستعمارية إلى غاية تحقيق الاستقلال .

الفصل الأول

الخلفيّات التّاريخية لظهور الحركة اليوسفية.

1- الهجرة إلى القاهرة وبداية الخلاف بين الدستوريين التونسيين.

1-1- الخلاف البورقيبي الثامري.

1-2- الخلاف البورقيبي اليوسفي.

2- تباين استراتيجيّات العمل النّضالي وانقسام الدستوريين التونسيين.

2-1- الخلاف بين الدستوريين حول أسلوب النّضال.

2-2- تطوّر الخلاف وانقسام الدستوريين التونسيين.

3- الخلاف حول اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي وميلاد الحركة اليوسفية.

3-1- المفاوضات الفرنسية التونسية واتفاقيات الاستقلال الدّاخلي.

3-2- بروز الخلاف حول الاتفاقيات وميلاد الحركة اليوسفية.

إنّ البحث عن جذور نشأة الحركة اليوسفية لا يكون إلا من خلال تقليب ماضي الحزب الدّستوري الجديد، لعلّنا نعثر بذلك على بذور الانشقاق الذي حدث داخل قيّادة الحزب والذي انفجر فجأة بدون سابق إنذار، في ظرف حاسم يستوجب توحيد الصّفوف لإجبار فرنسا على التخلّي عن مستعمرتها تونس، وهو ما يؤكّده المناضل حسين التريكي في شهادته عن اليوسفية، حيث يقول: «...ولمعرفة حقيقة الحركة اليوسفية يجب البحث عن جذور الانشقاق في الظّروف التي عاشها الوطنيّون التونسيّون خلال سنوات 1946-1947-1948، إذ أنّ الخلاف الكبير الذي تفجّر داخل الحزب والحركة الوطنية يعود إلى هذه الفترة، لكنّه لم يجد فرصة التّعبير عن نفسه إلا في فترة لاحقة، أي في سنة 1955...»[1].

وعليه لم تكن الحركة اليوسفية وليدة لحظات الإمضاء على وثيقة اتّفاقيات الحكم الذّاتي الموقّعة بين حكومة الطّاهر بن عمّار التّفاوضيّة والحكومة الفرنسية في جوان 1955، بل أن جذورها تعود إلى سنوات سابقة، أي السّنوات التي رحل فيها الحبيب بورقيبة إلى المشرق للتّعريف بالقضيّة الوطنية التونسيّة وغيّابه عن الوطن لمدّة طويلة، كما أنها لم تكن ناتجة عن الخلاف بين بورقيبة وصالح بن يوسف فحسب، خصوصًا ونحن نعلم أنّه خلال هذه الفترة (أي فترة غيّاب بورقيبة) ظهرت بوادر خلاف حادّ بين بورقيبة وكثير من زعماء الحركة الوطنية مثل الحبيب ثامر الذي كان يُقيم بالقاهرة صحبة بورقيبة[2].

من هذا المنطلق، فإنّ معرفة جذور الحركة اليوسفية تتطلّب منّا الوقوف عند أهمّ التطوّرات التي عرفها الحزب الدّستوري الجديد خلال المرحلة الممتدّة من 1945 إلى 1955، باعتبار أنّ الحزب قد عرف خلالها فترات من التوتّر والمشادّات بين عناصره، كان لها أثر كبير في ظهور الحركة اليوسفية كحركة معبّرة عن الانشقاق الذي حدث في صفوف الوطنيين التونسيين داخل الحزب الدستوري التونسي.

---

[1] – عدنان المنصر، اليوسفية من خلال المصادر الشفوية. دراسة في الخطاب، مجلّة روافد، العدد 02، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 1996، ص ص 102 . 103 .

[2] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، مطبعة الرّشيد– الياسمينة، تونس، 2006، ص 25.

1- الهجرة إلى القاهرة وبداية الخلاف بين الدّستوريين التونسيين.

بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت القاهرة الوجهة الجديدة للقيّادات الوطنية في المغرب العربي، مثل قيّادة الحزب الدّستوري التونسي القديم والجديد، ففي تلك الأثناء عمّت موجة من التحرّر داخل المستعمرات وتصاعدت الأصوات المطالبة بالانعتاق، كما تأسّست جامعة الدوّل العربية في مارس 1945، ومنظّمة الأمم المتّحدة في أكتوبر من نفس السنة، وأضحى تدويل القضيّة التونسية من بين استراتيجيّات القيّادة الحزبية التي رأت أن تطرق أبواب الجامعة العربية في القاهرة للتّعريف بالقضية التونسية في الخارج، فارتأى بورقيبة اللّجوء إلى مصر لكسب تأييد ومساندة الدوّل العربية، وقام برحلته إلى الشّرق في ربيع 1945[1]. ثمّ التحق به في السنة المواليّة كلّ من الحبيب ثامر والرّشيد إدريس وحسين التريكي، وتأسّست نواة حزبيّة في القاهرة ستؤلف فيما بعد القيّادة التونسية في هيئة تحرير المغرب العربي، التي سيتمّ بعثها لتوحيد النّضال بين شعوب الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس- الجزائر- المغرب)[2].

1-1- الخلاف البورقيبي الثامري.

لئن كانت ظروف الاغتراب وحساسيّة القضيّة التونسية تفرض الانسجام بين عناصر المجموعة، فإنّ مجموعة الدستوريين التونسيين بمصر خلال الفترة الممتدّة من 1945 إلى 1949 لم تكن منسجمة، إذ برز خلاف حادّ بين العنصر الأساسي فيها "الحبيب بورقيبة" وبقيّة العناصر الذين كان يتزعّمهم "الحبيب ثامر"، ويمكن اعتبار هذا الخلاف قد نشأ بين قيّادة ترى أنّ إرثها النّضالي يكسبها حرّية التصرّف وأحقّية أخذ القرار. فبورقيبة الذي كان له الدّور البارز في تأسيس الحزب وظلّ يتنقّل بين المنافي والسّجون، قد اكتسب بذلك شرعيّة التصرّف المطلق في الحزب وكأنه ملك خاصّ به، لذلك فهو يعتقد بإمكانيّة تصرّفه في

---

[1] - كان الزّعيم الحبيب بورقيبة تحت الإقامة الجبرية في العاصمة، وفي يوم 26 مارس 1945 خرج منها متنكّرا في رحلة العذاب الشّاقة إلى مصر، وساعده على ذلك أحد رفاقه الحبيب عاشور الذي أخفاه ليلتين في جزيرة قرقنة (27 و28 مارس) بترتيب مع علي عزيز رئيس شعبة الشرفي وصهره محمّد العون الذي يعرف ليبيا جيّدا، هذا الأخير الذي رافق الزّعيم بورقيبة مصطحبًا معه خليفة حوّاص من قرقنة في سفينة شراعيّة حتى وصلوا طرابلس يوم 18 أفريل، فرجع محمّد العون وأتمّ بورقيبة وخليفة حوّاص رحلتهما إلى القاهرة إلى أن وصلوها يوم 26 أفريل 1945. أنظر: عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبيّ. تونس (1881-1956)، مركز النّشر الجامعي، تونس، 2001، ص 355. (بتصرّف).

[2] - عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 26.

موارد الحزب وتوجيهها الوجهة التي يرتضيها دون محاسب ولا رقيب، هذا التوجّه البورقيبي لم يقبله المناضل الحبيب ثامر الذي كان يعتبر نفسه ليس أقلّ وطنيّة من بورقيبة، باعتبار أنّ الفضل يعود إليه في انتشال الحزب من الضّياع إثر اعتقال قيّادته أثناء أحداث أفريل 1938[1]، لذلك نجده يتصدّى لبورقيبة ويُعيب عليه انفراده بالرّأي ويعلّمه أنّ بورقيبة ليس له إلاّ رأي من بين آراء المجموعة، وأنّ قيّادة الحزب قد فوّضت له (أي للحبيب ثامر) مسؤولية التصرّف المالي للمجموعة التونسية المهاجرة[2].

حينئذ شعر بورقيبة أنّ عصمته كزعيم قد خُدشت، وأنّ البساط الذي اعتقد أنّه أحقّ من يتربّع عليه بدأ يُسحب من تحت قدميه، خاصّة بعدما تعرّض لجملة من الانتقادات التي تجاوزت رفض طريقة تسييره لمجموعة التونسيين بمكتب المغرب العربي في القاهرة، إلى التّجريح في شخصه كرمز زعاماتي، وغدت نزواته وعلاقاته المشبوهة منشورة على صفحات مختلف الجرائد والصّحف[3].

هكذا يتّضح لنا أنّ الاختلاف حول طريقة التّسيير واتخاذ القرارات المتعلّقة بشؤون الحزب، قد عجّل بانشقاق الدستوريين التونسيين في القاهرة وانقسامهم إلى طرفين، كما وجد هذا الانقسام تداعيّاته على المستوى الدّاخلي أيضا (داخل تونس) مثلما سيتّضح لنا من خلال التطرّق للخلاف البورقيبي اليوسفي.

---

[1] – في أوائل 1938 وقع أوّل صدام بين الجيش الفرنسي والجماهير التونسية في مدينة بنزرت، جرح واستشهد فيه عدد كبير من الوطنيين، فما كان من قيّادة حزب الدّستور الجديد إلا أن دعت في مارس 1938 المجلس المركزي للحزب كي يُصادق على قرارات المؤتمر التي تدعو إلى عدم الخضوع للقمع الاستعماري ورفض القوانين الاستعمارية، وهو ما أدّى إلى وقوع عدّة معارك بين المواطنين والقوّات الاستعمارية في 9 أفريل 1938 في وادي مليز والكاف وسوق الأربعاء ونفطة، حيث سقط مئات الشهداء والجرحى واعتقل عدد هائل من المناضلين، كما طارد الاستعمار قادة الحزب ومناضليه أمثال صالح بن يوسف، المنجي سليم، الحبيب بورقيبة، يوسف الرويسي، الهادي نويرة ...، هؤلاء الذين زُجّ بهم في السّجن العسكري بتونس قبل أن يُنقلوا منه إلى حصن سان نيكولا بمرسيليا، وفي مثل هذه الظّروف الصّعبة التي حلّت بالحزب عاد الدكتور الحبيب ثامر من فرنسا ليتولّى قيّادة الحركة الوطنية، فأعطاها دفعا قويّا واستمرارية في النّضال من خلال تشكيل عدّة خلايا سرّية، كما قام بتأسيس جريدة تونس الفتاة. أنظر: الطّاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية. رؤية شعبية قومية جديدة، ط، دار المعارف للطبّاعة والنّشر، تونس، (د.ت)، ص ص 66. 67.

[2] – خالد عبيد، الخلاف البورقيبي الثامري، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 97. 98، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، أوت 2000، ص 110.

[3] – في هذا الصّدد أصدر "علي المقدميني" وهو تونسي الأصل، عدّة مقالات على صفحات جريدة الحوادث المصرية، فضح فيها ممارسات بورقيبة وشهّر بنزواته في شواطئ الإسكندرية، حيث كان يبذر أموال الحزب التي تبرّع بها الدّستوريين لدعم قضيّتهم الوطنية. أنظر: عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 28.

1-2- الخلاف البورقيبي اليوسفي.

إنّ الوضع الذي آلت إليه قيّادة حزب الدّستور في الخارج، هو الذي جعل مجموعة من المناضلين الدستوريين في الدّاخل من أمثال: مبروك عبد الصّمد، علي الزليطني، إبراهيم عبد الله، عبد الرّحمن بن خليفة...، تتّصل بالمناضل صالح بن يوسف للتّباحث معه حول تداعيّات الحملة التي تستهدف الزّعيم بورقيبة، مُطالبين منه أن يكون للحزب الدّستوري موقف واضح من هذه المخاطر التي أصبحت تهدّد مصداقيّته وتنال من صرح وحدته[1].

وقبل عرض موقف صالح بن يوسف من طلب الدستوريين، لا بدّ من التطرّق إلى وضعيّة الحزب الدستوري الجديد خلال فترة غيّاب بورقيبة، فكما سبق وأن أشرنا، فإنّ غالبيّة الوطنيين التونسيين قد فضّلوا الهجرة إلى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة ما وجدوه من تنكيل من طرف فرنسا المنتفضة على مستعمراتها، وأصبح الحزب نتيجة لذلك كالجثّة الهامدة التي لا حراك فيها ولا حياة، وفي مثل هذه الظّروف التي تردّت فيها أوضاع الحزب، تسلّم الزّعيم صالح بن يوسف مسؤوليّة قيّادة الحزب، وقرّر إعادة ترتيب البيت الدستوري وإعداده للمرحلة الحاسمة من تاريخه النّضالي[2].

لقد آمن صالح بن يوسف بأنّ وحدة صفوف الوطنيين وتراصّهم صفّا واحدا هو الكفيل بوضع حدّ لهيمنة فرنسا الاستعمارية وعودة السيّادة للتونسيين، وأنّ فرنسا مهما طغت لن تقوى على مجابهة مستعمراتها المنتفضة في آن واحد، لذلك عمل على إعادة تنظيم الحزب وربط خلاياه ببعضها البعض، مُظهرا بذلك مقدرة تنظيميّة خارقة للعادة. وعملا بمبادئ التّعبئة الوطنية الشّاملة دعا بن يوسف إلى عقد مؤتمر في 23 أوت 1946 سميّ بمؤتمر ليلة القدر[3]،تحت رئاسة القاضي الوطني "العروسي الحدّاد" بحضور مختلف القوى السيّاسيّة في البلاد بما فيها الأحزاب والنّقابات العمّالية والزّراعية

---

[1] - Rous Jean, Habib Bourguiba, Ed Martina sart, Paris, 1984, p p 94 .95.

[2] - Mohammed Sayah, Le nouvel Etat aux prises avec le complot Youssefiste (1956- 1958),Tome 3, Dar El Amel, Tunis, 1983, p11.

[3] - سمّي بمؤتمر ليلة القدر لأنّه انعقد في ليلة 27 رمضان بالعاصمة تونس، أي في ليلة القدر الفاصلة بين 23 و24 أوت 1946، في دار عيسى طرّاد بحضور حوالي 200 شخصيّة من مختلف أنحاء البلاد. أنظر عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص 360.

ونقابات الموظّفين ومندوبين عن جامع الزيتونة[1]، وأحيلت كلمة الافتتاح للأستاذ "صالح فرحات" من الحزب الدستوري القديم الذي دعا إلى توحيد صفوف الوطنيين ضدّ المستعمر الفرنسي، ثم أخذ صالح بن يوسف الكلمة فدعا هو الآخر إلى المطالبة بالاستقلال معلنا أنّ ساعة الخلاص قد دقّت، كما طالب بمبايعته على الاستقلال التّام لتونس، فهتف الجميع "الاستقلال...الاستقلال"، لذلك سميّ هذا المؤتمر بمؤتمر الاستقلال[2].

ومن جهته أيضا، أعلن رئيس المؤتمر القاضي الوطني "العروسي الحدّاد" من فوق منصّة المؤتمر "الحكم بالإعدام على النّظام الاستعماري في تونس والمغرب العربي كلّه"، واتخذ المؤتمر قرارا بالإجماع للمطالبة بالاستقلال التّام والانضمام إلى جامعة الدّول العربية ومنظّمة الأمم المتّحدة[3]، فما كان من السّلطات الاستعمارية إلا أن ردّت على المؤتمرين بحملة واسعة من الاعتقالات التي شملت عددا من الوطنيين التونسيين من أمثال: صالح بن يوسف، محمد الماطري، الفاضل بن عاشور، سليمان بن سليمان...، بتهمة التآمر على أمن الدولة الدّاخلي والخارجي[4]. وعن هذه الاعتقالات يذكر سليمان بن سليمان أنّ حاكم التّحقيق الفرنسي أمر بإطلاق سراحه في 02 سبتمبر 1946، كما تمّ الإفراج عن الجميع يوم 23 سبتمبر1946[5].

هكذا يكون صالح بن يوسف قد نجح من خلال دعوته لعقد مؤتمر ليلة القدر في توحيد جميع الاتجاهات والمشارب السيّاسيّة، وجعلها كتلة واحدة متراصّة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، ولم يكتف بهذا بل سعى أيضا إلى توحيد منظّمات مهنيّة في شكل اتحادات وطنية لدعم التوجّه الوطني، حيث عمل على تنظيم نقابات الفلاحين تحت اسم "الاتحاد العام للفلاحة التونسية" ونقابات التجّار

---

[1] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 71.

[2] – محمد مختار ناصري، الحركة الوطنية التونسية بين البورقيبية واليوسفية، شهادة كفاءة في البحث، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة تونس، تونس، 1991، ص 24.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 72.

[4] – عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص 361.

[5] – Slimane Ben Slimane, Souvenirs politiques, Cérès production, Tunis, 1989, p209.

والحرفيين باسم "الاتحاد العام للصّناعة والتّجارة"، كما ساعد على تكوين اتحاد العمّال ونقابات الموظّفين التي أصبحت تسمّى "الاتحاد العام التونسي للشغل"[1].

وللإشارة فإنّ هذه المنظّمات التي عمل الحزب الدستوري الجديد بقيّادة صالح بن يوسف والمنجي سليم على تكوينها، هي التي ستُمكّن الحزب وتساعده على الاتّصال بمختلف شرائح الشعب التونسي، خاصّة بعدما تم السّماح لها بالعمل من طرف السّلطات الاستعمارية بموجب قانون النّقابات والجمعيّات المهنيّة[2].

إضافة إلى ما سبق، فقد سعى صالح بن يوسف كي يستفيد الحزب والعمل الوطني من كلّ الكفاءات التونسية مهما كان موقعها، لاستقطاب بعض الرّموز الوطنية التي تتمتّع بقدرة كبيرة على مستوى التأثير في الإرث المقدّس للمجتمع التونسي، فضمّ بذلك بعض مشايخ جامع الزيتونة إلى حظيرة الحزب أمثال الشّيخ "الفاضل بن عاشور" و"الشاذلي بالقاضي"[3]، وعمل على إلحاقهما بتركيبة الدّيوان السيّاسي[4]، فأضحى الحزب مفتوحًا أمام كفاءات شابّة اقتحمت هياكله في المدن والقرى في الدّاخل لتبعث بذلك دماء جديدة في الحزب[5].

إنّ هذا التطوّر الذي عرفه الحزب الدستوري الجديد خاصّة على المستوى الدّاخلي بقيّادة صالح بن يوسف، هو الذي أقلق بعض الدستوريين القدامى أمثال "علالة العويتي" و"محمود شرشور" و"محمود زهيوة" و"الشاذلي قلالة "، هؤلاء الذين رأوا في هذا التوجّه اليوسفي خطرا على مواقعهم في

---

[1] – الهادي التّيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932–1955)، دار محمّد علي للنّشر والتّوزيع، تونس، 1983، ص ص 186. 188. (بتصرّف).

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 75.

[3] – بعد مؤتمر ليلة القدر وقع ضمّ الشّيخ الفاضل بن عاشور والشّيخ الشاذلي بالقاضي إلى عضوية الدّيوان السيّاسي للحزب الدستوري الجديد، لكن صالح بن يوسف لاحظ قوّة شعبية الفاضل بن عاشور خلال الاجتماع الكبير الذي عُقد احتفاءً بالذّكرى الثانية لتأسيس الجامعة العربية في 22 مارس 1947، لذلك عمل على إخراجه من الدّيوان السيّاسي. أنظر:

Slimane Ben Slimane, op,cit, p 228.

[4] – ركن من أركان الحزب الدستوري الجديد، يتشكل من رئيس، كاتب عام ومعاون له، أمين مال ومعاون له. يجتمع مرّة في كلّ أسبوع على الأقل للنّظر في شؤون الحزب وحاجاته، كما يجمع الديوان السيّاسي بين سلطتي القرار والتنفيذ. أنظر: عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955–1956)، ط1، دار نهى للنشر، صفاقس، 2011، ص 97.

[5] – محمّد مختار ناصري، المرجع السّابق، ص 25.

الحزب، لأنّ كفاءات جديدة أصبحت تزاحمهم المسؤوليّات، فسعى كل من "علالة العويتي" و"محمود شرشور" إلى مراسلة الحبيب بورقيبة يُنذرونه بسوء العاقبة ويُطالبونه بضرورة العودة إلى تونس، لأنّ صالح بن يوسف والمنجي سليم قد استوليا على الحزب في فترة غيّابه، وهو ما أدّى إلى توتّر العلاقات بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة، باعتبار أنّ هذا الأخير لم يعد مطمئنّا على ما جرى في تونس أثناء غيّابه عنها[1].

هكذا يتّضح لنا أنّ الخلاف لم يعد حكرا على الدستوريين في الخارج، خاصّة بعدما ساءت العلاقة بين بورقيبة وبن يوسف، كما تجب الإشارة أيضا إلى توتّر العلاقة خلال هذه الفترة بين رئيس لجنة تحرير المغرب العربي "عبد الكريم الخطابي" و"الحبيب بورقيبة" زعيم الحزب الدستوري الجديد في القاهرة، نتيجة اتّصالات بورقيبة المريبة من وراء ظهر اللّجنة وعمله الدّائب على استثمار أعمالها لإبراز ذاته وشخصه بوجه خاصّ، وهو ما انعكس سلبا على علاقات بورقيبة كأمين عام لمكتب المغرب العربي بالإخوة المغاربة في المكتب، خاصّة مع عبد الكريم الخطابي الذي قرّر سنة 1948 طرد بورقيبة من هيئة مكتب المغرب العربي متّهما إيّاه بالتّعاون مع فرنسا[2].

حينئذ شعر بورقيبة بحصار شديد، فهو من ناحيّة لا يستطيع العودة إلى تونس لأنّه خرج منها خفية ودون إذن من السّلطات الاستعمارية، ومن ناحية ثانيّة تطوقه التهجّمات الإعلامية وطعنات بعض الرموز (الحبيب ثامر، يوسف الرويسي، عبد الكريم الخطابي)، لذلك نجده يعبّر عن تضايقه من استمرار إقامته بمصر. فكيف سيكون موقف بورقيبة من هذه التحدّيات التي أصبحت تواجهه؟.

لقد رأى بورقيبة ضرورة ملاقاة بن يوسف بسويسرا ليناقش معه الأوضاع التي تضايقه وتؤرّق مضجعه حول مستقبله السيّاسي، وحول المسار الذي اتخذه الحزب في غيّابه، لكن صالح بن يوسف رفض ملاقاته وبعث إليه المناضل سليمان بن سليمان، حيث تم الاجتماع بين بورقيبة وسليمان بن سليمان والحبيب ثامر ويوسف الرويسي، ورغم أنّ سليمان بن سليمان لم يتحدث في مذكّراته عن مضمون الحوار الذي دار بين المجتمعين، إلا أنّ الظّاهر أنّ قراراته لم تكن ترض بورقيبة، لأنّ هذا الأخير استدعى سليمان بن سليمان بعد يوم واحد من الاجتماع وأراد أن يمليّ عليه بعض القرارات،

[1] – عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 32. أنظر كذلك: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 74.

[2] – إدريس الرّشيد، المصدر السّابق، ص 140.

لكنّه رفضها جملة وتفصيلا باعتبار "أنّ القرارات لا بدّ أن تكون جماعيّة أولا تكون"[1]، ومما جاء في ردّ سليمان بن سليمان على بورقيبة قوله: «عندما انتخبني الدستوريون في الدّيوان السيّاسي لم يُوصوني بأنّ الكلمة الأخيرة عند نشوب خلاف للكاتب العام بورقيبة، وعندما انخرطت في الحزب لم أجد مثل هذا الشّرط في قانونه الأساسي»[2].

إنّ ما يمكن ملاحظته من خلال هذا اللّقاء، هو أنّ تمسّك المناضل سليمان بن سليمان بمبادئ العمل الجماعي واحترام قرارات المجموعة ضرب بورقيبة في الصّميم، وأطاح بكبريّائه واستعلائه على بقيّة إخوانه في النّضال، ممّا زاد في قناعته بأنّه لا جدوى من بقائه في مصر، فضاعف من إصراره على ملاقاة صالح بن يوسف، هذا الأخير الذي سافر إليه في صائفة 1948 مصحوبا بممثّل الحزب في فرنسا المناضل "جلّولي فارس" الذي كان على علم بكل ما يتمّ بين الطّرفين، باعتباره المنسّق بين القيّادة ومناضلي الحزب في الدّاخل والخارج، كما استدعى صالح بن يوسف ممثّل الحزب بدمشق المناضل "يوسف الرويسي" لمرافقته إلى مصر. ورغم أنّ المجموعة التونسية قد استفادت من زيّارة بن يوسف الذي عمل على المصالحة بين إخوة النّضال المغاربي، إلا أنّ بورقيبة لم يستفد من لقائه بصالح بن يوسف، حيث استمرّ ترسيخ الخطّ الثامري وتدعيم القيّادة الجماعيّة على حساب الاستئثار بالرّأي والخطّ الانفرادي في العمل الحزبي، وهو ما زاد في توتّر علاقته ببقيّة أعضاء المجموعة التونسية المهاجرة، كما تعمّقت قناعته بضرورة العودة إلى تونس لأنّه لم يعد يثق في خطّ بن يوسف والمنجي سليم في الدّاخل، خاصّة بعدما تأكّد أنّ الطّوق الذي يحاصره به الحبيب ثامر في القاهرة، ما هوّ إلا امتداد لمؤامرة تحاك ضدّه في الدّاخل[3].

وبناء على ما سبق، فإنّ توتّر العلاقات بين الدستوريين التونسيين والحبيب بورقيبة، هو الذي جعل التيّار اليوسفي يتعزّز يوما بعد يوم، خاصّة بعدما انضمّ أغلب رموز الحزب الدستوري التونسي الجديد سواء منهم المتواجدين في الدّاخل أو الخارج إلى المناضل صالح بن يوسف، وبات الوضع يُوحي

---

[1] – Slimane Ben Slimane, op,cit, p 253.

[2] – خالد عبيد، المرجع السّابق، ص 112.

[3] – عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 39.

بميلاد حركة واسعة يتزعّمها بن يوسف الذي نجح إلى حدّ كبير في توحيد جميع الاتجاهات الوطنية والمنظّمات المهنيّة في تونس، وجعلها كتلة واحدة تقف في مواجهة فرنسا الاستعمارية[1].

وأمام هذا الوضع اضطر الحبيب بورقيبة في محاولة منه للخروج من عزلته، إلى المصالحة مع فرنسا، حيث بعث برسالة إلى المقيم العام السّابق لفرنسا بتونس "أرمان قيون" بواسطة ابنه "الحبيب الابن"، يطلب فيها منه التدخّل مع الخارجية الفرنسية للسّماح له بالعودة إلى تونس، حيث ساندت وزارة الخارجية الفرنسية بورقيبة وأيّدت قرار عودته إلى تونس[2].

لقد كشف الحبيب بورقيبة عن ظروف وملابسات عودته إلى تونس حين قال: «أنّ السّفارة الفرنسية بالقاهرة اتّصلت به تطلب منه العدول عن قرار عودته إلى تونس أو إرجاء ذلك إلى تاريخ لاحق على الأقل لأنّ هناك مفاوضات جارية في تونس، ولعلّ وجوده بها يدخل اضطرابات عليها، غير أنّه وعد بالسّعي لإنجاحها»[3].

كما أبرق صالح بن يوسف الحبيب بورقيبة يطلب منه تأجيل موعد عودته لأنّه لم يكن ممّن يرغب في عودته إلى تونس، بعدما أصبح ماسكا بزمام الدّيوان السياسي[4].غير أنّ بورقيبة رفض طلب بن يوسف، وأصرّ على أن يكون يوم عودته معلنا عنه، وهو ما تمّ بالفعل يوم 08 سبتمبر 1949[5] .

---

[1] – خالد عبيد، المرجع السّابق، ص ص 124 .125.

[2] – عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص 382.

[3] – Habib bourguiba, Ma vie, mes idées, mon combat, publications du secrétariat d'état à L'information, Tunis, 1977, p 250.

[4] – عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص 383.

[5] – Habib Bourguiba, op, cit, p252 .

2- تباين استراتيجيّات العمل النّضالي وانقسام الدستوريين التونسيين.

لم يقتصر الخلاف بين رموز قيّادة حزب الدّستور الجديد على طريقة تسيير الحزب وضبط برامجه وأهدافه، ولم يكن الخلاف مقتصرا على قيّام قيّادة جماعيّة بتحدّي نزعة فرديّة تجنح لفرض الرّأي الزّعاماتي على حساب توجّه الأغلبيّة، بيد أنّ الخلاف تجاوز ذلك إلى التّباين حول استراتيجيّات العمل النّضالي بين قيّادة الحزب.

2-1- الخلاف بين الدستوريين حول أسلوب النّضال.

يبدو الخلاف واضحا حول أسلوب النّضال بين اتجاهين متناقضين: اتجاه يجنح إلى الطّرق السّلمية والتّفاوض مع المستعمر بطريقة مرنة يمثّله بورقيبة، يقابله اتجاه متصلّب يميل إلى الخيار الثوري وتبني أساليب المواجهة مع المستعمر، يمثّله صالح بن يوسف والحبيب ثامر[1].

فالحبيب بورقيبة، صاحب الإرث النّضالي، والمتنقّل بين مختلف المحطّات القمعية بسجون فرنسا في الدّاخل والخارج، نجده يتّخذ نهج المرونة مع فرنسا الاستعمارية، ويتبنى الخيار التّفاوضي مع المستعمر. ومما لا شكّ فيه أنّ هذا الخيار البورقيبي بقدر ما كان نتيجة حتميّة لشخصيّته الجانحة للمناورة والتقلّبات المتناقضة، بقدر ما كان أيضا إفرازا لما عرفته هذه الشخصيّة من خيبة أمل أثناء هجرته إلى المشرق واستقراره بالقاهرة، كونه لم يجد المساندة التي كان ينتظرها، ولم ينجح في تلميع صورته النّضالية بسبب خلافاته المستمرّة في النّضال مع إخوته التونسيين بصفة خاصّة (الحبيب ثامر، يوسف الرويسي، حسين التريكي)، والمغاربة بصفة عامّة (علال الفاسي، عبد المجيد جلون، الأمير عبد الكريم الخطابي)[2]. هذا فضلا على خلافه مع زعيم الحزب الدستوري القديم الشيخ محي الدين القليبي الذي نجح في تهميش الحبيب بورقيبة نتيجة الإشعاع الذي حقّقه القليبي في مصر، حيث حاز على ثقة القوّة السيّاسية المتمثّلة في الإخوان المسلمين، وتأييد الشيخ محمد الخضر حسين، الذي ساهم في تعيينه أمينا عامّا للجنة تحرير المغرب العربي عوضا عن بورقيبة[3].

---

[1] - عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 49.

[2] - نفسه، ص ص 50. 51.

[3] - Sayah Mohammed, op. cit, p 58.

وعلى العكس من ذلك نجد صالح بن يوسف والحبيب ثامر يرفضان سيّاسة المهادنة مع فرنسا، ويفضّلان أسلوب المواجهة المباشرة من أجل تحقيق المطالب المشروعة للتونسيين[1].

2-2- تطوّر الخلاف وانقسام الدستوريين التونسيين.

لئن لم تتبلور ملامح الخلاف بين هذين الاتجاهين إلا إثر مفاوضات اتّفاقيات الحكم الذّاتي بين الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية المفاوضة في جوان 1955، فإنّ بوادره ظهرت منذ استقرار الحبيب ثامر بالقاهرة، ففي الوقت الذي كان يجري فيه بورقيبة اتّصالاتبالخارجيّة الفرنسية في القاهرة بواسطة كاتب سفارتها " جان بيار سولي" في السّر مقدّما الخيار التّفاوضي، كان الحبيب ثامر يخطّط للعمل المسلّح في مواجهة المستعمر، حيث أحاط المناضل سليمان بن سليمان عند زيّارته إلى القاهرة في ربيع 1948 بعزمه ورغبته في تدريب بعض التونسيين على استعمال الرّاديو والشّفرة استعدادا للمواجهة المسلّحة مع الاستعمار الفرنسي[2].

إنّ هذا المنحى الثّامري كان في تطابق تامّ مع استراتيجيّات العمل النّضالي للأمير عبد الكريم الخطابي، الذي طلب منه الملك فيصل اختيّار مجموعة من المغاربة للتدرّب بالأكاديمية العسكرية ببغداد[3]، فكان من بين عناصر هذه المجموعة تونسيّان هما "عبد الله العبعاب" من بن قردان بتونس، و"أحمد جبارة" من المهديّة (تونس)[4]، كما أرسل الحبيب ثامر أيضا مجموعة من الطلبة التونسيين للتدرّب بالجيش السوري نذكر منهم: عز الدين عزّوز، الحبيب بوزقندة...، ولم يتمكّن الحبيب بورقيبة من اكتشاف هذه الاستراتيجية الثامرية في مواجهة الاستعمار إلا عندما تمّ استدعاؤه لحضور

---

[1] – إدريس الرّشيد، المصدر السّابق، ص 156.

[2] – Slimane Ben Slimane, op.cit, p 256.

[3] – أنظر الملحق رقم: 01 ، ص 207.

[4] – تتكوّن المجموعة المغاربيّة التي اختارها عبد الكريم الخطابي للتدرّب بالأكاديمية العسكرية ببغداد من تسعة عناصر هم: محمد الفزاري، محمد العلوي، الورياشي، سلام محمّد (من المغرب الأقصى)، تركي شياطة من الجزائر، عبد الله العبعاب وأحمد جبارة (من تونس)، إضافة إلى كاتب بلجنة تحرير الغرب العربي والكاتب الخاصّ للأمير عبد الكريم الخطابي. أنظر: إدريس الرّشيد، المصدر السّابق، ص 141.

احتفالات ذكرى الاستقلال بدمشق، أين تفاجأ بوجود عناصر تونسية عديدة ضمن استعراض عسكري للجيش السوري، الأمر الذي أثار غضبه خاصّة وأنه لم تتم استشارته من قبل[1] .

لقد رأى بورقيبة في هذا الخيار تعدّ لزعامته وطعنة في ظهره باعتبار أنّ التوجّه العسكري يخرج تماما عن المنحى السيّاسي الذي كان ينوي سُلوكه بعد ما شرع سرّا في بناء جسور التّفاوض مع فرنسا، كما أنّه لم تتمّ استشارته من قبل في مثل هذه التوجّهات[2]، أمّا المناضل المنجي سليم فإنّه يؤكّد بأنّ هذا المنحى الثّوري لم يكن قرارا خاصّا من طرف الحبيب ثامر وحليفه صالح بن يوسف، وإنّما شاركت فيه عدّة عناصر أخرى من قادة الحزب في الدّاخل والخارج[3]، لكنّهم تعمّدوا كتمان السرّ وعدم إحاطة بورقيبة بالأمر. وفي هذا الشأن يقول: «كنّا في الأمور الهامّة والخطيرة لا نعلم بورقيبة خشية أن ينسبها إلى نفسه ويتبجّح بها»[4].

ولعلّ ما يؤكّد إجماع أغلب قادة الحزب الدستوري سواء في الخارج أو الدّاخل على الاتجاه الثّوري، هو أنّ التّفكير في الخيار العسكري لم يكن حكرا على الحبيب ثامر ويوسف الرويسي في الخارج من خلال عزمهما على تكوين عناصر تونسية في المجال العسكري فحسب، بل في الدّاخل أيضًا، ففي تونس وقع التّفكير في منحى الجهاد المسلّح في مؤتمر ليلة القدر في أوت 1946، عندما طالب صالح بن يوسف المؤتمرين بمبايعته على الاستقلال التّام لتونس، فنادى كل من عبد القادر رزّوق وأحمد بن يونس دبيش بالمقاومة المسلّحة[5].

---

[1] – خالد عبيد، المرجع السّابق، ص 113.

[2] – عبد الكريم عزيز، المرجع السّابق، ص 391.

[3] – من أبرز قادة الحزب الذين أيّدوا الخيار الثوري نذكر: الحبيب ثامر، يوسف الرويسي، صالح بن يوسف، المنجي سليم، الهادي شاكر، عبد القادر عزوز... . أنظر: عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص 392.

[4] – عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 51.

[5] – محمد مختار ناصري، المرجع السّابق، ص 26.

وأثناء تشكيل حكومة شنّيق سنة 1950[1]، وتكليف صالح بن يوسف بإدارة شؤون وزارة العدل فيها[2]، شهدت البلاد انفراجا نسبيّا، فقام المناضل عبد القادر رزّوق بجولة في مختلف جبال أولاد عون للبحث عن الأماكن المناسبة لانطلاق الثورة المسلّحة والتّعبئة الميدانيّة للمقاومة، فجاب جبال السرج وبرڤو وبلوطة، وعقد العزم على اختيّار جبل"برڤو" كمكان مناسب بسبب حصانته، وكذلك لمشاركة أولاد عون القاطنين به في الثورة التونسية المسلّحة[3].

هكذا يتّضح لنا أنّ الجبهة الثورية العازمة على المواجهة العسكرية مع المستعمر كان لها صدى داخل تونس، لكنّها لم تتبلور إلا عند فشل المفاوضات التي راهن عليها بورقيبة، حيث انعقد مؤتمر الحزب يوم 18 جانفي 1952 ليضع حدّا لفترة عقيمة من المفاوضات التونسية الفرنسية وليعلن انطلاق شرارة الكفاح التحرّري، غير أنّنا لا نجد دعوة صريحة لكفاح مسلّح واضح المعالم في تصريحات الزّعماء، حيث بدأت الأعمال بسيطة ولم تتجاوز بعض الحوادث التّخريبية كقطع خطوط الهاتف وقنوات الميّاه وتنظيم المظاهرات...الخ[4]، ولعلّ هذا راجع إلى ما لقيّته قيّادة الحزب من قمع واضطهاد، إذ تمّ القبض على المنجي سليم والهادي شاكر كما سُجن أعضاء حكومة شنّيق أمثال" محمود الماطري ومحمد صالح مزالي ومحمد شنّيق"، هذا فضلا عن هجرة صالح بن يوسف ومحمد بدرة إلى القاهرة[5].

---

[1] – تشكّلت في 17 أوت 1950 برئاسة محمّد شنيّق، وعهد بوزارة العدل فيها إلى الأمين العام للحزب صالح بن يوسف، كلّفت بإجراء مفاوضات مع فرنسا حول الطّرق الكفيلة للسّير بتونس على مراحل متوالية نحو الاستقلال، وذلك بعد أن وافق المجلس الملّي للحزب الدستوري الجديد على إجراء مفاوضات مع فرنسا لتخليص السّلطة التنفيذية التونسية من جميع الشوائب غير التونسية التي من شأنها أن تعرقل حرية عملها. أنظر: أحمد القصّاب، تاريخ تونس المعاصر (1881– 1956) ،ط1، تعريب حمّادي السّاحلي، الشركة التونسية للتّوزيع، تونس، 1986، ص 616.

[2] – تم اختيّار صالح بن يوسف وزيرا للعدل بسبب علاقته المتينة مع الأمين باي وابنه الشاذلي باي، زيّادة على أنّه يتمتّع بحظوة الشعب في الآن نفسه، وبالتّالي ليس هنالك من هو أفضل منه، وهناك من المناضلين من أمثال عبد القادر رزّوق الذين يروا في انضمامه لحكومة شنّيق، مناورة منه لجرّ الباي إلى منح الحكومة التونسية تفويضًا لتدويل القضية الوطنية وعرضها على أنظار هيئة الأمم المتّحدة، لذلك نجده صحبة محمد بدرة في جانفي 1952 بباريس لعرض قضيّة تونس على هيئة الأمم المتّحدة بعد أن وصلت المفاوضات إلى النّفق المسدود . أنظر :

Abdelkrim Allagui, Une tentative de riposte au ministère Chenik à travers le journal l'indépendance, in actes de la Tunisie de 1950-1951, publication de l'I-S-H-M-N, Tunis, 1993, pp. 74.75.

[3] – عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص ص 384. 385.

[4] – عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص ص 53 .55. (بتصرّف).

[5] – محمد مختار ناصري، المرجع السّابق، ص ص 27. 28.

على كلّ، اتخذت الحركة الوطنية رغم معارضة بورقيبة، منهج الكفاح المسلّح خاصّة بعدما سدّت آفاق الحوار بين الطّرفين المتفاوضين، فخاض الشعب التونسي معارك ضاربة ضدّ الاستعمار الفرنسي، أبلى فيها الثوّار والمجاهدون البلاء الحسن وذادوا عن حرمة وطنهم لا يبغون من وراء كفاحهم مغنما غير الشّهادة في سبيل الوطن المفدّى، لكن الوضع لم يستمرّ على هذا الحال، إذ سرعان ما عاد بعض الوطنيين يتزعّمهم بورقيبة إلى الخيار التّفاوضي من جديد، الأمر الذي أدّى إلى تعميق حدّة الخلاف بين الوطنيين التونسيين حول استراتيجية العمل النّضالي، وانقسموا بذلك إلى تيّارين هما:

- تيّار يتزعّمه بورقيبة يركن إلى التّفاوض السّلمي مع الاستعمار الفرنسي.
- تيّار يتزعّمه صالح بن يوسف يدعو لمواصلة الكفاح المسلّح، ويرى أنّ ما قدّمته المفاوضات مع فرنسا، دون آمال الوطنيين الذين ضحّوا بأرواحهم وأراقوا دماءهم من أجل أن ينال وطنهم سيّادته الكاملة[1].

وللإشارة فإنّ التيّار الذي كان يتزعّمه صالح بن يوسف، قد تعزّز كثيرا خاصّة بعدما تلقّى تأييدا من طرف قادة الحزب الدستوري في الدّاخل أمثال الهادي شاكر وعبد القادر رزوق، وقادة الأحزاب المغاربيّة في القاهرة بما فيهم الأمير عبد الكريم الخطابي، الأمر الذي أدّى إلى ازديّاد شعبيّة صالح بن يوسف وتوسّع حركته النّضالية.

3- الخلاف حول اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي وميلاد الحركة اليوسفية.

3-1- المفاوضات الفرنسية التونسية واتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي.

لقد تعزّز التيّار الجاد إلى توجيه السيّاسة الفرنسية نحو التّفاوض والتّحاور مع الحركات التحرّرية في المستعمرات، خاصّة بعد هزيمة الجيوش الفرنسية في الهند الصّينية في معركة ديان بيان فو (مارس- ماي 1954) واندلاع المقاومة المسلّحة بالمغرب الأقصى في أوت 1953، فكسبت بذلك القضيّة التونسية تعاطفا متزايدًا لدى الأحزاب اليسارية واللّيبرالية، وتصاعدت أصوات عديدة داخل البرلمان الفرنسي وخارجه، تنتقد سيّاسة العنف في

[1] - عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 56.

تونس وتحث على التّفاهم مع الوطنيين التونسيين، وعلى هذا الأساس تمّ تكليف الراديكالي التحرّري "بيار منداس فرانس" في جوان 1954 برئاسة الحكومة الفرنسية لإخراج فرنسا من المأزق الذي تردّت فيه[1].

سارعت حكومة منداس فرانس إلى ربط الصّلة مع الوطنيين التونسيين، حيث تم الاتّصال سرّا عبر وسطاء بالحبيب بورقيبة[2] للتّشاور معه حول مراحل إنجاز الاستقلال الدّاخلي، وهو ما كشف عنه بورقيبة حين قال: « لقد طلب السيّد منداس فرانس مقابلتي بصورة سرّية، وفعلا تمت المقابلة في دار السيّد سماجة مدير صحيفة "كومبا"، واستعرض أمامي الوضع السيئ للحكومة الفرنسية بسبب المعارك في تونس والجزائر والمغرب، واستفسرني عن الحلّ، فقلت له: إنّكم تطاردون المقاومين في تونس، وهم يدافعون عن أنفسهم...، وعرضت عليه أن يعدني بكفّ الجنود الفرنسيين عن ملاحقة الفلاقة، مقابل أن أصدر لهم الإذن بتسليم أسلحتهم، لا للسّلطات الفرنسية، وإنما للجان حربية مشتركة من التونسيين والفرنسيين، تتولى بدورها تسليم السلاح للحكومة التونسية، فقبل الاقتراح، وحذّرته من مغبّة عدم الوفاء بالالتزام حين ذكرت له بأنّ إصابة أيّ عنصر من الفلاقة بأقلّ مكروه، سيعرّض الوضع للانفجار من جديد...». وعلّق بورقيبة عن هذا اللّقاء بقوله: « إنّ الاستقلال يظلّ الطّموح الأكبر للشعب التونسي، وتُشكّل مقترحات منداس فرانس مرحلة حاسمة في سبيل ذلك »[3].

---

[1] – عبد المجيد كريم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881–1964)، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2008، ص 167.

[2] – تعود جذور الاتّصال بالوطنيين التونسيين إلى الفترة التي سبقت تولي حكومة منداس فرانس للسّلطة، ففي مارس 1953 قام النائب الاشتراكي "ألان سفاري" بزيّارة بورقيبة في منفاه بجزيرة مالطة، وهي الزيّارة التي مهّدت لنقل الزّعيم إلى جزيرة قروى الفرنسية للتّفاوض معه، وبعد تولي حكومة منداس فرانس الحكم في 18 حزيران 1954، كلّفت ألان سفاري بمواصلة مهمّته، إلى أن تأكّدت فرنسا من أن بورقيبة أقدر على السّير بالمفاوضات إلى المستوى الذي تُريد فرنسا بُلوغه، خاصّة وأنّه أكّد في العديد من المرّات للصّحافة الفرنسية أثناء إقامته بمنفاه الجديد أنّ حزبه بريء من أعمال العنف التي تشهدها تونس. أنظر: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص112. أنظر أيضا: عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 72.

[3] – الطّاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة. سيرة زعيم. شهادة على عصر، مطبعة علامات، تونس، (د.ت)، ص 108.

إنّ هذه المواقف الصّادرة عن بورقيبة هي التي تبيّن لنا بوضوح استراتيجيته في التّعامل مع السيّاسة الفرنسية الجديدة بتونس، والمتمثّلة أساسا في قبول الحلول المرحليّة كخطوة أولية للتوصّل إلى الاستقلال التّام، حيث كان بورقيبة يثق كثيرا في صداقة ونزاهة منداس فرانس الذي كانت له علاقات ودّية معه[1].

وفي 30 جويلية 1954، صادق مجلس الوزراء الفرنسي على منح الاستقلال الدّاخلي لتونس، وتكليف الجنرال "بواي دي لاتور" القائد العام للقوّات الفرنسية بوظيفة المقيم العام لفرنسا في تونس مع بقائه على رأس قيّادة الجيوش بها[2]. ليقوم بعد ذلك منداس فرانس بزيّارة إلى تونس يوم 31 جويلية 1954، مرفوقا بالمارشال "جوان" والسيّد "كريستيان فوشي" وزير الشؤون التونسية والمغربية، يصحبهم الجنرال "بواي دي لاتور"، حيث توجّهوا إلى قصر قرطاج، أين أعلن رئيس الحكومة الفرنسية منداس فرانس في خطابه أمام الباي محمد الأمين عن استعداد فرنسا لمنح تونس استقلالها الدّاخلي في إطار مفاوضات تجريها الحكومتين التونسية والفرنسية[3].

وممّا جاء في خطابه: «إنّ الحكومة الفرنسية تعترف بالاستقلال الدّاخلي للدولة التونسية، وتعلن فرنسا ذلك عن حسن نيّة، وهي حريصة في نفس الوقت على تأكيد ذلك من حيث المبدأ والعمل على أن توفّر جميع الحظوظ لتحقيق النّجاح ...، إنّ درجة التطوّر التي بلغها الشعب التونسي والتي يحقّ لنا أن نبتهج بها لا سيما وقد ساهمنا كثيرا في ذلك، وكذلك قيمة نخبته اللافتة للنّظر، تبرز قيّام الشعب بإدارة شؤونه بنفسه، وبناء على ذلك فإنّنا مستعدّون لإحالة الممارسة الدّاخلية للسيّادة إلى شخصيّات ومؤسّسات تونسية...، ويمكن أن تتألّف حكومة تونسية جديدة يُعهد لها علاوة على إدارة شؤون الإيّالة بمهمّة التّفاوض باسم سموّكم مع الحكومة الفرنسية في شأن الاتّفاقيات التي تضبط بوضوح الالتزامات المتبادلة للبلدين»[4].

---

[1] – عز الدين معزّة، فرحات عبّاس والحبيب بورقيبة. دراسة فكرية وتاريخية مقارنة (1899– 2000)، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، الجزائر، 2009. 2010، ص 335.

[2] – V-Y Mudimbé et autre, L' Afrique et son environnement européen et asiatique, Ed L'harmattan, Paris ,2008, p 37.

[3] – V-Jacques Slimon, Novembre 1954.La révolution commence en Algérie, Ed L'harmattan, Paris ,2044, p 144.

[4] – "خطاب منداس فرانس بقرطاج"، جريدة الصّباح، العدد 727، 01 أوت 1954، ص ص 1. 2.

لقد استجاب الحبيب بورقيبة من منفاه لخطاب منداس فرانس، وصرّح في يوم 01 أوت 1954 قائلا : «إنّ هذه المقترحات تمثّل مرحلة هامّة وحاسمة في طريق إعادة السيّادة الكاملة للبلاد التونسية، إنّ الاستقلال هو الهدف الأسمى للشعب التونسي، ولكن السّير نحو هذا الهدف لن يكتسيّ بعد اليوم بصبغة الصّراع بين الشعب التونسي وفرنسا »[1].

ولهذا الغرض، تشكّلت في 07 أوت 1954 حكومة تفاوضيّة برئاسة الطّاهر بن عمّار (رئيس الغرفة الفلاحيّة التونسية)[2]، وفي 18 من نفس الشّهر انعقد في باريس لقاء تمهيدي[3] صدر عنه بلاغ يؤكّد اتّفاق الجانبين الفرنسي والتونسي حول مبدأ المفاوضات وضبط افتتاحها في الأيّام الأولى من شهر سبتمبر على أن تستأنف في القريب العاجل بباريس، وفعلا افتتحت المفاوضات التونسية الفرنسية بصفة رسميّة يوم 04 سبتمبر 1954[4]، حيث ضمّ الوفد التونسي كلّ من المنجي سليم والعزيز الجلولي ومحمد المصمودي، ومجموعة من الخبراء أمثال (عبد الله فرحات، الفرجاني بلحاج عمّار، علي الزواوي، محمود الخيّاري) برئاسة الطّاهر بن عمّار رئيس الحكومة التونسية، بينما ضمّ الوفد الفرنسي كل من المدير العام للشؤون السيّاسية والاقتصادية بوزارة الشؤون التونسية المغربية، ومدير الشؤون السيّاسية والاقتصادية بالنيّابة والمتفقّد العام للماليّة والمدير العام لصندوق مراكز النيّابة ومدير الوظيفة العمومية والكاتب العام القار للدّفاع الوطني، تحت رئاسة كريستيان فوشي وزير الشؤون التونسية والمغربية[5].

---

[1] – Jean Lacouture, op.cit, p 158.

[2] – ضمّت حكومة الطّاهر بن عمّار كلّ من: المنجي سليم، محمد العزيز الجلّولي، محمد المصمودي (وزراء دولة)، الهادي نويرة (وزير التّجارة)، نصر بن سعيد (وزير التّعمير والإسكان)، علي بلحاج (وزير الفلاحة)، الشاذلي رحيم (وزير الشغل)، الصّادق مقدّم (وزير العدل)، الطّاهر الزاوش (وزير الصّحة)، أمّا بقيّة المناصب الوزارية فهي بيد الفرنسيين مثل الأمن والمالية والخارجية. أنظر: Charles André Julien, l'Afrique du nord en marche, nationalisme musulman et souveraineté française, Julliard, Paris, 1972, p 162.

[3] – جمع لقاء 18 أوت 1954 التّمهيدي كل من منداس فرانس وكريستيان فوشي والطّاهر بن عمّار ومحمد المصمودي. أنظر: Mohammed ben Salem, L'antichambre de l'indépendance (1947 - 1957), Cérès productions, Tunis, 1988, p162.

[4] – Boyer De La Tour, Vérités Sur l'Afrique du Nord, Plon , Paris, 1956, p 78.

[5] – Ibid, p 81.

وما إن انطلقت المفاوضات في شهر سبتمبر حتى توقّفت ...!!، واشترطت فرنسا لمواصلة التّفاوض تحقيق الهدوء الكامل والمطلق في البلاد، لذلك طلبت من حزب الدستور الجديد أن يوجّه تعليمات إلى الثوّار لكي يسلّموا أسلحتهم إلى السّلطات الفرنسية، فوافق الحزب على ذلك وأرسل مندوبين عنه للاتّصال بالثوّار قصد إقناعهم بهذا المنحى. ففي21 نوفمبر 1954، دعا بورقيبة باسم حزب الدستور الجديد، المقاومين إلى تسليم أسلحتهم، وصدر بباريس تصريح مشترك بين المقيم العام الفرنسي وحكومة الطّاهر بن عمّار التونسية جاء فيه: « أنّه بمقتضى الاتّفاق المبرم بينهما، لن يقع بعد ذلك إزعاج الفلاقة أوتتبّعهم، وتُسلم لكلّ واحد منهم شهادة صادرة عن المقيم العامّ، وستتّخذ الإجراءات اللازمة لتسهيل عودة الفلاقة إلى استئناف حياتهم العادية بين أهليهم وذويهم»[1].

هكذا استطاع الحزب الدستوري الجديد إقناع جزء كبير من الثوّار بتسليم أسلحتهم والعودة إلى الحالة المدنيّة، بعدما التزمت السّلطات التونسية منحهم الحرية والأمان[2]، لكن على الرّغم من استئناف المفاوضات إلا أنها عرفت صعوبات وعراقيل كثيرة، ناتجة أساسًا عن تشدّد الجانب الفرنسي الذي كان يفاوض تحت ضغوطات الأوساط الاستعمارية بتونس ومساندِيها في فرنسا، حيث لم يتّفق الطّرفان على تونسة الشرطة، كما أنّ الحكومة الفرنسية ظلّت تطالب بمنح الحقوق السيّاسية للجاليّة الفرنسية بتونس على غرار تمثيلها في المجالس المنتخبة[3].

ونتيجة لذلك دخلت المفاوضات في مأزق خطير، حيث رجع الوفد التونسي المفاوض إلى تونس يوم 19 جانفي 1955 للتّشاور مع الدّيوان السيّاسي والحكومة التونسية، ثم عاد إلى فرنسا يوم 21 جانفي 1955 بمعيّة رئيس الوزراء الطّاهر بن عمّار، واستأنفت المفاوضات بعد استشارة صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة، حيث اقتنع الوفد الفرنسي بتونسة الشرطة، ورفض الوفد التونسي بقاء الجنوب تحت سلطة الأمن الفرنسي، مؤكّدا بذلك على تمسّكه بمبدأ وحدة

---

[1] – "تصريح للمقاومين التونسيين"، جريدة الصباح، العدد ، 26 نوفمبر 1954، ص 02.

[2] – عمر الشّاذلي، بورقيبة كما عرفته، ط1، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2013، ص 104.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 114

السيّادة التونسية، غير أنه رفض مبدأ "الكلّ أولا شيء"، حين قبل ببعض التنازلات الظّرفية في مجال الأمن[1].

وفي 05 فيفري 1955، سحب البرلمان الفرنسي ثقته من حكومة منداس فرانس، خشية أن تفتح التّجربة التونسية الطريق للقضاء على الإمبراطورية الفرنسية، وتكون مثالا يُقتدى به في الجزائر، وتم تعويضها يوم 06 فيفري بحكومة إدغار فور، هذا الأخير الذي استأنف صحبة وزيره للشؤون المغربية والتونسية المحامي الصّحفي "بيار جولي" المفاوضات مع الوفد التونسي بصورة سريعة، ونجح في تقريب وُجهات النّظر بين الطّرفين المتفاوضين بعدما تمكّن من إيجاد حلول جذرية لنقاط الاختلاف بينهما، أثناء لقائه مع الحبيب بورقيبة في قصر ماتينيون يوم 21 أفريل 1955. ثم تواصلت أعمال الأطراف المتفاوضة إلى أن تمّ الإمضاء على محاضر الجلسات الرسمية بينها يوم 29 ماي 1955[2].

وفي يوم 01 جوان 1955، رجع الحبيب بورقيبة إلى تونس، قادما إليها من مرسيليا على مثن سفينة "مدينة الجزائر"، بعد معاناة طويلة من النّفي والسّجن والنّضال الذي استمرّ لمدّة 20 سنة، بعد أن أصبح يعرف أنّ اتفاقيات الحكم الذّاتي ستوقّع بعد يومين من تاريخ عودته[3]. وبالفعل فقد توصّلت الحكومتين (التونسية والفرنسية) إلى المصادقة بصفة رسميّة على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس يوم 03 جوان 1955[4]، ثم صادق عليها كلّ من البرلمان الفرنسي في 09 جويلية ومجلس الجمهورية الفرنسية في 03 أوت، ليُمضي عليها أخيرا الباي محمد الأمين في 27 أوت 1955، مصرّحا: « بناء على كوننا الملك الشرعي للقطر التونسي نعلن أنّنا وضعنا خاتمنا على الاتّفاقيات المبرمة في 03 جوان 1955 بين حكومتنا التونسية والحكومة الفرنسية، والمتضمّنة لإقرار السيّادة بما يتبعها من حقوق وامتيّازات، وهذا الحدث يفتح في مملكتنا عصرا تسود فيه الطّمأنينة والسّلام، وتتوثّق به عرى المودّة بين الشعبين التونسي والفرنسي»[5].

---

[1] – محمد الحبيب المولهي، مذكّرات الوطن والصّمود، دار الغرب الإسلامي للنّشر، بيروت، 1991، ص 218.

[2] – عمر الشاذلي، المصدر السّابق، ص 106.

[3] – سعيد الصّافي، بورقيبة سيرة شبه محرّمة، ط4، منشورات عُرابيا، تونس، 2011، ص 189.

[4] – Mohammed ben Salem, op.cit, p17.

[5] – Bahi Ladgham, correspondances 1952-1955, Cérès production, Tunis, 1990, p40.

هكذا يتّضح لنا أنّ اتّفاقيات 03 جوان 1955 الموقّعة بين حكومة الطّاهر بن عمّار وإدغار فور كانت اختيّارية وفي نطاق تعاقد بين حكومتين تلتزمان بما اتّفقتا عليه[1]. غير أنّ الدّارس لمضمونها[2]سوف يتّضح له أنّها جرّدت استقلال تونس من مصلحتين ذات سيّادة هما: مصلحة الدّفاع ومصلحة الخارجيّة، كما أنّها قيّدت بعض مصالح الحكم الذّاتي باتّفاقيات خاصّة تضمن تميّز الأجانب بالقطر التونسي وتكرّس مصالحهم الخاصّة مثل:

– اتّفاقية الأمن العام: التي تنصّ على بقاء مصالح الأمن بيد الفرنسيين مدّة عشرين سنة، ثم تنتقل تدريجيّا تحت إشراف الفرنسيين إلى التونسيين.

– اتّفاقية الشؤون القضائيّة: التي تُبقي على وجود المحاكم الفرنسية للنّظر في قضايا الفرنسيين، وتؤجّل شمولية القضاء التونسي إلى ما بعد 15 عاما.

– اتّفاقية التّعاون التّقني والإداري: التي اشترطت أن يكون تمثيل الفرنسيين بنسبة ثلاثة من سبعة في الدّوائر ذات الكثافة السّكانية الهامّة مثل تونس وبن عروس وصفاقس...، أمّا في بقيّة الدّوائر فإذا بلغ عدد السّكان الفرنسيين 10 % فإنّ تمثيلهم البلدي يكون بنسبة الثّلث.

– الاتّفاقية الثقافية: التي اعترفت باللّغة العربية كلغة رسميّة للبلاد، لكنّها حافظت على ترسيخ اللّغة الفرنسية في الإدارة التونسية وفي النّصوص القانونية إلى جانب ضمان بقائها في المؤسّسات التّعليمية.

– اتّفاقية الاقتصاد والمالية: التي نصّت على إحداث اتحاد جمركي يضمن حرّية دخول البضاعة إلى الأسواق الدّاخلية بنفس مميّزات البضاعة الوطنية، كما أبقت على هيمنة الفرنك الفرنسي في الشّؤون الماليّة[3].

إنّ هذه النّقائص، لم تثن من عزيمة وحرص بورقيبة على تطبيق الاتفاقيّات، حيث استغلّ موقعه الرسمي على قيّادة الحزب الدستوري الجديد، في شرح أبعادها للشعب التونسي، داعيّا إيّاه إلى

---

[1] – عمّار السّوفي، المرجع السّابق، ص 73.

[2] – أنظر الملحق رقم: 02، ص ص 208. 213 .

[3] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، ط1، مطبعة الرّشيد– الياسمينة، تونس، 2001، ص ص 152. 153.

مباركة وتأييد مضمونها، كخطوة أولى نحو السيّادة الكاملة لتونس. غير أنّه لقيّ معارضة شديدة من طرف الأمين العام للحزب الدستوري التونسي الزّعيم صالح بن يوسف، الذي كان يتمتّع هو الآخر بشعبية هامّة وبعلاقات جيّدة مع الرئيس المصري جمال عبد النّاصر، ومع قادة الثورة الجزائرية وغيرهم من الوطنيين المغاربة.

3-2- بروز الخلاف حول الاتّفاقيات وميلاد الحركة اليوسفية.

لقد أثارت اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس ردود فعل متباينة ومتضاربة داخل القوى الوطنية، وفي صفوف الرّأي العام التونسي، حيث أفرزت عن أطراف يقف بعضها متحالفا مع بعض ومتصادما مع البعض الآخر، ويمكن اختصار هذه الأطراف في بورقيبة كطرف رئيسي متحالف مع فرنسا من مصلحتهما تمرير الاتّفاقيات، يقابل هذا الطّرف الفرنسي البورقيبي طرف مضادّ يقف في مقدّمته الأمين العام للحزب الدستوري التونسي صالح بن يوسف، وتسانده مجموعة من المعارضين لسيّاسة بورقيبة، مثل بعض المقاومين الذين رفضوا تسليم سلاح المقاومة وجمع من المناضلين ممّن عارضوا هذه الاتّفاقية[1]. فكيف كان منظور الطّرفين لهذه الاتّفاقيات؟.

3-2-1- الاتّفاقيات في منظور بورقيبة.

يذكر المناضل حسين التريكي في شهادته: «أنّ الحبيب بورقيبة كان متواطئا في تنفيذ الاتّفاقيات ورفض الاستقلال التّام، لأنّ المطالبة بذلك ستؤدي به إلى سنوات وفترة طويلة من الكفاح، في حين كان هو مستعجلا للانفراد بحكم تونس»[2]. وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا المنحى الذي أراده بورقيبة هو الذي جعل فرنسا تراهن عليه في تمرير الاتّفاقيات، خاصّة بعدما أفصح عن عدم اكتراثه بجذوره وأصالته من خلال تصريحاته الصّحفية المثيرة، فعن موقفه تجاه الجامعة العربية صرّح لجريدة "كومبا " الباريسية قائلا: «إنّي لست منها ولا هي منيّ، وإنّني لا أبالي بنداءاتها ولا بشتائمها »[3]. وحول ارتباطاته العربية يقول أيضا: « إنّ ما يربطنا بالعرب ليس إلا من قبيل الذّكريات التّاريخية، وأنّ

---

[1] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 79.

[2] – حسين التريكي، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 044، تونس، 25 جويلية 1993. (م.ع.ل.ت.م) .

[3] – عمار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 155.

من مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وبفرنسا بصورة أخصّ، وأنّ مرسيليا أقرب إلينا من بغداد ودمشق أو القاهرة، وأنّ اجتيّاز البحر الأبيض المتوسط أيسر لنا من اجتيّاز الصّحراء اللّيبية »[1].

فمن خلال شهادة المناضل حسين التريكي، وبناء على تصريحات الحبيب بورقيبة، يتّضح لنا أنّ هذا الأخير كان على عجلة من أمره من أجل الوصول إلى كرسي الحكم بأيسر الطّرق وفي أقرب وقت ممكن، خاصّة وأنّ عمره قد تجاوز العقد الخامس، كما أنّ مواصلة المقاومة تؤجّل حلمه إلى سنوات أخرى، لذلك نجده يؤيّد اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي ويعتبرها "خطوة إلى الأمام" نحو استعادة السيّادة الوطنية كاملة[2].

لقد رأى بورقيبة أنّ هذه الاتّفاقيات هي التي ستجعل الدولة التونسية والقوى الوطنية في وضع جديد يمكّنها من العمل بحرّية لمزيد من التقدّم في اتجاه استتمام السيّادة الوطنية دون خسائر أو عنف، باعتبار أنّ وضع تونس مع اتّفاقيات الاستقلال الذّاتي هو أفضل بكثير من وضعها قبل ذلك[3].

فالاتّفاقيات حسبه خطوة إلى الأمام، ومن شأنها أن تسمح بإحياء الدولة التونسية من جديد ذلك:

– لأنّها أبطلت حقّ المقيم العام الفرنسي الذي أصبح (مندوبا ساميّا) في الإشراف على الإدارة وإصدار القوانين.

– لأنّ الإدارة سوف تصبح تونسية رغم محافظة الموظّفين الفرنسيين على مكتسباتهم.

– لأن الفرنسيين لا حقّ لهم في التّمثيل إلا في البلديات أين يتواجدون بكثرة، ويقع تعيينهم وليس انتخابهم.

– لأنّ التحدّيات المتضمّنة للاتّفاقيات مشروطة زمنيّا (20 سنة بالنّسبة للأمن و15 سنة بالنّسبة للقضاء)[4].

---

[1] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 130.

[2] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 82.

[3] – محمد حبيب المولهي، المصدر السّابق، ص 251.

[4] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، ط2، المغاربية للطّباعة والنّشر والإشهار، تونس، 2011، ص ص 21. 22.

إضافة إلى ما سبق، يعتبر بورقيبة الامتيّازات التي أقرّتها الاتّفاقيات لفرنسا والفرنسيين، هي وليدة حاجة تونس إلى فرنسا لضمان أمن البلاد وازدهار وتطوّر شعبها، لذلك كان يدعو إلى تأييدها باعتبار أنّها تساهم في التقدّم بالبلاد نحو التحرّر الكامل[1].

3-2-2- الاتّفاقيات في منظور صالح بن يوسف.

إذا كانت اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي قد استجابت بدرجة كبيرة لما كان يطمح إليه بورقيبة باعتبار أنها توخّت من خلال مضمونها إرضاء رغبة الحركة الوطنية في المحافظة على الذّاتية التونسية، فإنّها لن تنال رضا صالح بن يوسف بحكم احتوائها على ضمانات حقيقية للحفاظ على مصالح فرنسا في تونس، وهو ما يعتبر في حدّ ذاته مسّا بالذّاتية التونسيّة وبالسيّادة الدّاخلية للدولة التونسية[2].

ففي الوقت الذي كان فيه صالح بن يوسف منشغلا بالمشاركة في مؤتمر باندونغ بأندونيسيا، وقع إمضاء اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس بين الحكومتين التونسية والفرنسية[3]، ولما بلغه نبأ توقيعها أعلن من باندونغ في تصريح له: « إنّ الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقّعها بورقيبة وجماعته مع فرنسا...، إنّ هذه الاتّفاقية تنصّ على أنّ فرنسا لها الحقّ وحدها في التصرّف في مصيرنا الخارجي والدّفاعي، وأنّ الدولة التونسية تلتزم بأن تسخّر لفرنسا البلاد وأهلها إذا ما احتاجت فرنسا لذلك...، إنّ الشعب التونسي يرفض تلك الاتّفاقيات وهو عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل»[4].

هذه الاتّفاقيات اعتبرها صالح بن يوسف "خطوة إلى الوراء" باعتبار الظّرف الذي قدّمت فيه، ألا وهو وجود فرنسا في موقف حرج[5] يسمح بمزيد من ممارسة الضّغط عليها، لذلك نجده يُعلن عن رفضه القاطع لها منذ أن بلغه خبر توقيعها وهو في باندونغ، ثم تواصلت معارضته لها من القاهرة وحتى

1- Habib Bourguiba, op.cit, p 449.

2- Samya El Mechat, Tunisie, les chemins vers l'indépendance (1954-1956), l'harmattan, paris, 1992, pp 163. 164.

3- Charles André Julien, op.cit, p 203.

4- أحمد خالد، الهادي نويرة مسيرة مثقّف مناضل ورجل دولة، ط1، منشورات الزّخارف، تونس، 2006، ص 355.

5- خلال هذه الفترة انهزمت فرنسا عسكريا أمام القوّات الفيتنامية بقيّادة هوشي منه في ديان بيان فو، وفي الجزائر اندلعت ثورة عنيفة ضدّها في الفاتح من نوفمبر 1954، هذا فضلا عن ارتفاع حدّة التوتّر واشتداد ضراوة المقاومة المغربية ضدّ الاستعمار الفرنسي بالمغرب الأقصى. أنظر: محمد حبيب المولهي، المصدر السّابق، ص 257.

من تونس بعد عودته إليها في 13 سبتمبر1955[1]، إذ نقرأ في تصريحه لمجلّة المصوّر المصرية، المدوّن في إحدى الوثائق الأرشيفية التّابعة للمصلحة التّاريخية لأرشيف جيش البر الفرنسي ما يلي: « إنّ معارضتي للاتّفاقيات الفرنسية التونسية تستند إلى القانون الدولي الذي ينصّ على أنّ المعاهدات لا تصبح نافذة وملزمة للشعب والحكومة اللّذان (هكذا) وقّعا عليها، إلا بعد دراستها من قبل برلمان شرعي ممثّل للشعب...، فلو عارض الشعب التونسي أو ممثلوه الشّرعيون هذه الاتفاقيات، فإنّها تصبح خارج الشرعيّة الدوليّة...، وعلى هذا الأساس فإنّ معارضتي نابعة في حقيقتها من المبادئ الوطنية المشتركة بين جميع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والاستقلال... »[2].

لقد حمّل صالح بن يوسف الزّعيم الحبيب بورقيبة مسؤوليّة التّوقيع على الاتفاقيات الفرنسية التونسية، وقام بنقد منهجي لمحتواها، معتبرا إيّاها "خطوة إلى الوراء وخيّانة للشّهداء ولمجاهدي الجزائر وتونس"، باعتبار أنها جعلت تونس مرتبطة بفرنسا ضمن نظام الوحدة الفرنسية – التونسية، واعترفت لفرنسا رضاء بحقّ إدارة شؤون تونس الخارجيّة وتولي أمور الأمن والدّفاع اللّذان يعتبران من المقوّمات الأساسية لسيّادة أي دولة من الدوّل[3].

وعلى كل يمكن تلخيص انتقادات صالح بن يوسف لهذه الاتّفاقيات في النّقاط التاليّة:

– اعترفت اتّفاقيات 03 جوان 1955 "رضاء" بما لم تعترف به معاهدة باردو التي "فرضت فرضا"، لأنّها أقرّت بصفة واضحة وصريحة الوضع الاستعماري الجديد.

– اتّفاقيات 03 جوان لا تلغي معاهدة باردة 1881 بل تكرّسها.

– إنّ هذه الاتّفاقيات لا تقرّ لتونس لا بالسيّادة الخارجيّة ولا بحقّ الدّفاع، وهما في الحقيقة شرطان أساسيّان لسيّادة الدول.

---

[1] – أحمد خالد، المرجع السّابق، ص ص 355. 365.

[2] – I.S.H.M.N, Bobine S387, Carton 2H152, Bureau N°01 physionomie de la presse arabe tunisienne, Assabah du 20 janvier 1956, p 146.

[3] – "بيان الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي حول المصادقة على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية"، الأرشيف الوطني التونسي، سلسلة الحركة الوطنية، الصندوق 61، الملف رقم 05، الوثيقة رقم 112، المؤرّخة في 12 جويلية 1955. (أنظر الملحق رقم 03، ص ص 214. 215).

– إنّ التخلّي لفرنسا على السيّادة الخارجيّة والدّفاع، يعني إقحام تونس في الاتحاد الفرنسي" l'union française"، وما يعنيه ذلك من حقّ فرنسا مثلا في إقحام الشعب التونسي في حرب ضدّ الجزائريين[1].

– محافظة الفرنسيين على حقّ التّقاضي أمام محاكمهم الخاصّة يتناقض مع مبدأ السيّادة الحرّة.

– محافظة فرنسا على حقّ الإشراف على أمن البلاد لمدّة تصل 22 سنة، هو إخلال بالسيّادة وإقرار بدوام الاستعمار.

– الاتّفاقيات تدمج الاقتصاد التونسي في الاقتصاد الفرنسي عن طريق التبعيّة الماليّة، وتقيّد حرّية تونس من خلال ضمّها لمنطقة التّجارة الحرة مع فرنسا.

– الاتّفاقيات تكرّس تبعيّة تونس ثقافيّا لفرنسا، ذلك أنّ اللّغة الفرنسية حسب النصّ لا تعتبر لغة أجنبية بالبلاد، كما أنّ فرنسا حافظت على حرّية التّعليم ومؤسّساته في تونس[2].

– تعتبر الاتّفاقيات خرقا لمبادئ الحزب الدستوري التونسي، ذلك أنّ مذكّرته الممضاة في 31 أكتوبر 1951 تتشبث بالسيّادة الدّاخلية التّامة لتونس، كما تنصّ قرارات مؤتمر الحزب المنعقد في 18جانفي 1952 على المطالبة بالاستقلال التّام، هذا وتعتبر الاتّفاقيات أيضا خرقا لارتباطات الحزب العربية خصوصا ونحن نعلم أنّ الحزب قد سعى لربط علاقات قوميّة بجامعة الدّول العربية، فانخرط في مؤتمر المغرب العربي في فيفري 1947، كما أوفد أحد أعضائه (علي البلهوان) لتمثيله في بعث لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي1948[3].

هذه الاعتبارات هي التي جعلت صالح بن يوسف يقرّ أنّ الاتّفاقيات تمثّل "خطوة إلى الوراء"، لذلك اشتدّت معارضته لها خاصّة بعد عودته إلى تونس. ودخل بذلك في صراع مع الطّرف البورقيبي الفرنسي الذي أيّد مضمون الاتّفاقيات. تُرى: ما الذي نتج عن تباين موقف الطّرفين من هذه الاتّفاقيات؟ .

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، المرجع السّابق، ص 22 .

[2] – M'hamed Oualdi, L'orage des indépendances. Salah Ben Youssef et les youssefistes en (1955-1956), mémoire d'histoire, Université , Paris, p.p 139. 141.

[3] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 154

لقد عقد صالح بن يوسف باعتباره أمين عام للحزب الدستوري التونسي، اجتماعا عامّا في جامع الزيتونة بتاريخ 07 أكتوبر 1955 إثر صلاة الجمعة، وألقى خطابا جاء فيه: « ... لما قبلنا المفاوضات كان القصد منها أن تكون لضمان مصالح الجالية الفرنسية في هذه البلاد، لا أن تؤول إلى اتّفاقيات أقرّت بصفة صريحة لا تقبل الشكّ الوضع الاستعماري الموجود الذي قاومه الشعب التونسي منذ انتصاب الحماية على هذه البلاد...، لأجل ذلك أقول أنّ الاتّفاقيات التي أقرّت الوضع الاستعماري تعترف بما لم تعترف به معاهدة باردو التي لا تحرمنا صراحة لا من السيّادة الخارجية ولا من الجيش، لذلك أعتبر أنّها أرجعتنا إلى الوراء ...، وعليه أدعو حزبي ومن ورائه الشّعب بأن لا يقرّ ما أقرّه غيره، ويجب عليه أن يعقد العزم على مواصلة الكفاح للتخلّص نهائيّا من نير الاستعمار...، إنّ الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها تحت رحمة فرنسا، إن هو إلا استقلال زائف وخدعة استعمارية»[1].

لقد وجد خطاب صالح بن يوسف صدى طيّبا في كامل أنحاء الوطن، حيث قامت مظاهرات صاخبة وعنيفة تهتف بسقوط الاتّفاقيات، الأمر الذي جعل فرنسا تحتج رسميّا عن طريق مندوبها السّامي "سيدو" لدى الحكومة التونسية، وضمن نصّ الاحتجاج نقرأ ما يلي: «إنّه لا يجوز للسيّد صالح بن يوسف وهو الأمين العام للحزب الدستوري الذي وافق رئيسه بورقيبة على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية أن يعلن الحرب على نفس الاتّفاقيات»[2].

وفي نفس الوقت تحرّكت قاعدة الحزب الدستوري الجديد للضّغط على رئيسه بورقيبة كي يوضّح لهم موقف الحزب الرسمي من الاتّفاقيات، باعتبار أنّ الأمين العام صالح بن يوسف اتخذ موقفا مغايرا لرئيس الحزب، فما كان من بورقيبة إلا أن اجتمع عدّة مرّات بالأمين العام بن يوسف محاولا إقناعه بعدم المعارضة، لكن دون جدوى[3]، الأمر الذي دفع بورقيبة بعد اتّفاقه مع المندوب السّامي الفرنسي[1] إلى عقد

---

[1]– "مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف بجامع الزيتونة"، جريدة الصباح، العدد 1161، تونس، 08 أكتوبر 1955، ص 01. (أنظر الملحق رقم 05، ص 217).

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 119.

[3] – انتهت لقاءات بورقيبة مع صالح بن يوسف بالفشل، والسّبب راجع إلى تمسّك كل واحد منهما بمواقفه الخاصّة، فأثناء لقائهما أكّد رئيس الحزب بورقيبة لصالح بن يوسف، أنّه قد اتّفق مع "سيدو" المقيم العام لفرنسا بتونس على أن تستقيل حكومة الطّاهر بن عمّار فورا، ويكلّف صالح بن يوسف بتشكيل الحكومة مقابل أن يسكت عن مهاجمته للاتّفاقيات التونسية الفرنسية، إلا أنّ صالح بن يوسف رفض هذا العرض، وأبلغ بورقيبة بأنّ هذه الاتّفاقيات مضرّة بمصلحة الوطن العليا وبقضيّة تحرير المغرب العربي ووحدته، وألح عليه بأن يكشف

اجتماع للمكتب السيّاسي، صدر عنه قرار تداولته الصّحف التونسية بتاريخ 13 أكتوبر 1955 يقضي بفصل صالح بن يوسف من الأمانة العامّة للحزب وتجريده من جميع مسؤوليّاته، وممّا جاء في هذا القرار: «بناءً على أنّ الأستاذ صالح بن يوسف يتّبع اتجاها مخالفا لاتجاه الحزب الذي صادقت عليه الهيئات المسؤولة من ديوان سيّاسي ومجلس مركزي وجامعات في مؤتمراتها المختلفة، وبناءً على أنّه جاهر بصورة واضحة على مقاومة تلك السيّاسة في الدّاخل بواسطة المنشورات التي كان يقوم بإرسالها من الخارج لإحداث الاضطرابات والشغب على الحزب، وبناءً على إصراره على موقفه المعارض رغم محاولات الدّيوان السيّاسي والمنظّمات القوميّة وكافة قادة المجاهدين وقسم كبير من مسؤولي الحزب لإقناعه بضرورة المحافظة على وحدة الأمّة في نطاق اتحاد الحزب، وبناءً على استغلاله صفة الكاتب العام لمقاومة سيّاسة الحزب، وبعد دراسة جميع الظّروف المحيطة بموقفه، وعملا بالفصل الثالث والأربعين من القانون الدّاخلي للحزب، فقد قرّر الدّيوان السيّاسي للحزب الحرّ الدستوري التونسي فصل الأستاذ صالح بن يوسف من الكتابة العامّة للحزب، ومن عضويّة الحزب...»[2].

هذا القرار اعتبره صالح بن يوسف "قرارا جائرا" لا يحقّ لرئيس الحزب أو المكتب السيّاسي إصداره، بل هو حقّ من حقوق المؤتمر العام للحزب الدستوري، لذلك عبّر عن رفضه قائلا: « طالعت بالصّحف التونسية الصّادرة بتاريخ 13 أكتوبر 1955، قرارًا من الدّيوان السيّاسي، ممضى من الرئيس الحبيب بورقيبة، يقضي بتجريد الأمين العام للحزب الحرّ الدستوري التونسي من الأمانة العامّة للحزب ومن عضوية الحزب، وإنّني بوصفي الأمين العام ...، أعلن أنّ القرار المذكور لم

=عن حقيقة خطورة الاتّفاقيات للشعب التونسي، وطلب منه عقد مؤتمر للحزب يصدر فيه قرارا ضدّ الاتّفاقيات، ثم يدخل في مفاوضات جديدة مع فرنسا على أساس الاعتراف بالاستقلال التّام، لكن بورقيبة رفض هذا الاقتراح وقال مخاطبا صالح بن يوسف: «باعتبارك الأمين العام للحزب يجب عليك تنفيذ كل سيّاسة يتبنّاها المكتب السيّاسي، ومعارضة هذه السيّاسة من قبلك تعدّ خروجا عن الالتزام الحزبي وتمرّدا على قراراته... ». أنظر: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 120.

[1] – بعد فشل بورقيبة في إقناع صالح بن يوسف بالتخلّي عن معارضته للاتّفاقيات، قرّر مقابلة المقيم العام الفرنسي شخصيّا، فاجتمع به لمدّة 03 ساعات للنّظر في هذه القضيّة التي أصبحت تؤثر كثيرا على العلاقات التونسية الفرنسية، وطلب المقيم العام من بورقيبة أن يبعد صالح بن يوسف من البلاد التونسية، لكن بورقيبة اعتبر أنّ مثل هذا القرار قد يؤدّي إلى اندلا ع حرب أهلية داخل تونس، لذلك اتّفقا الطّرفين على فصل صالح بن يوسف من الأمانة العامّة للحزب وتجريده من جميع مسؤوليّاته الحزبية. أنظر:
Bahi Ladgham, op.cit, p 53.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 121.

يكن صادرًا عن ذي أهليّة أو صلاحيّة حسب قوانين حزبنا، لذا فإنّني أعلن بطلانه من أساسه مؤكّدا استمراري على مباشرة مسؤوليّاتي الحزبية وعملي السيّاسي الذي يتّفق مع المبادئ الوطنية المقدّسة...»[1].

وبخصوص الدستوريين التونسيين، فقد تفاجأوا بهذا القرار وتوافدوا على منزل الأمين العام صالح بن يوسف الذي قام فيهم خطيبًا مستعملا شرفة منزله بمنفلوري منصّة لإلقاء الخطب الحماسيّة في اتجاه مناهضة الاتّفاقيات الفرنسية التونسية، والتمسّك بمهامّه كأمين عام للحزب، ورفض قرار الطّرد الجائر الذي اتخذه الدّيوان السيّاسي في حقّه منتهكًا القوانين الدّاخلية للحزب التي ساهم الدستوريون في وضعها[2]. كما عبّر الشعب التونسي أيضًا عن تضامنه وتعاطفه مع الأمين العام صالح بن يوسف، فاتّسعت بذلك رقعة الخلاف بين الطّرفين البورقيبي (المؤيّد لاتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي) واليوسفي (المعارض لها) لتشمل الحزب والمنظّمات القوميّة والمجتمع التونسي ككلّ، وتعزّز التيّار اليوسفي كثيرا بعدما قرّرت وفود المغرب العربي المنضوية تحت لواء لجنة تحرير المغرب العربي فصل الدّيوان السيّاسي للحزب الحر الدستوري ورئيسه بورقيبة من عضوية اللّجنة، مع انتقال السّلطات التي كانت للدّيوان السيّاسي إلى يد الأمين العام السيّد صالح بن يوسف، على أن يبقى هذا الأخير ممثلا رسميًّا للحزب الحر الدستوري التونسي في لجنة تحرير المغرب العربي[3].

وبناء على ما سبق، يمكننا القول أنّ اتّفاقيات الحكم الذّاتي التي تم توقيعها بين الحكومتين التونسية والفرنسية، والتي تحصّلت تونس بموجبها على الاستقلال الدّاخلي، قد شكّلت منعرجًا سياسيّا وتاريخيّا كبيرًا في تاريخ الحركة الوطنية التونسية التي كان يقودها الحزب الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة، لأنها سمحت بانفجار كل التّناقضات الإيديولوجية والسيّاسية والشخصية التي كانت الحركة الوطنية قد طمستها خلال مرحلة تأطيرها وتجنيدها لكل القوى الحيّة من أجل خوض معركة التحرّر الوطني والظّفر بالاستقلال[4].

---

[1] – "خطاب معالي الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحرّ الدستوري التونسي بعد قرار الرفت"، جريدة الصباح، العدد 1167، تونس، 14 أكتوبر 1955، ص 1. (أنظر الملحق رقم 06، ص 218).

[2] – "خطاب صالح بن يوسف في منفلوري يوم 17 أكتوبر 1955"، جريدة الزهرة، العدد 15149، تونس، 18 أكتوبر 1955، ص 2.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص ص 123. 124.

[4] – توفيق المديني، المعارضة التونسية: نشأتها وتطوّرها (دراسة)، منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق، 2001، ص 14.

هكذا إذن تفجّر الصّراع بين جناح الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحرّ الدستوري الجديد، الذي كان من أشدّ المدافعين عن التّسوية السيّاسيّة مع الاستعمار الفرنسي، وجناح صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الذي كان من أشدّ المعارضين لهذه التّسوية، ومنذ حينئذ ولدت الحركة اليوسفية التي كان صالح بن يوسف أحد عناصرها ومكوّناتها، ثم ما لبثت أن أصبحت تضمّ تيّارات فكريّة وأحزاب سياسيّة ومنظّمات نقابيّة وعناصر وطنية تؤمن بالكفاح المسلّح، وقطاعات شعبية عريضة متناقضة مع نهج الحبيب بورقيبة المساوم مع الاستعمار الفرنسي .

الفصل الثاني

طبيعة الحركة اليوسفية وتطوّرها.

1- ماهيّة الحركة اليوسفية.

1-1- محاولة تحديد مفهوم الحركة اليوسفية.

1-2- البعد القومي العربي للحركة اليوسفية.

2- صالح بن يوسف والحركة اليوسفية.

2-1- صالح بن يوسف، مسيرة مناضل.

2-2- ارتباط اسم بن يوسف بالحركة اليوسفية.

3- المجال الجغرافي للحركة اليوسفية.

3-1- الشمال التونسي.

3-2- الوسط التونسي.

3-3- الجنوب التونسي.

4- التّعبئة في صفوف الحركة اليوسفية.

4-1- استراتيجية التّعبئة عند بن يوسف.

4-2- التيّارات التي وقفت وراء بن يوسف.

1- ماهيّة الحركة اليوسفية.

1-1- محاولة تحديد مفهوم الحركة اليوسفية.

ليس من السّهل إيجاد مفهوم شامل للحركة اليوسفية، لأنها حركة غير واضحة المعالم، تبدو وكأنها ظهرت فجأة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، ثم انتشرت بسرعة في كافة أنحاء البلاد بعدما اعتنقتها تيّارات فكرية وسيّاسيّة متباينة. فهل هي فتنة ؟، أم هي ثورة ثانية ؟، أم أنها حركة معارضة ؟.

*** اليوسفية " فتنة " ؟.**

نعث الحبيب بورقيبة الحركة اليوسفية "بالدّعاية الأثيمة"[1]، وأطلق على أتباعها اسم "عناصر الفتنة والشّقاق"[2]، قصد الإنقاص من وزنها وصرف النّاس عنها، وهو ما يتّضح من خلال الوقوف على معاني كلمة فتنة لغة واصطلاحًا.

- فمن النّاحية اللّغوية، الفتنة هي مصدر من الفعل فتن يفتن فتنا فتنة، تعني الضّلال والكفر وتزيين المعاصي[3]، كما تعني الفتنة أيضًا الابتلاء والامتحان والاختبار، والفاتن هو المضلّ عن الحقّ ويعني الشّيطان، أمّا أهل الفتنة فهم الخارجون عن الطّاعة[4].

- أمّا اصطلاحًا، فالفتنة هي اختلاف النّاس في الآراء وما يقع بينهم من قتال، وهي تعبير عن الاضطرابات السيّاسية والحروب الأهليّة في ضلّ غيّاب الحلول الديمقراطية، وهي أيضا وجه من وجوه التعصّب والعصبيّة والاحتكام إلى القوة والعنف[5].

- وفي مدلولها التّاريخي وباعتبار "الفتنة أشدّ من القتل"، فإنّ لكلمة الفتنة دلالة سلبية في تاريخ المسلمين وحتى في تاريخ تونس، فقد عرف التّاريخ الإسلامي الفتنة الكبرى التي مزّقت وحدة صفّ

---

[1] - الحبيب بورقيبة، خطب، ج 2، منشورات كتابة الدولة للأخبار، تونس، 1974، ص 133 .

[2] - الحبيب بورقيبة، خطب، ج 1، منشورات كتابة الدولة للأخبار، تونس، 1974، ص 232 .

[3] - المنجد في اللّغة والإعلام، ط 20، دار المشرق، بيروت، 1960، ص 371 .

[4] - ابن المنظور بن مكرم، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، 2003، ص 362.

[5] - هشام جعيط، الفتنة. جدليّة الدّين والسيّاسة في الإسلام المبكّر، ط1، تر: خليل أحمد خليل، دار طليطلة للنّشر، بيروت، 1993، ص 26 .

المسلمين وقسّمتهم إلى ملل ونحل متصارعة[1]، كما عرفت البلاد التونسية "الفتنة الباشيّة الحسينيّة (1728- 1740)" التي عمّقت الانقساميّة في المجتمع التونسي وقسّمته إلى صفّين متناحرين، والتي مازالت بقاياها راسبة في أعماق التونسيين إلى يومنا هذا[2] .

والملاحظ هو أنّ الفتنة ألصقت باليوسفية دون البورقيبية، فيُقال "الفتنة اليوسفية" وليس "الفتنة اليوسفية البورقيبية" مثل ما هو الحال في الفتنة "الباشية الحسينية"، وهذا مقصود، إذ أنّ الغرض منه هوّ إلقاء مسؤولية الانشقاق في صفوف الدستوريين الجدد على صالح بن يوسف، فهو الذي يفتن النّاس بخداعه وغروره ويجعلهم يضلّون طريق الحق[3]، وإذا كان الفاتن يعني المضّل عن الحقّ ويعني الشّيطان، فهل هذا يعني أنّ النظرة اليوسفية إلى اتّفاقيات الحكم الذّاتي الممضاة بين الحكومة الفرنسية وحكومة الطّاهر بن عمّار هي نظرة كفر وضلالة ؟. وهل الدّاعي إليها الزّعيم صالح بن يوسف هو مضلّ وشيطان؟.

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلّب منّا البحث عن الأسباب الحقيقة للخلاف بين الزّعيمين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، مع اعتبار الفتنة وإن وُجدت هي إفراز لخلاف فكري وطرح سيّاسي، وليست جريمة تُلصق بالشقّ اليوسفي ويُبرّأ منها الشقّ المقابل، لأنّ الاختلاف في الرأي مشروع، ومقارعة الرّأي بالحجّة والبيان والبرهان نهج حضاري في قاموس الشّرعية، أمّا أن يُفرض الرّأي بالعنف والإرهاب والتّقتيل فتلك هي الفتنة[4].

هكذا نستنتج أنّ استعمال كلمة "فتنة" ليس استعمالا بريئًا، وإنما هو استنقاص من شأن الحركة اليوسفية، وعليه فإنّه من البديهي بل ومن الإنصاف التّاريخي أن يُزال عنها ذلك الوشاح

---

[1] – هشام جعيط، المرجع السّابق، ص 43 .

[2] – لقد أدّت الفتنة الباشيّة الحسينية إلى حدوث عدّة انقسامات داخل المجتمع التونسي، إذ لا يزال التّنافر قائما إلى يومنا هذا بين عدّة مناطق مثل "جارة" و"المنزل" رغم أنّهما يشكّلان معًا مدينة قابس. أنظر: محمد الهادي الشّريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التّاريخ إلى الاستقلال، ط 3، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنّشر، تونس، 1993، ص ص 84. 86 .

[3] – عروسية التّركي، المرجع السّابق، ص 81 .

[4] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية، المرجع السّابق، ص 149 .

البغيض الذي التصق بها ولبسته ظلما عقودا من الزّمن، حيث ألصق بها غلاة الانتهازية صفة "الفتنة" وما تضمّنته هذه الكلمة من تدنّ وامتهان[1].

*** اليوسفية " ثورة ثانية " ؟.**

يتداول هذا الاسم كثيرا في الأوساط الشعبية التونسية، فالحركة اليوسفية عندهم هي "ثورة ثانية" في التّرتيب بعد الثورة المسلحة الأولى (1952-1954) بتونس، وذلك لعدّة اعتبارات نذكر منها:

- عودة الكفاح المسلّح من جديد لمواجهة الاستعمار الفرنسي بعد التّوقيع على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس[2].
- أنّ الثورة الثانية قد ورثت الكثير عن الثورة الأولى، لاسيّما فيما يتعلّق بالاستراتيجية والتّكتيك، حيث تم اعتماد نفس الأسلوب "حرب العصابات" انطلاقا من الأحراش والجبال، واعتماد نفس التّنظيم أيضا "نظام الفرق" أو ما سمّي "بعصابات الفلاقة الجدد"[3].
- شاركت فيها (أي في الثورة الثانية) عدّة عناصر ممّن شاركوا في الثورة الأولى الذين لم يقتنعوا بالاستقلال الدّاخلي وطالبوا بالاستقلال التّام خُصوصا بعدما خاب ظنّهم في حكومة الاستقلال الذّاتي، كما انضمّت إليها عناصر جديدة[4] من الجنوب الشّرقي كفصائل ورغمّة والمرازيق[5]، إضافة إلى مجموعة من الشباب ممن تأثروا بالدعاية اليوسفية وتأثير قادتها العسكريين مثل الطّاهر لسود ومحمود بن حسّونة[6].

---

[1] – عروسية التّركي، المرجع السّابق، ص 82 .

[2] – نفسه، ص ص 82. 83.

[3] – هذا الاسم أطلقته السّلطات الفرنسية على العناصر المسلّحة في الحركة اليوسفية، كما تبنّاه الدّيوان السيّاسي الذي كان قد كوّن بدوره عصابات إرهابيّة لمواجهة ما يسمّى بالأمانة العامّة، وهي العصابات التي لقّبها اليوسفيّون بـ"اليد الحمراء للدّيوان السيّاسي". أنظر: الحبيب قرار، لتحيا تونس، مطبعة بوسلامة للنّشر، تونس، 1996، ص 189.

[4] – الأصل في هذه العناصر التي انضمّت للحركة اليوسفية، أنهم كانوا يعملون ضمن القوّات الفرنسية، لكنّها تخلّت عنهم بمقتضى اتّفاقيات 03 جوان 1955، فتحوّلوا إلى عاطلين عن العمل، ولم تستطع حظائر الشغل استيعابهم، فشكّلوا فائضا تمكّنت الدّعاية اليوسفية من استيعابه. أنظر: الحبيب قرار، المصدر السّابق، ص 193.

[5] – عروسية التّركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، ط1، دار نهى للنّشر، صفاقس، 2005، ص 200.

[6] – عدنان المنصر، المرجع السّابق، ص 110.

- تولي رجل الميدان الطّاهر لسود الذي شارك في الثورة الأولى قيّادة جيش التّحرير التونسي الذي تم الإعلان عن تأسيسه في فيفري 1956[1].

فبناء على هذه الاعتبارات، تعتبر الحركة اليوسفية امتدادا للثورة الأولى (1952-1954) في نظر الكثير ممّن شاركوا فيها أو لحقتهم تبعاتها.

* **اليوسفية " حركة معارضة " ؟.**

تبرز لنا الحركة اليوسفية من خلال العودة إلى التحوّلات العالمية التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية، والتي نضجت في منتصف الخمسينيات على أنها رؤية "معارضة ومخالفة" لاتّفاقيات 03 جوان 1955، لأنها عارضت وخالفت ما وافق عليه الحزب الدّستوري الجديد في مفاوضات "الحكم الذّاتي" التي أفضت إلى بلورة مفهوم هذه الكلمة، والذي ظلّ غائمًا ضبابيًّا في ذهن الطّرفين التونسي والفرنسي، حيث تمّ الاتّفاق حول مفهوم الحكم الذّاتي في صيّاغته النّهائية، وأمضى على هذا الاتّفاق زعيم الحزب الدّستوري الجديد الحبيب بورقيبة، بينما رفضه وعارضه الأمين العام للحزب "صالح بن يوسف"، الذي كان له موقف مخالف تمامًا للتوجّه الرسمي للحزب[2] .

ولو عدنا إلى الأصل اللّغوي لكلمة "مخالفة"، لوجدناها تشير إلى الخروج عن الجماعة في موقع الضّدّ، ففي دعوة صالح بن يوسف للعودة إلى الكفاح المسلّح من أجل الاستقلال التّام، نقيض لما اتّفقت عليه الحكومتين التونسية والفرنسية من قرارات تتعلّق بالحكم الذّاتي[3]، ومنه يبدو أنّ صالح بن يوسف الذي كان داخل إيديولوجيّة الحزب ومسؤولا بارزًا كأمين عام، قد خرج عن خطّ الحزب ورفض الاعتراف باتّفاقيات الحكم الذّاتي في ظرف حرج جدًّا[4] .

---

[1] - عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، المرجع السّابق، ص 83.

[2] - نفسه، ص 84 .

[3] - إنّ موقف صالح بن يوسف من الاتّفاقيات ودعوته إلى الكفاح المسلح من أجل الاستقلال التّام، جعل بورقيبة وحزبه في موقف حرج للغاية، لأنّ هذا الأخير كان يرى أنّ القرارات المتعلّقة بالحكم الذّاتي تبنّتها فرنسا طوعا، كونها لم تهزم عسكريّا وبإمكانها التّراجع عنها في أي لحظة. أنظر:

Habib Bourguiba, discours, publication du secrétariat d'état à l'information, Tunisie, 1974, p 86.

[4] - الحبيب نويرة، الذّاكرة الحيّة. ذكريات عصفت بي، دار سراس للنّشر، تونس، 1992، ص 313.

ولم تكن الحركة اليوسفية تدلّ على مخالفة اتّفاقيات الحكم الذّاتي وفقط، بل تدلّ أيضا على معارضة "مشروع تونس المستقبلي" الذي تبنّاه زعيم الحزب الدّستوري الجديد الحبيب بورقيبة، هذا الأخير الذي كان يرى أنّ مستقبل تونس يمكن أن يكون مشروعا مشتركا بين تونس وفرنسا على شرط اعتراف فرنسا باستقلال تونس الدّاخلي وبالذّاتية التونسية، طبقًا لمبدأ حقّ الشعب في اختيّار حكومته[1].

وإذا كان بورقيبة قد أضفى على مشروعه شحنة قانونية مرتّبة حسب سيّاسة المراحل (خذ وطالب)، فإنّ صالح بن يوسف قد أعطى مشروعه المستقبلي لتونس شحنة سيّاسيّة معارضة لما يراه بورقيبة، ذلك لأنّه يرى أنّ المجتمع التونسي يحمل موروثا حضاريا وقاسما مشتركا مع المجتمع العربي الإسلامي، وأنّ مصيره لا يمكن أن يُفصل عن مصير المغرب العربي الذي تجمعه به القيّم المشتركة والذّاكرة الجماعية، لذلك نجده يؤيّد فكرة الكفاح المسلّح المشترك بين أبناء المغرب العربي ككلّ للتخلّص نهائيّا من السّيطرة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال التّام والشّامل[2].

من خلال ما سبق، يمكن القول أنّه مهما تعدّدت الآراء في تحديد مفهوم الحركة اليوسفية، إلا أنها تبقى تدلّ على أحد تعبيرات الأزمة الحادّة التي دخلت فيها الحركة الوطنية التونسية، والتي أدّت إلى أكبر انشقاق شهده حزب الدستور الجديد، وكشفت بأنّ هذا التّنظيم ليس حزبا سياسيّا له برنامج واضح وعقيدة ثابتة بقدر ما هو حركة وطنية التفّت حولها تيّارات مختلفة ومتباينة أحيانا[3].

1-2- البعد القومي العربي للحركة اليوسفية.

يعود البعد القومي العربي للحركة اليوسفية إلى المؤتمر الذي عقد في القاهرة عام 1947، والذي ضمّ كافّة حركات التحرّر الوطني في المغرب العربي، حيث انبثقت عنه لجنة سميّت بـ "لجنة تحرير المغرب

---

[1] – Habib Bourguiba, op.cit, p97.

[2] – الحبيب نويرة، المصدر السّابق، ص 356.

[3] – واردة المنجي، جذور الحركة اليوسفية، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 71. 72، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1993، ص 482.

العربي " في 05 جانفي 1948، أسندت رئاستها إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وأمانتها العامّة للحبيب بورقيبة[1]، وقد نصّ ميثاقها على المبادئ التّالية :

- المغرب العربي بالإسلام كان وللإسلام عاش وعلى الإسلام سيسير في حياته المستقبليّة.
- المغرب العربي جزء لا يتجزّأ من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربيّة على قدم المساواة مع بقيّة الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.
- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التّام لكافّة أقطاره (تونس، المغرب، الجزائر).
- لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال.
- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيّات ضمن النّظام الحاضر.
- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.
- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التّام، لا يُسقط عن اللّجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير بقيّة الأقطار الأخرى[2].

لقد وافق على ميثاق اللّجنة كلّ من المناضل محمد بن عبد الكريم الخطابي ورؤساء الأحزاب الوطنية المغاربية التّالية :

- عن تونس: الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر ممثّلين عن الحزب الدّستوري الجديد، ومحي الدّين القليبي عن الحزب الدّستوري القديم.
- عن الجزائر : الشاذلي المكّي والصديق السّعدي ممثّلين عن حزب الشّعب الجزائري.
- عن المغرب : علال الفاسي وأحمد بن مليح ممثّلين عن حزب الاستقلال، ومحمد العربي العلمي والنّاصر الكتابي عن حزب الإصلاح الوطني، إضافة إلى عبد الخالق الطريس ومحمد بن أحمد عبّود عن حزب الوحدة المغربية[3].

---

[1] - الحبيب ثامر، مكتب المغرب العربي: هذه تونس، مطبعة الرسالة، (د.م)، (د.ت)، ص 121.

[2] - محمد بلقاسم، المرجع السّابق، ص 379.

[3] - إدريس الرّشيد، المصدر السّابق، ص ص 139. 141.

وللإشارة فقد دبت الخلافات بين أعضاء مكتب المغرب العربي، خاصّة بين قيّادة الحبيب بورقيبة التي وافقت منذ البداية على الارتباط بالأنظمة الرّجعية العربيّة وبالإمبرياليّة الأمريكية، لأنها رأت أنّ المعادلات الدوليّة هي التي تأتي أساسا بحلّ للمسألة الوطنية التونسيّة، وبين قيّادة كلّ من الحبيب ثامر ويوسف الرويسي عضو الدّيوان السيّاسي للحزب الدّستوري الجديد ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي بدمشق والأمير عبد الكريم الخطابي، بسبب الموقف من الكفاح المسلّح[1].

ومن العوامل التي ساهمت إسهاما فعليّا في تعميق البعد القومي للحركة اليوسفية، وبالتّالي إخراج المسألة الوطنية التونسية من حيّزها القطري الضيّق إلى بعدها العربي، نذكر اندلاع ثورة 23 جويلية 1952 في مصر بزعامة جمال عبد النّاصر، التي شكّلت نقطة انعطاف كبيرة في صعود الحركة القوميّة العربية إلى واجهة الأحداث، من خلال تحقيق الاستقلال والجلاء وتوسيع القطاع العام وتأميم الرأسمال الأجنبي، ومن خلال مقاومة الهيمنة الامبريالية عبر مقاومة الأحلاف العسكرية والدعوة إلى الحيّاد الايجابي، حيث شكّل انعقاد مؤتمر باندونغ بإندونيسيا في أفريل 1955، حدثا سياسيّا هامّا شاركت فيه كل من الهند والصّين ويوغوسلافيا، إذ جسّد ذلك المؤتمر خطّا سياسيّا واضحًا يدعو إلى مقاومة الاستعمار ومساندة حركات التحرّر الوطني في العالم بصفة عامّة وفي شمال إفريقيا بصفة خاصّة. وكان الزّعيم صالح بن يوسف قد حضر مؤتمر باندونغ، وهو ما عزّز حضوره السيّاسي كزعيم وطني وعزّز أيضا علاقاته مع جمال عبد النّاصر وزعماء العالم الثالث آنذاك[2].

وفضلا عن ذلك، كان لهزيمة الامبريالية الفرنسية في معركة "ديان بيان فو" في ماي 1954 بالفيتنام، واندلاع الثورة المسلّحة الجزائرية في نوفمبر من العام ذاته، الأثر البالغ في تجذّر الحركة اليوسفية من ناحية، وإجراء الدولة الفرنسية تعديلات على سيّاستها الاستعمارية القديمة لجعلها مقبولة أكثر من ناحية أخرى[3]. وعندما أصبح صالح بن يوسف زعيما لحركة المعارضة للاتّفاقيات عام 1955،

---

[1] – محمد بن عبود وجاك كاني، مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 وبداية نشاط المغرب العربي في القاهرة، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 25– 26، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1982، ص 30.

[2] – توفيق المديني، المرجع السّابق، ص 19.

[3] – نفسه، ص 20 .

تلقّى الدّعم القوي من جانب قيّادات الحزب الدّستوري ذات الاتجاه القومي المعروف، وخاصّة من طرف يوسف الرويسي الذي كان يعتبر في السّابق مشاركة بن يوسف في حكومة المفاوضات على غير الاستقلال خيّانة للالتزامات الوطنية والقوميّة[1]، كما اصطفّ مندوب الحزب الدستوري في القاهرة إبراهيم طوبال (المعروف بقوميّته أيضًا) إلى جانب صالح بن يوسف، حيث أصبح الممثّل الرسمي للحزب الدّستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي[2].

وزيّادة على ما سبق، فإنّ استخدام صالح بن يوسف لكثير من الكلمات التعبويّة في خطبه العديدة كقوميّة تونسيّة، العروبة والإسلام، وحدة الكفاح بين أقطار المغرب العربي...، فيه دلالة كبيرة على تنامي البعد القومي العربي للحركة اليوسفية، كما لا يمكن أن ننكر أنّ تقارب بن يوسف مع جمال عبد النّاصر بمصر وتمسّكه بجامعة الدول العربية ولجنة تحرير المغرب العربي ومنظّمة الأمم المتّحدة، وتشبّثه بقرارات دوّل عدم الانحيّاز، قد زاد من تجذّر البعد القومي العربي للحركة اليوسفية. وطبقا لهذا الوعي القومي العربي أصبحت الجامعة العربية باعتبار ناحيّتها الثقافية والسيّاسية، الغاية التي يسعى كلّ عمل فكري أو اجتماعي في تونس إلى تحقيقها[3].

هكذا تبلور خطّ الحركة اليوسفية باعتباره تيّارا وطنيّا وعروبيّا يقوده الزّعيم صالح بن يوسف، الذي استطاع أن يشقّ الحزب الحر الدّستوري التونسي إلى قسمين: الدّيوان السيّاسي بزعامة الحبيب بورقيبة والأمانة العامة بزعامة صالح بن يوسف، كما تلقّت الحركة اليوسفية دعما قويّا من جبهة التّحرير الوطني الجزائرية بإمضاء محمد خيضر ومن حزب الاستقلال المغربي بإمضاء علال الفاسي[4].

---

[1] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 513.

[2] – إبراهيم طوبال، البديل الثوري بتونس، دار الطّليعة للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1979، ص 325.

[3] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955– 1956)، المرجع السّابق، ص 124.

[4] – توفيق المديني، المرجع السّابق، ص 20.

2- صالح بن يوسف والحركة اليوسفية.

2-1- صالح بن يوسف. مسيرة مناضل.

وُلد صالح بن يوسف يوم 11 أكتوبر 1907 في منزل بن يوسف بمغراوة، وهي قرية تبعد بحوالي أربعة كيلومترات عن مدينة ميدون شرق جزيرة جربة[1]، وينحدر من أسرة عريقة في البلاد التونسية، حيث قدم جدّه الأول ضمن القيّاد الذين أرسلهم الخليفة هارون الرّشيد لمقاومة الانتفاضات التي كانت تقوم بالمغرب من جهة، ولتعزيز سيّاسة العبّاسيين التي تبنّاها الأغالبة من جهة أخرى، وعندما ما استتبّ الأمر بالقيروان وما حولها، وصار هذا الجدّ وأحفاده من المقرّبين لأمراء بني الأغلب، بعثه أحدهم إلى الجنوب التونسي، الذي صار مركزا هامّا للمناوئين لدولتهم، فاستقرّ بقرية (ڤرماسة) بولاية تطاوين الآن، وجعلها مركزا تنطلق منه توجيهات حركته، وتُنظّم فيه فصائل أعوانه لمطاردة الخارجين على طاعة أميره، واستطاع التحكّم في عدّة مناطق من الجنوب، ماعدا جزيرة جربة المتحصّنة بالبحر، التي كانت تحت تأثير الدولة الرّستمية الإباضية[2].

وبمرور الزّمن، تمكّن أحفاد هذه الأسرة (أسرة بن يوسف) من التألّق في ميادين العلم ونشر الدّعوة للتمسّك بالدّين الإسلامي الحنيف، وتأسّست بفضلهم الزاوية التي مازالت قائمة في قرية ڤرماسة التي تخرّج منها عدد كبير من المشايخ، ومنذ ثلاثة قرون تقريبا رحل بعض أفراد أسرة بن يوسف من منطقتهم واستقرّوا بجزيرة جربة، فتأقلموا ببيئتها واندمجوا في مجتمعها وتعاطوا مهنة التّجارة، وكان من ضمنهم أحد المنحدرين من هذه العائلة الحاج "سليمان بن يوسف" والد صالح بن يوسف[3].

وبحكم طبيعة الجرابة[4]، ترعرع صالح بن يوسف في أحضان عائلة جدّه بالبيت الكبير "بيت العائلة" في جربة، والتحق منذ طفولته بكتّاب "جامع حاضر باش" أين تعلّم المبادئ الأولى في القراءة

---

[1] – محمد منصف الشابي، صالح بن يوسف. حياة كفاح، ط2، دار نقوش عربية، تونس، (د.ت)، ص 17.

[2] – ابن الحاج يحي الجيلاني، الزّعيم الكبير صالح بن يوسف. حياته ونضاله، ط1، الشركة التونسية للنّشر وتنميّة فنون الرّسم، تونس، 2009، ص 07 .

[3] – نفسه، ص 08.

[4] – من طبيعة الجرابة أن ينتقل الرّجال وحدهم إلى العاصمة أو إلى أيّ مدينة أخرى للعمل، في حين تمكث النّسوة في المنزل للعناية بالأطفال تحت مراقبة وحماية الجدّ، بينما لا يعود الوالد إلى جربة إلا لبضعة أيّام، فتبقى بذلك الصّلة قائمة بين الابن المهاجر وبيئته الأصليّة، ومنه نستنتج أنّ صالح بن يوسف قد تربى في ظلّ جدّه ببيت العائلة الكبير بجربة. أنظر:

والكتابة وحفظ نصيبا من القرآن الكريم[1]، ولما ظهرت عليه علامات الفطنة والنّجابة قرّر جدّه إرساله إلى تونس العاصمة سنة 1915 صحبة أخيه البشير لمزاولة التّعليم الابتدائي بمدرسة نهج التريبونال (مدرسة خير الدين) التي تحصّل منها سنة 1922 على شهادة ختم التّعليم الابتدائي[2].

بعد ذلك انتقل بن يوسف إلى مرحلة التّعليم الثانوي، حيث التحق بمعهد كارنو الجديد[3] الذي جلب اهتمام الكثير من الأوليّاء التونسين، لكنّه سرعان ما شعر بضعف تعليم اللّغة العربيّة فيه، وطلب من والده أن يساعده على تدارك الأمر، فانتدب له أستاذا مختصّا في اللّغة العربيّة والفقه، وهو الأستاذ "محمد مناشو" الذي أبدى اهتماما كبيرا ببن يوسف لما لاحظه عليه من ذكاء وفطنة، حيث كان يتردّد على بيت بن يوسف في الأوقات التي يعود فيها من المدرسة ليحاوره في دروس اللّغة والأدب والفقه وبعض المواد العلميّة مثل الهندسة، كما كان بن يوسف يُتابع بانتظام حضور الدروس المسائية بمدرسة "العطّارين"، التي كانت تهتمّ بتكوين التلاميذ في مجال التّرجمة على يد أساتذة أكفّاء ذاع صيتهم كثيرا آنذاك من أمثال" الصّادق الزمرلي" و"الأصرم" والفرنسيين "ميرا" و"مارسي"، وهنالك تمكّن بن يوسف من إحراز شهادتي" البروفي العربي – Brevet D'arabe" و"الدبلوم العربي – Diplôme D'arabe"[4].

واصل بن يوسف تعلّمه بمعهد كارنو دون أيّ رسوب وبتفوّق في كثير من الأحيان، وخلال سنواته الأخيرة من التّعليم الثانوي، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا سنة 1930، صار يهتمّ بمطالعة الصّحف الوطنية، ويحضر بعض النّدوات الفكرية والاجتماعات التي ينظّمها أعضاء اللّجنة التّنفيذية للحزب الحرّ الدستوري التونسي، وازداد حماسه الوطني مع نخبة من زملائه، خاصّة بعدما قرّرت

= Hassouna Mzabi, le Tunisie du Sud- Est, géographie d'une région fragile marginale et dépendante, publications de l'université de Tunis 1 , Tunis, 1993, p339 .

[1] – أحمد الطويلي، تراجم تونسية، المطبعة العصرية، تونس، 2009، ص 160.

[2] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955–1956)، المرجع السّابق، ص 87.

[3] – هو معهد عصري وجديد، اشتهر باسم "ليسي كارنو"، معهد بورقيبة الآن، كان مخصّص لأبناء الجاليّة الفرنسية إذ ذاك، وقليلا ما يقبل أبناء المسلمين، إلا من تميّز منهم بالتفوّق والمكانة الاجتماعية الرّاقية، وقد جلب هذا المعهد اهتمام الكثير من الأوليّاء التونسيين، فأرسلوا أبناءهم إليه، كونه يفتح لخرّيجيه آفاق واسعة مقارنة بخرّيجي المدرسة الصّادقية. أنظر: ابن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص ص 8. 9.

[4] – محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص 20.

الكنيسة الكاثوليكية مدعومة من سلطة الحماية الاستعمارية تنظيم مؤتمر مسيحي بقرطاج خلال الفترة الممتدّة من 07 إلى 13 ماي 1930 عرف بالمؤتمر الأفخاريستي[1]، وبعدما أعلنت فرنسا أيضا عن تنظيم احتفالات خمسينيّة الحماية الفرنسية على تونس سنة 1931[2].

وللإشارة فإنّ هذه الاستفزازات التي أقدمت عليها السّلطات الاستعمارية، قد لقيّت معارضة شديدة من طرف الشعب التونسي، كما أثارت هيجانا صاخبا وسط العديد من الوطنيين المثقّفين من أمثال صالح بن يوسف الذي تعرّض بهذه المناسبة إلى الزّج في السّجن رفقة نخبة من أصدقائه المتحمّسين للنّضال الوطني[3]، وبعد إطلاق سراحهم[4] أدرك بن يوسف أنّ العالم يتكوّن من الأقوياء والضّعفاء تماما مثلما هو الحال في الغاب، وبالتّالي فلا سبيل إلى القوّة إلا بتحرير قوى الشعب المقيّدة، ولا سبيل إلى الكرامة إلا بتحرير الوطن من قبضة الاستعمار، حيث ظلّت هذه الأفكار تُراوده وتخالج فكره وهو على أهبة الاستعداد لمغادرة الأهل والوطن متّجها نحو فرنسا لاستكمال دارسته، مقتنعا في ذلك بأنّه ليس في الأمر تناقض، إذ لا بدّ من التسلّح بسلاح العدوّ لمقاومته[5].

ففي سنة 1930، سافر بن يوسف إلى باريس وانخرط في سلك كلّية الحقوق بمعهد السّربون، الذي تحصّل منه على شهادة اللّيسانس في الحقوق والعلوم السيّاسية خلال السنة الجامعية 1933-

---

[1] – اعتبر صالح بن يوسف وغيره من الوطنيين التونسيين أنّ تنظيم هذا المؤتمر في تونس، هو تحدّ كبير للشّعور الدّيني والوطني للشعب التونسي، باعتبار أنّ الكنيسة قرّرت إيواء عدد من الرّهبان المشاركين في هذا المؤتمر بإحدى البيوت التّابعة لها في نهج القنطرة على مقربة من نهج الحلفاويين، حيث تسكن عائلة بن يوسف (زنقة الريّاض)، فكان الرّهبان يمرّون بين النّاس حاملين صلبانهم على صدورهم وظهورهم، والمارّة يتوقّفون وينظرون بحرارة إلى هذا التحدّي الصّريح، الأمر الذي دفع بالعديد من السيّاسيين والمثقّفين التونسيين إلى الخروج في مظاهرة حاشدة بمدينة تونس، رافعين شعارات وطنية معاديّة للاستعمار ومدافعة عن الدّين الإسلامي. أنظر: محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص ص 23 . 24.

[2] – ابن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص 09.

[3] – نفسه، ص 10.

[4] – لقد تدخّل السيّد محمد المقدم – ولد السيّد صادق المقدم– الذي كانت تربطه علاقة القرابة والصّداقة بعائلة بن يوسف، لدى السّلطات الفرنسية، وأقنعها بأنّ هؤلاء الشباب لا يستحقون هذه القسوة، الأمر الذي جعل فرنسا تُقدم على إطلاق سراحهم. أنظر: محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص 24.

[5] – نفسه، ص 25.

1934[1]، كما اهتمّ بن يوسف منذ السنة الأولى لإقامته في فرنسا بتأسيس أوّل شعبة[2] دستورية للحزب، و كان ذلك في سنة 1931، الأمر الذي ساعده على الاتّصال بعدد كبير من طلبة الجزائر والمغرب الأقصى، فترعرعت بذلك فكرته الوحدوية بين بلدان المغرب العربي وازدادت قناعته بأنّه لا حلّ لمشكلة هذه البلدان (الجزائر، تونس، المغرب) إلا بالتخلّص من الاستعمار الفرنسي[3].

وبعد عودته إلى تونس في صائفة 1934، شرع بن يوسف في القيّام بفترة التّدريب القانونية لدى أحد المحامين، ثم فتح بعد ذلك مكتبا للمحاماة بحي باب سويقة[4]، الذي أصبح في واقع الأمر مركزا للاجتماعات السيّاسية، حتى أنّه كان يسمّيه "مكتب الجميع"، ذلك أنّ صالح بن يوسف كان يحضر اجتماعات الدّيوان السيّاسي قبل أن يصبح عضوا فيه، وتألّق بنشاطه بعد إلقاء القبض على قيّادة الحزب الدستوري الجديد في شهر سبتمبر 1934، فقبض عليه هو الآخر وأبعد بدوره إلى برج الباف، ولم يُطلق سراحه إلا في شهر ماي 1936 ليواصل مساره النّضالي بعد ذلك[5].

ولما انعقد المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد بين 30 أكتوبر و02 نوفمبر 1937 بنهج التريبونال، أنتخب صالح بن يوسف عضوا في الدّيوان السيّاسي للحزب، وثم اختيّاره بالإجماع "أمين مال الحزب"، واستطاع بذلك أن يوفّر رصيدا هامّا من المال لصندوق الحزب، خصوصا من أبناء جزيرة جربة الذي كان يتمتّع لديهم بنفوذ أدبي وثقة لا حدود لها[6]. وعلى إثر حوادث 09 أفريل 1938 عمدت السّلطات الاستعمارية إلى حلّ جميع المنظّمات الوطنية وإيقاف الصّحف وإلقاء القبض

---

[1] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص 87

[2] – شعبة وجمعها شُعب، وهي التّشكيلة الأساسية في الحزب، تعني الخلايا المحلّية التي تنتشر في مختلف المناطق، وهي بمثابة المراكز القاعدية، تتألّف من حوالي 50 منخرطا تتراوح أعماهم بين 15 و20 سنة، ولكل شعبة خليّة أو خلايا من الشبيبة الدستورية تابعة لها. أنظر: عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص 98.

[3] – أحمد الطّويلي، المرجع السّابق، ص 160 .

[4] – Charles André Julien, Et la Tunisie devient indépendante (1951-1957), Ed J.A/S.T.D , (s.l), 1985, p 187.

[5] – ابن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص 11.

[6] – محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص 71.

على عدد كبير من الوطنيين التونسيين[1]، من أمثال بن يوسف الذي بقي يقبع بحصن "سان نيكولا " بمرسيليا طيلة الفترة الممتدة من ماي 1940 إلى أفريل 1943[2].

وبعد الحرب العالمية الثانية، نشطت الحركة التونسية من جديد، حيث سافر الزّعيم "الحبيب بورقيبة" في مارس 1945 إلى مصر للتّعريف بالقضيّة التونسية، وصعّد رفاقه بقيّادة صالح بن يوسف من وتيرة النّضال الوطني، ولما كان الحزب ممنوعا من النّشاط قانونيا آنذاك، فإنّ بن يوسف قد وجّه عناية خاصّة إلى تكوين المنظّمات النقابيّة القوميّة لتأطير الجماهير الشّعبية وترسيخ الوحدة الوطنية من جهة، وخلق فراغ حول السّلطة الاستعمارية من جهة أخرى[3].

هكذا وبفضل مساعي بن يوسف الحثيثة رفقة زملائه في النّضال، تكوّن الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946، برئاسة شرفيّة للشّيخ محمد الفاضل بن عاشور، وبتوجيه منه أيضا تم تأسيس الجامعة العامّة للنّقابات الفلاحيّة سنة 1946، التي أصبحت تسمّى في جوان من سنة 1947 بالاتحاد العام للفلاحة التونسية، كما تمّ بعث اتحاد نقابات الصنايعيّة وصغار التّجار بالقطر التونسي سنة 1947، وتولى بن يوسف بدوره مهمّة المستشار القانوني ليكون له الحقّ في حضور اجتماعات هيئته، هذا فضلا عن دعمه الكبير بصفته كأمين عام للحزب لمختلف المنظّمات القوميّة، مثل المنظّمة النّسائية (اتحاد النّساء المسلمات) والمنظّمات الشبابيّة الأخرى (الكشّافة، الشبيبة المدرسيّة...)[4].

إضافة إلى ما سبق، فقد شارك بن يوسف في التّحضير لمؤتمر ليلة القدر من خلال دعوة كافّة المنظّمات القومية والشخصيّات الوطنية ورموز التيّارات الفكريّة والاجتماعية لحضور المؤتمر بتاريخ 23 أوت 1946، أين تم الاتّفاق على تحرير لائحة رسميّة تتضمّن المطالبة بالاستقلال التّام!، ليتمّ تسليمها للمقيم العام

---

[1] – من بين الوطنيّين التونسيين الذين تمّ القبض عليهم نذكر: صالح بن يوسف، المنجي سليم، الحبيب بورقيبة، الحبيب بوقطفة، يوسف الرويسي، الهادي نويرة، سليمان بن سليمان، الهادي شاكر، علي الزليطني، علي البلهوان...، وللإشارة فإنّ هؤلاء التونسيين لن يتم الإفراج عنهم إلا بعد تدخّل الألمان المنتصرين إذ ذاك في الحرب العالمية الثانية، في محاولة منهم لاستدراج التونسيين إلى جانبهم في حربهم بشمال إفريقيا. أنظر: جوليان شارل أندري، إفريقيا الشّمالية تسير، تر: المنجي سليم وآخرون، الدّار التونسية للنّشر، تونس، 1971، ص 198 .

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 66.

[3] – عمر الشّاذلي، بورقيبة كما عرفته، المصدر السّابق، ص ص 80 .83. (بتصرّف).

[4] – الهادي التّيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932– 1955)، المرجع السّابق، ص ص 188. 189.

الفرنسي بتونس "الجنرال ماست"[1]. وبذلك يكون بن يوسف قد نجح ميدانيّا في توحيد القوى الوطنية التونسية، الأمر الذي أكسبه مكانة خاصّة سواء على المستوى الدّاخلي أو الخارجي لتونس، خُصوصا لدى أنصار الحرية والمطالبين بحقوق الشعوب في تقرير مصيرها[2].

وبعد زواجه من السيّدة "صوفية زهير" في 07 ماي 1947[3]، واصل بن يوسف مهامّه النّضالية من خلال مشاركته في حكومة محمد شنّيق التّفاوضية التي تكوّنت يوم 17 أوت 1950 من أجل الوصول بتونس إلى الاستقلال الدّاخلي على مراحل، وشغل فيها منصب وزير العدل بموافقة حزبه[4]، ولما فشلت تجربة المفاوضات خاصّة بعد صدور مذكّرة 15 ديسمبر 1951 التي تُقرّ بازدواجية السيّادة في تونس[5]، سافر صالح بن يوسف (وزير العدل) رفقة محمد بدرة (وزير الشؤون الاجتماعية) إلى باريس، وقدّما في يوم 14 جانفي 1952 شكوى تونسية في شأن الخلاف الحاصل بين تونس وفرنسا إلى الأمانة العامة للأمم المتّحدة، التي عقدت حينذاك جمعيّتها العامّة بقصر "شايو" في باريس (في انتظار انتهاء أشغال مقرّها

---

[1] – حاول المقيم العام الفرنسي (الجنرال ماست) استدراج صالح بن يوسف لاتخاذ قرار فردي يكون سببا في بث الخلاف والتّفرقة بين الوطنيين التونسيين، وذلك أثناء لقائه السرّي مع بن يوسف في ضيعة أحد المعمّرين الفرنسيين بجهة ماطر، حيث طلب منه أن يمدّه بقائمة المطالب التي يريد الحزب تحقيقها، غير أنّ بن يوسف تفطّن لهذه المكيدة وخيّب أماله بطريقة ذكيّة حين عمل على الدّعوة إلى عقد مؤتمر يضمّ جميع الصّفوف الوطنية لصيّاغة وثيقة رسميّة تتضمّن المطالب التي تتقيّد بها جميع المنظّمات الوطنية. أنظر: بن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص ص 14 . 15.

[2] – الهادي التّيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932– 1955)، المرجع السّابق، ص 190.

[3] – رفض صالح بن يوسف إقامة أيّ احتفال بمناسبة زواجه، حيث رافقه بعض أصدقائه إلى بيت درغوت بتونس أين كانت تنتظره عروسه، ثم حملها إلى بيته الصّغير بمدينة باردو، ومنه انتقلا إلى بلدة عين دراهم، وتذكر السيّدة صوفية زهير أنّ بن يوسف قد غادر بلدة عين دراهم بعد أربعة أيّام من إقامته بها لاستكمال نضاله الوطني، ولصالح بن يوسف ابنان هما: الشّاذلي المولود سنة 1948 ولطفي المولود بتاريخ 1950. أنظر: محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص 29.

[4] – بن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص 16.

[5] – هذه المذكّرة أرسلتها الحكومة الفرنسية إلى الوزير محمد شنّيق يوم 15 ديسمبر 1951، لتؤكّد له عن رفضها القاطع للمطالب الوطنية التي قدّمها التونسيون للحكومة الفرنسية في مذكّرة 31 أكتوبر 1951، فكان ذلك بمثابة الإعلان عن التنكّر والقطيعة وفشل الحوار وبداية مرحلة جديدة من الصّراع مع الاستعمار. أنظر: واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 480. أنظر أيضا: عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 136.

الرسمي في نيويورك)[1]. ولما بلغهما نبأ اعتقال أعضاء حكومة شنّيق من طرف المقيم العام الفرنسي "ذي هوت كلوك" بتونس، قرّرا الوزيرين مغادرة باريس في خفية وتستّر، فباتا ما أصبحا كما يقال![2].

غادر صالح بن يوسف ومحمد بدره باريس يوم 26 مارس 1952 متّجهين نحو بروكسل، ومنها إلى جنيف ثم إلى القاهرة، أين شرعا في الاتّصال بأجهزة الإعلام وبرجال السيّاسة داعين إلى مؤازرة التونسيين في كفاحهم ضدّ الاستعمار الفرنسي الغاشم[3]، حيث كان الزّعيم صالح بن يوسف يدعو الأشقّاء العرب لمساعدة المجاهدين عن طريق أجهزة الإعلام من صحف وإذاعات، وبصفة خاصّة ضمن نشاطه بمكتب المغرب العربي ولدى الجامعة العربية ورفاقه الوطنيين من الجزائر والمغرب اللاجئين بمصر[4].

ومن القاهرة تابع صالح ين يوسف كلّ مراحل الكفاح المسلّح بتونس، كما تابع أطوار المفاوضات التونسية الفرنسية بعد تصريح منداس فرانس في 31 جويلية 1954، الذي يعترف باستقلال تونس الدّاخلي، ولم يعد بن يوسف إلى تونس إلا في 13 سبتمبر 1955، ليقود بذلك حركة المعارضة للاتّفاقيات الفرنسية التونسية الموقّعة يوم 03 جوان 1955، التي كرّست في نظره الأوضاع الاستعمارية الفرنسية القائمة بتونس[5]، ثم اضطرّ بن يوسف بعد القرار المشترك بين الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري والحكومة التونسية التي يرأسها الطّاهر بن عمّار والمقيم العام الفرنسي بتونس (المفوض السّامي) – القاضي بإلقاء القبض على بن يوسف وأنصاره بتهمة التآمر على أمن الدولة الدّاخلي والخارجي– إلى الفرار نحو ليبيا، حيث تمكّن من خلال استعانته ببعض المقرّبين إليه أمثال "الشاذلي البديري"، من الإفلات من الرّقابة التي أقيمت حول بيته وفي معظم الأماكن الحسّاسة متّجها نحو الضّاحية الجنوبية لتونس، ليتسلّل منها إلى داخل التراب اللّيبي[6].

هكذا دخل صالح بن يوسف ليبيا لاجئا مهاجرا ليلة 28 جانفي 1956، ثم التحق بعاصمتها طرابلس يوم 01 فيفري 1956، وهنالك استقبل خير استقبال، حيث منحته السّلطات اللّيبية حقّ

---

[1] – Julien Charles Andres, et la Tunisie devient indépendante (1951-1957), op.cit, p188.

[2] – بن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص 11.

[3] – نفسه، ص ص 20. 21 .

[4] – أمحمد بن عبود، المصدر السّابق، ص 20.

[5] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 480.

[6] – شهادة المناضل حمّادي غرس، تسجيل شفوي رقم 221، تونس (الجهة الكبرى)، 19 أفريل 2001. (م.ع.ت.ح.و.ت).

اللّجوء السيّاسي[1]، وقاد بذلك حركة المعارضة للنّظام التونسي من طرابلس بعد أن تحوّلت هذه الأخيرة إلى مركز نشاط ثوري كبير أمّه عدد كبير من الوطنيين التونسيين والمغاربة الذين التفّوا حول بن يوسف وعملوا جميعا على تحقيق ما نادت به الحركة اليوسفية من استقلال تامّ[2].

وعن إقامة صالح بن يوسف بليبيا، تذكر السيّدة صوفية زهير – أرملة الزّعيم صالح بن يوسف– في تصريح صحفي لها، أنها التحقت بزوجها أثناء إقامته بطرابلس بعدما اتخذت الإذن من السّلطات التونسية التي لم تعترض على ذلك، وأقامت معه أربعين يوما في طرابلس، ثم قرّرا معًا السّفر إلى مصر والاستقرار بها كلاجئين سيّاسيين[3]، وفي مصر (القاهرة) ظلّ بن يوسف بناء على تصريح السيّدة صوفية زهير مشغولا على الدّوام بالعمل السيّاسي في مكتب المغرب العربي رفقة إخوانه الجزائريين وهم في عز ثورتهم، وبالسّفر للمشاركة في مختلف النّدوات والمؤتمرات الدوليّة المندّدة بالاستعمار، إلى أن تم اغتيّاله بألمانيا في يوم 12 أوت 1961[4].

2-2- ارتباط اسم بن يوسف بالحركة اليوسفية :

لقد استهوت السيّاسة صالح بن يوسف منذ سنّ مبكّرة من شبابه نظرا للوضع العام الذي كانت تعيشه البلاد التونسية خلال فترة العشرينيات ومطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، الأمر الذي جعله يشارك بقيّة زملائه في الاحتجاج على السيّاسة الاستعمارية الاستفزازية التي كانت تُقدم عليها سلطات الاستعمار الفرنسي بتونس، وبما أنّ الإطار القانوني لممارسة السيّاسة هو الحزب، فقد اشترك بن يوسف في الحزب الحرّ الدستوري التونسي، وعمل مع مجموعة من الطلبة التونسيين المهاجرين في فرنسا على بعث شعبة دستورية بباريس عن طريق صديقه الطّاهر صفر، وعند عودته إلى

---

[1] – عبد الله العبعاب، شهادة للتّاريخ. مذكّرات (1917، 1961)، ج1، مطبعة التّسفير الفني، تونس، 2010، ص 231 .

[2] – محمد عبد الكافي، رحلة عبر الكفاح الوطني. مذكّرات، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص ص 206. 207.

[3] – عاشت السيّدة صوفية زهير رفقة زوجها مدّة خمس سنوات (1956-1961) بمصر، والبقيّة كأرملة، ولم تعد إلى تونس إلا في عهد الرئيس زين العابدين بن علي، وقد استطاعت أثناء إقامتها هناك أن تربي أبناءها: لطفي والشاذلي وتعلّمهما حتى النّهاية، حيث كانت سعيدة ولم تتعب ماديّا ولا معنويا، كما أنها لم تعرف الحاجة قطّ، وذلك بفضل المعاش الذي كانت توفّره لها الحكومة المصرية. أنظر: الحوار الصّحفي الذي أجراه مدير جريدة الجزيرة "لطفي الجريدي" مع السيّدة صوفية زهير أرملة الزّعيم صالح بن يوسف. نقلا عن: بن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص 32.

[4] – نفسه، ص 33.

تونس، انضمّ بن يوسف إلى الحزب الدستوري الجديد دون أن يتحمّل أيّة مسؤوليّة قيّادية، لا في الهيئة الإدارية ولا في الدّيوان السيّاسي، وظلّ على ذلك الحال إلى أن شنّ المقيم العام الفرنسي "بيرطون" حملة اعتقال واسعة في صفوف الدستوريين القدامى والجدد والشيوعيين لعزل قادة الحركة الوطنية وتوفير والأمن الهدوء لنظام الحماية، وتعويضا لأهمّ عناصر الدّيوان السيّاسي كالرئيس محمود الماطري والأمين العام الحبيب بورقيبة اللّذان اعتقلا في 03 سبتمبر 1934، تمّ تأسيس ديوان سيّاسي جديد، ضمّ كل من الطّاهر صفر والبحري قيقة وصالح بن يوسف[1].

ومن هنا نلاحظ أنّ بن يوسف قد أصبح من أهمّ العناصر الوطنية داخل الحزب الدستوري الجديد في سنّ لا يتجاوز السّابعة والعشرين عاما، وذلك نتيجة الفراغ الذي أحدثته الاعتقالات الواسعة في صفوف قادة الحزب، مع العلم أنّ بن يوسف قد تعرّض هو الآخر للاعتقال على يد السّلطات الاستعمارية الفرنسية خلال عدّة مرّات[2].

وإذا كان بن يوسف قد كشف خلال المرحلة الأولى من نضاله الوطني التي استمرت إلى غاية منتصف الخمسينيات من القرن العشرين عن شخصيّته المرنة التي تميل إلى الهدوء والتعقّل، من خلال حرصه على تجاوز بذور الخلاف والتمسّك بالوحدة الوطنية أمام السّلطات الاستعمارية[3]، مشكّلا بذلك انسجاما ظاهريّا مع الزّعيم الحبيب بورقيبة[4]، فإنّ الأمر قد تغيّر تماما خلال المرحلة التي عقبت التّوقيع على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية في شهر جوان 1955، حين ظهرت الحركة اليوسفية لتكشف

---

[1] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 98.

[2] – أحمد الطّويلي، المرجع السّابق، ص 160 .

[3] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص 90.

[4] – رغم تباين قادة الحزب الدستوري الجديد واختلافهم حول استراتيجيّات العمل النّضالي، إلا أنّ بن يوسف قد حرص خلال المرحلة الأولى من نضاله على وحدة الصّفوف داخل الحزب الدستوري الجديد، حيث أبدى انسجاما ظاهريّا في تعامله مع الحبيب بورقيبة، وهو ما نلمسه من خلال استناده (بن يوسف) لأوامر بورقيبة في مواجهة خصومه وإقناع معارضيه، حتى أنّه في مؤتمر دار سليم الذي يعتبره بورقيبة مؤتمر الخيّانة والغدر والنّفاق بحكم انعقاده في فترة غيّابه، كان بن يوسف يعلّل أقواله بأنها أوامر بورقيبة، إلى أن تساءل أحد المواطنين فقال: ما الذي يثبت لنا أنها أوامر بورقيبة؟، فأجابه بن يوسف بتهكّم: في المرّة القادمة سأحضر معي عدلين ليشهدا عمّا أقول يا سيّدي. أنظر:

Sophie Bessis Et Souhayer Belhassen, Bourguiba : A la conquête d'un destin (1901-1957), Tome$_1$, Jeune Afrique, Paris, 1988, p122.

بذلك عن وجه آخر من شخصيّة بن يوسف، وجه الثّائر السيّاسي الرّاديكالي الذي لا يقبل عن الاستقلال التّام بديلا[1].

وعليه فإنّ الدّارس لمسيرة بن يوسف النّضالية بعد صائفة 1955، سوف يتّضح له أنّ بن يوسف قد اتخذ من قرار الرّفض شعارا أساسيّا لنضاله الوطني، ذلك أنه رفض الاتّفاقيات الموقّعة مع فرنسا، ورفض قرار رفته وتجريده من الأمانة العامّة للحزب، كما رفض مؤتمر صفاقس وقراراته ورفض أيضا أيّ حزب خارجا عن الحزب الدستوري الجديد[2]، وأكثر من ذلك فإنّه رفض مشاركة العناصر الدستورية داخل الحكومة التونسية التي كانت هي الأخرى محلّ رفض من قبل بن يوسف، بحكم عملها لصالح فرنسا على حساب تونس، إذ يقول عنها :« لا يمكن للبلاد أن تتجنّب حربا أهلية مادامت تحكمها حكومة لا تتمتّع بثقة الشّعب، ولا تعبّر عن طموحاته ولا تعمل لصالحه »[3].

ولما كان بن يوسف أحد أهمّ العناصر الوطنية داخل الحزب الدستوري الجديد، فإنّه استطاع أن يجلب إلى صفّه ومواقفه المعارضة – كما سيأتي بيانه لاحقا – عدّة تيّارات فكريّة وأحزاب سيّاسية ومنظّمات نقابيّة...، وعناصر وطنية تؤمن بالكفاح المسلّح...، إضافة إلى قطاعات شعبية عريضة[4]. وهذا راجع بالدّرجة الأولى إلى تلك الخطب التي كان يلقيها بن يوسف على الشعب التونسي بمختلف أنحاء الوطن، والتي كثيرا ما كانت تحمل شعارات "العروبة والإسلام"، الاستقلال التّام"...، حيث استطاع بذلك أن يُلهب حماس الجماهير التونسية التي عبّرت عن ولائها لبن يوسف من خلال انضمامها للحركة اليوسفية[5].

هكذا يكون صالح بن يوسف أحد أهمّ مكوّنات وعناصر هذه الحركة التي اتخذت من الرّفض والمعارضة شعارا لنضالها التحرّري، لذلك أصبحت تسمى باليوسفية نسبة للزّعيم "صالح بن يوسف"،

---

[1] – محمد عبد الكافي، المصدر السّابق، ص ص 206 .207.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص ص 125. 126. أنظر أيضا :عميرة عليّة الصّغير، المرجع السّابق، ص ص 48. 49.

[3] – I.S.H.M.T, Bobine S386, carton 2h151, D n° :02, Physionomie de la presse arabe et tunisienne, Al Balagh du 03 Décembre 1955, P524.

[4] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص ص 479. 480.

[5] – Habib Achour, Ma vie politique et syndicale : Enthousiasme et déception (1944-1981), Tome$_1$, Alif Editions de la méditerranée, Tunis, 1989, p 52.

لتدلّ بذلك على القوى والتيّارات المؤيّدة له[1]، هذا فضلا على كون بن يوسف هو النّاطق الرسمي للأمانة العامّة التي كانت تمثّل أتباعه على المستويين الدّاخلي والخارجي لتونس[2]. غير أنّ هذا لا يعني أنّ الحركة اليوسفية تقتصر على شخصيّة صالح بن يوسف وفقط، إذ لا يمكننا اختزالها في شخص واحد، خصوصا بعدما أبدت العديد من الأطراف (داخل تونس وخارجها) عن تأييدها للطروحات التي تبنّتها هذه الحركة[3].

3- المجال الجغرافي للحركة لليوسفية :

مثّل المجال الجغرافي أحد أهمّ الرّهانات التي اعتمد عليها صالح بن يوسف في توطيد دعائم الحركة اليوسفية، خاصّة بعدما أدرك أهمية المعطى المجالي في حسم الصّراع القائم مع الشقّ البورقيبي لصالحه، إذ أنّ كلّ حي وكلّ مدينة جديدة تنظم إلى صفّه، هي خطوة هامّة على درب ترجيح كفّته وفرض خياراته. وتسهيلا لدراسة المجال الجغرافي للحركة اليوسفية بتونس ارتأينا تقسم المجال التونسي إلى ثلاثة أقسام.

3-1- الشّمال التونسي :

لقد أدرك صالح بن يوسف أهميّة الشّمال التونسي كإطار جغرافي استراتيجي من شأنه أن يعطيّ دفعا قويّا للحركة اليوسفية، وهذا راجع إلى معطيين رئيسيين: يتعلّق أولاهما بأهمّية المدن المنتشرة به مثل تونس العاصمة وبنزرت، ومدن الوطن القبلي التي مثّلت دعما سيّاسيّا كبيرا للحركة اليوسفية، أما المعطى الثّاني فهو متعلّق بأهمّية البنية الطّبوغرافية في إنشاء الحركة المسلحة اليوسفية في الشّمال الغربي، وخاصّة بمناطق جندوبة وغار الدّماء والكاف وسليانة، مع العلم أنّ هذا الإسناد العسكري لا يقلّل من الإسناد السيّاسي الذي وفّرته هذه المناطق للأمانة العامّة[4] .

---

[1] – عروسية التركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، المرجع السّابق، ص 196.

[2] – شهادة المناضل حسين التريكي، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[3] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 480.

[4] – محسن الخميري، الحركة اليوسفية. مجالها وحدودها (1955-1961)، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، قسم التّاريخ، جامعة منوبة، تونس، 2003-2004، ص 27.

ففي الشّمال الغربي لتونس، تواجدت 29 شعبة تابعة للأمانة العامّة[1]، نذكر منها شعبة سوق الخميس، شعبة وادي مليز، شعبة سوق الأربعاء، شعبة الحوايلية، شعبة الجريف، شعبة المعاريف، شعبة ولجة السّدرة، شعبة القصر الأبيض...[2]، بينما تواجدت 76 شعبة مواليّة لبن يوسف في جهة الشّمال الشرقي، منها 47 شعبة بإقليم تونس العاصمة فقط[3] مثل شعبة السيّدة المنوبيّة، شعبة سكرة، شعبة باب سويقة، شعبة باب سعدون، شعبة الدّندان ... إلخ[4] .

ودون الاستطراد في ذكر كلّ الشعب اليوسفية التي تواجدت بإقليم تونس العاصمة، فإنّه يمكننا القول أنّ أغلب الشعب الدستورية المتواجدة هناك كانت قد أعلنت عن ولائها لبن يوسف، بما في ذلك جامعة تونس والأحواز التي انحازت في غالبيّتها على الأقل حتى مؤتمر صفاقص[5] لصفّ بن يوسف[6]، وهذا راجع إلى الاستراتيجية التي اعتمدها هذا الأخير في توطيد دعائم الحركة اليوسفية،

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 38 .

[2] – عبد الحميد الهلالي، جندوبة (1881 – 1956). علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، تقديم الأستاذ علي المحجوبي، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2009 ، ص ص 402 .403.

[3] – يعود السّبب في كثرة الشعب اليوسفية بإقليم تونس العاصمة إلى الاهتمام البالغ الذي كان يُوليه صالح بن يوسف لهذه المدينة، كونها تحظى بأهمّية استراتيجية كبيرة، فهي مركز ديمغرافي هامّ وإطار جامع لمختلف التّنظيمات السيّاسية والجمعيّات الوطنيّة، وهي قطب المركزية السيّاسية، سواء تعلّق الأمر بسلطة الباي أو بالإقامة الفرنسية العامّة، وهي كذلك مقرّ البعثات الدبلوماسية، وبها المقرّ الرسمي للحزب الحرّ الدستوري الجديد. أنظر: محسن الخميري، المرجع السّابق، ص ص 20 . 21 .

[4] – نفسه، ص 29 .

[5] – تذكر بعض الوثائق الأرشيفية أنّ عدد كبير من مسؤولي جامعة تونس والأحواز، قد اتّفقوا عشيّة مؤتمر صفاقص على مبدأ الحيّاد بين الطّرفين البورقيبي واليوسفي، كما قاموا بإحضار تقرير مفصّل عن حالة البلاد، وتوجّهوا إلى الأمين العام مطالبين إيّاه بضرورة التدخّل لحلّ هذا الخلاف، حيث عُلّقت على جدران العاصمة يوم 08 نوفمبر 1955 لافتات كتب عليها: "الشباب الدستوري يخيّر الموت جوعا على أن يقبل الانشقاق داخل الحزب"، غير أنّ صالح بن يوسف بقيّ متمسّكا بوجهة نظره وبحساباته السيّاسية، وأكثر من ذلك فإنّه أقدم على تأسيس جامعة تونس والأحواز التّابعة للأمانة العامّة يوم 01 جانفي 1956، وأكّد خلال افتتاح مؤتمرها التأسيسي على أنّ الظروف العاصفة التي تمرّ بها البلاد فرصة كبيرة للدستوريين وللشعب للحكم على مواقفه وآرائه. أنظر: "دعوات إلى توحيد الجهد الوطني وتجاوز الخلافات لصالح الحزب والشعب"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 49، المؤرّخة في 09 نوفمبر 1955.

[6] – Samya el Mechat , la ligue des Etats arabes et la question tunisienne , Thèse pour doctorat , Université de Nice , Paris , mai 1990 , p 240 .

حيث استغلّ فترة تواجده بالعاصمة لبلورة برنامجه السيّاسي الذي ظهر في خطبه الجماهيرية، مثل خطاب جامع الزيتونة الذي يُعتبر بمثابة الخطاب المرجعي للمنهج اليوسفي. كما أقدم بن يوسف على إنشاء مقر مركزي للأمانة العامّة للحزب الحرّ الدستوري الجديد، بنهج الجزيرة بتونس العاصمة يوم 30 أكتوبر 1955[1]، هذا فضلا عن تلك المؤتمرات الصّحفية التي كان يعقدها لبسط وجهة نظره وتسويق خطابه السيّاسي ورفع الالتباسات التي عادة ما كانت تُوقعه فيها الصّحافة البورقيبية وممارسات الدّيوان السيّاسي الدّعائية، مثل المؤتمر الصّحفي ليوم 4 نوفمبر 1955، الذي كشف فيه بن يوسف عن عدّة مؤامرات تُحاك ضدّ الأمانة العامّة[2]. وبهذا أصبح إقليم تونس العاصمة القلب النّابض للحركة اليوسفية يحتوي على نسبة كبيرة من منخرطي الحزب الدستوري المؤيّدين لصالح بن يوسف والمعلنين عن ولائهم للأمانة العامّة[3].

وفي الوطن القبلي، فإنّ حضور اليوسفيين كان في عدّة شعب مثل شعبة سليمان الدستورية، شعبة المغاربة بسليمان، شعبة منزل بوزلفة، شعبة بني خيّار، شعبة قليبية، شعبة الحمّامات وغيرها من الشُّعب التي أعلنت انسلاخها عن الدّيوان السيّاسي وانضمامها للأمانة العامّة. أما في بنزرت، فقد مثّلت كل من شعبة سيدي عامر، شعبة منزل جميل، شعبة هذيل، شعبة ماطر الوسطى، شعبة بوقبرين الغربية، شعبة فريفيل، شعبة العالية، شعبة الماتلين، شعبة منزل عبد الرّحمن وشعبة بني معقل قوّة دفع كبير للأمانة العامّة[4].

وزيادة على ما سبق ذكره، تجب الإشارة إلى الوزن الكبير للمدّ اليوسفي في منطقة نابل التونسية، حيث تدلّنا العديد من المصادر التّاريخية على أنّ عدد كبير من سكان هذه المنطقة، قد أعلنوا على إثر قرار فصل صالح بن يوسف من الأمانة العامّة انسلاخهم عن الدّيوان السيّاسي وتأييدهم لبن يوسف، وهو ما نلمسه من خلال نصّ البرقيّة التي بعث بها أهالي نابل إلى صالح بن يوسف، والتي جاء فيها ما يلي: "إنّ سكان نابل على اختلاف طبقاتهم، يُعلنون عن تأييدهم التّام

---

[1] – محمد الصيّاح، الفاعل والشّاهد، حاوره الأستاذ المولدي الأحمر، دار سراس للنّشر، تونس، 2012 ، ص 115 .

[2] – "صالح بن يوسف يعقد ندوة صحفية يكشف فيها عن المؤامرة المدبّرة ضدّ الأمانة العامّة"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 126، المؤرّخة في 05 نوفمبر 1955.

[3] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 173 .

[4] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص ص 28 . 29 .

للأمين العام صالح بن يوسف...". ولم يكتف سكان نابل بذلك، بل لجأوا إلى مختلف أشكال العنف (مصادمات، اغتيالات) ضدّ خصومهم من البورقيبيين، إذ تفيدنا بعض الوثائق الأرشيفية عن إقدام مجموعة من المسلّحين في إحدى قرى نابل على استهداف موكب الحبيب بورقيبة بطلق ناري ممّا أدّى إلى مقتل حارسه الشخصي "الحبيب الدقي"[1]. إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على الولاء الكبير الذي أبداه سكان نابل لبن يوسف بصفة خاصّة وللحركة اليوسفية بصفة عامّة. وبهذا يكون التأثير اليوسفي قد شهد تطوّرا كبيرا في شمال البلاد التونسية.

3-2- الوسط التونسي :

إنّ الدّارس لانتشار المدّ اليوسفي في منطقة الوسط التونسي، سوف يتّضح له وجود عدّة شعب يوسفية مختلفة من حيث الكثافة من جهة إلى أخرى. ففي الوسط الغربي تتمركز أغلبيّة الشعب اليوسفية بجهة القصرين في علاقة مع الحضور الجزائري[2]. حيث أحصى الباحث محسن الخميري 53 شعبة يوسفية بالوسط التونسي منظّمة في عدّة جامعات هي: جامعة تالة، جامعة أولاد وزّار وأولاد نايل، جامعة القصرين الدستورية وجامعة سبيطلة. ومن أهمّ هذه الشّعب نذكر: شعبة الزعابة، شعبة القصرين الدستورية، شعبة الجادلين الجوفية، شعبة المسيلة، شعبة أولاد بركة، شعبة أولاد نصر بمقدودش، شعبة أولاد الباني بسبيطلة، شعبة الروابح الدستورية، شعبة رأس الوادي بالأفيال...إلخ[3].

أمّا في جهة القيروان فإنّ الولاء قد كان في غالبيّته لصالح الدّيوان السيّاسي، إذ تُشير بعض الوثائق الأرشيفية إلى أنّ أهالي القيروان قد برهنوا في أكثر من مناسبة عن معاداتهم للطّرح اليوسفي، وهو ما يتّضح لنا من خلال الزيّارة التي قام بها الزعيمين بن يوسف وبورقيبة إلى القيروان، حيث كان

---

[1] -"مقتل حارس الحبيب بورقيبة الشّخصي"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 63، المؤرّخة في 05 ديسمبر 1955.

[2] - يعود السبب في كثرة الشُّعب اليوسفية بمنطقة القصرين إلى وقوعها على الحدود الجزائرية، فعلى الرغم من توقيع اتفاقيّات جوان 1955، فإنّ المنطقة لم تشهد أي مظهر من مظاهر السيّادة أو الاستقلال الدّاخلي بعد ذلك، وأكثر من ذلك فإنها شهدت تواجدا مكثّفا للمجموعات المسلّحة سواء منها الجزائرية أو التونسية التي رفضت تسليم أسلحتها، واستقرّت بها لتتّخذ من جبالها مركزا للقيّام بعمليّات عسكرية ضدّ قوات الاحتلال الفرنسي، هذا فضلا عن عامل الفقر والتّهميش الذي دفع سكّانها إلى اعتناق أطروحات الرّفض على أمل تحقيق واقع أفضل. أنظر: محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 32 .

[3] - نفسه، ص 33.

عدد مستقبلي بورقيبة ستّة أضعاف العدد الذي كان في استقبال صالح بن يوسف[1]، ولئن لم تسجّل زيّارة بورقيبة لهذه المدينة أيّة ردود فعل معاديّة، فإنّ زيّارة بن يوسف قد أحدثت احتجاجا كبيرا، هتف أصحابه بحياة بورقيبة وبعدم شرعيّة صالح بن يوسف كأمين عام للحزب[2]. ولا تذكر المصادر التّاريخية بصفّ بن يوسف بجهة القيروان سوى شعبيتي الوسلاتية والعلا[3].

وفي منطقة الوسط الشرقي، أو ما يُصطلح على تسميّتها بالسّاحل، فإنّ الولاء قد كان في غالبيّته لصالح الحبيب بورقيبة، غير أنّ هذا لا يعني أنّ منطقة السّاحل لم تشهد حضورا لليوسفيين، حيث أعلنت العديد من الشّعب الدستورية هناك انسلاخها عن الدّيوان السياسي وانضمامها للأمانة العامّة، عن طريق برقيّات أرسلت إلى صالح بن يوسف، مثل البرقيّة التي أرسلتها شعبة زرمدين الدستورية يوم 16 ديسمبر 1955، والتي انتقدت فيها ممارسات الدّيوان السيّاسي مُعلنة بذلك عن ولائها للأمانة العامّة[4]، كما انضمّت عدّة شعب أخرى للأمانة العامّة مثل شعبة جمال، شعبة بوثدي بالمهدية، شعبة أكودة بسوسة وشعبتي المكنين والقلعة الكبرى[5]. وزيّادة على هذا فقد أعلن عدد كبير من أهالي السّاحل عن انتمائهم للشقّ اليوسفي من خلال تلك الرّسائل والبرقيّات التي كانوا يُعلنون فيها انسلاخهم عن الدّيوان السيّاسي وانضمامهم للأمانة العامّة، من ذلك مثلا برقية سكّان قصر هلال للأمانة العامّة على إثر اغتيّال سائق صالح بن يوسف أصيل بلدتهم[6]. ويذكر عميرة عليّة الصّغير أنّه حتى يوم 17جانفي1956 كانت قد وزّعت حوالي 2000 بطاقة انخراط يوسفية بمنطقة السّاحل منها 500 بطاقة بمدينة المنستير لوحدها[7].

---

[1] – "زيّارة الحبيب بورقيبة للقيروان"، أرشيف الخارجية الفرنسية، سلسلة المراسلات السيّاسية والتّجارية، الصّندوق 379، الملف 281، الوثيقة رقم 02، (د.ت) .

[2] – "زيارة بن يوسف إلى القيروان"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 95، (د.ت).

[3] – عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 38 .

[4] – "زرمدين تنظمّ للأمانة العامة"، جريدة الزهرة، العدد 15211، 17 ديسمبر 1955، ص 01 .

[5] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 34 .

[6] – "برقية من أهالي السّاحل إلى صالح بن يوسف"، جريدة الزهرة، العدد 15219، 25 ديسمبر 1955، ص 02 .

[7] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 38.

وبجهة صفاقس، أحصى الباحث محسن الخميري حوالي 22 شعبة يوسفية، أما الباحث محمد الزواري فقد ذكر وجود 15 شعبة يوسفية فقط، نذكر منها: شعبة باب الدّيوان، شعبة سكان الربض، شعبة مركز شاكر الدستورية، شعبة ملّيتة، شعبة المهاذبة ...إلخ[1]. ومن جهته أيضا ذكر الباحث عميرة عليّة الصّغير أنّ نصف منخرطي جامعة صفاقس الدّستورية كانوا قد أبدوا تأييدهم قبل مؤتمر صفاقس لصالح بن يوسف، غير أنّ الأمر قد تغيّر بعد عقد المؤتمر والسّيطرة على الوضع بعد إزاحة الشّيح "محمون كريشان" من رئاسة جامعة صفاقس وفصله من الحزب في 30 نوفمبر 1955[2].

3-3- الجنوب التونسي :

نعني بالجنوب التونسي ذلك المجال الجغرافي الممتدّ من جبال قفصة إلى الصّخيرة في الشرق، وكامل المثلّث الجنوبي للبلاد حتى الحدود اللّيبية في الشرق والجزائرية في الغرب. وقد شكّل عبر تاريخه أرضيّة خصبة لاحتضان الثورات، نظرا لما يتمتّع به من معطيات طبيعية واجتماعية ملائمة[3]. إذ تشير أغلبية المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا، إلى الانتشار الواسع للحركة اليوسفية في صفوف سكان الجنوب، مع تباين في شدّة التركّز من جهة إلى أخرى. وقبل التطرّق إلى أهمّ المناطق التي تركّز بها التيّار اليوسفي. بودّنا أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت الجنوب إلى احتضان اليوسفية. فكيف يمكن تفسير ذلك ؟.

إنّ تراث التمرّد عند أهل الجنوب لا يفسّر لوحده تمركز المعارضة اليوسفية فيه، بل هناك مجموعة من الأسباب الأخرى التي ساعدت على انغراس التيّار اليوسفي وتوطيد دعائمه بالجنوب. نذكر منها:

- عمق الشّعور بالانتماء العربي الإسلامي لدى سكان الجنوب، الذين ظلّوا متشبّثين بقيّمهم الأخلاقية الموروثة عن نظامهم القبلي، متمسّكين بعروبتهم وإسلامهم في مقاومة الاستعمار، واعين

---

[1] - محمد الزّواري، الحركة اليوسفية بجهة صفاقس (1955 – 1956)، شهادة الدّراسات المكمّلة للبحث، كلّية 09 أفريل، تونس، 2000 - 2003، ص 132 .

[2] - عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 39 .

[3] - Pierre Pallier, Terre d'affrontements . le Sud Tunisien la ligne de Marth et son étrange destin , Nouvelles Nouvelles Editions latines , Paris , 1985 , p 83 .

بواجب التّضامن مع الإخوة في الدّين والعرق (الجزائريين). وبالتّالي فمن الطّبيعي أن يجدوا ضالّتهم في الدّعاية اليوسفية المستفيدة من دعم مصر ضدّ انخراط تونس في الاتحاد الفرنسي[1].

– عدم تغيّر الوضع العسكري للجنوب بعد اتّفاقيات جوان 1955. فكما هو معلوم أنّ الجنوب التونسي كان أحد أهمّ النّقاط الشّائكة في المفاوضات الفرنسية التونسية، حيث كانت فرنسا متمسّكة ببقاء الجنوب تحت النفوذ العسكري الفرنسي، مع تعيين القيّاد من طرف المقيم العام الفرنسي، في حين كان الطّرف التونسي متمسّكا بعدم تجزئة التراب التونسي واحترام وحدة السيّادة. وفي الأخير اتّفق الطّرفان على إبقاء مواقع من الجنوب خاصّة الشّريط الحدودي بين ليبيا وتونس تحت مراقبة قوّات الجيش الفرنسي، كي يتسنى لفرنسا إحكام مراقبتها لمنافذ تمويل الثورة الجزائرية[2]. وبهذا فإنّ الاتّفاقيات لم تسوّ قضيّة الحكم العسكري في الجنوب، إذ بقيّت المنطقة الجنوبية خاضعة لمراقبة السّلطات الفرنسية. وهذا من شأنه أن يبرّر اندفاع أهل الجنوب إلى احتضان الحركة اليوسفية التي كانت تطالب بتحرير البلاد التّام من نير الاستعمار[3].

– نقمة عناصر جديدة من قدماء "الفلاقة" (مقاومي الثورة الأولى 1952–1954) ممّن التحقوا بصالح بن يوسف على نظام الاستقلال الدّاخلي، الذي ميّز بعضهم عن بعض في التّشغيل والامتيّازات (رخص نقل، ضيعات، أراضي...)،كما أنّه لم يقدّرهم حقّ قدرهم ولم يضمن لهم موارد الرّزق المرجوّة، فضاقوا بذلك ذرعا من حالة الرّيبة والتتبّع التي كانوا عليها من قبل الإدارة الاستعمارية، وراحوا يبحثون عن البديل الذي وجوده في الحركة اليوسفية التي رفعت لواء المعارضة، متطلّعين بذلك نحو تحقيق واقع أفضل[4].

– تأثير القيّادة اليوسفية في منطقة الجنوب، وقدرتها على كسب الولاء الجهوي والعروشي للاصطفاف وراء راية الاستقلال التّام والتّحرير الشّامل للمغرب العربي، شأن زعيم المعارضة ذاته صالح بن يوسف أصيل الجنوب (من جربة)، والقائد الميداني للمقاومة المسلّحة الطّاهر لسود (من بني زيد الحامة)،

---

[1] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 342 .

[2] – Charles André Julien , Et la Tunisie devint Indépendante (1951 – 1957), op.cit , p 24.

[3] – محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة. وزير أوّل في رئاسة بورقيبة يشهد، ط1، دار الشروق للنّشر، القاهرة، 2007، ص 168.

[4] – Mohammed Lotfi Chaibi, Préliminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la région l'Aradh (1952 – 1954), in Rawafid, n 2, publication de L'I.S.H.M.N, Tunis, 1996, p 112 .

وموسى الرويسي أحد أقطاب الحزب بالجريد، وغيرهم من قيّادة الدرجة الثانية في المقاومة اليوسفية من أمثال الهادي قدورة، حسين الحاجي، عبد الله البوعمراني، البشير قرفال، ومحمد قرفة...إلخ[1].

– العامل الجغرافي، فالجنوب التونسي هو عبارة عن مجال صحراوي شاسع بجباله وفيافيه، تصعب السّيطرة عليه، وبالتّالي فهو ملجأ آمن للثوّار اليوسفيين الذين فضّلوا مواصلة الكفاح المسلّح إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام، كما أنّه شكّل مجالا حيويّا للمعارضة اليوسفية كونه يُسهّل الاتّصال بالتراب اللّيبي والجزائري (حلفاء اليوسفية)[2].

نتيجة لهذه الاعتبارات، مثّل الجنوب التونسي مركز الثّقل في المعارضة اليوسفية، إذ تُفيدنا العديد من الدّراسات التّاريخية المتخصّصة أنّ اليوسفيين قد تمكّنوا من بعث ستّ جامعات بالجنوب هي: جامعة الأعراض، جامعة قفصة، جامعة الجريد، جامعة نفزاوة، جامعة مدنين وجامعة جربة[3].كما أحصى الباحث محسن الخميري وجود 80 شعبة تابعة للأمانة العامّة بالجنوب[4].

وأثناء بحثنا عن أهمّ المناطق التي عرفت انتشارا كبيرا للتيّار اليوسفي في الجنوب، فإنّنا وقفنا على وُجود تباين واضح في الولاء للحركة اليوسفية من جهة إلى أخرى. ولتوضيح ذلك التّباين قسّمنا الجنوب التونسي إلى قسمين هما:

* القسم الأول: يشمل المواقع ذات الانتشار الكثيف لليوسفيين مثل: تطاوين والقرى المجاورة، بني خدّاش، مدنين والعروش المجاورة لها، جربة، بن قردان، مطماطة والأعراض، الحامة، جرسيس...إلخ[5].

* القسم الثاني: يضمّ المناطق ذات الأهمّية المتوسّطة لليوسفيين مثل: الجريد، نفزاوة، قفصة، قابس، مارث ...إلخ[6].

---

[1] – عميرة عليّة الصّغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 99 .

[2] – Pierre Parllier , op.cit , p 25 .

[3] – عميرة عليّة الصّغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 40 .

[4] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 38 .

[5] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 341 .

[6] – منيرة المحضي، المسألة التونسية من 31 جويلية 1954 إلى 20 مارس 1956، شهادة الكفاءة في البحث، قسم التّاريخ، كلّية العلوم العلوم الإنسانية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1988، ص 82 .

ورغم هذه التراتبية فإنّنا نعتبر الجنوب التونسي خاصّة الجنوب الشّرقي (مدنين، بن قردان، بني خدّاش، جربة، تطاوين...) من أكثر المناطق التونسية انسجاما مع الطروحات اليوسفية، بدليل أنّ العديد من سكان هذه المناطق بما فيهم رؤساء الشُّعب قد تكبّدوا مشقّة وتكلفة السّفر إلى تونس للتّعبير بصفة مباشرة عن ولائهم للأمانة العامّة ومساندتهم لصالح بن يوسف[1]. كما عبّر سكان الجنوب (قابس، نفزاوة، بني زيد، المرازيق، الأعراض والحامة...) عن ولائهم للحركة اليوسفية من خلال حضورهم المكثّف في الاجتماعات التي كان يعقدها بن يوسف في الجنوب[2]، واحتضانهم لرحلات التّعبئة التي قادته (بن يوسف) إلى مختلف مناطق الجنوب الكبير[3].

ضف إلى ذلك، فإنّ العديد من المناضلين التونسيين قد أثبتوا من خلال شهاداتهم الشفوية احتضان الجنوب للتيّار اليوسفي، حيث أكّد المناضل الطيّب بن بلقاسم ناجح (وهو أصيل منطقة الحامّة) أنّ أغلبية سكّان الجنوب التونسي كانت تناصر صالح بن يوسف، وعلى الرّغم من مناصرة عدّة شخصيّات قيّادية ذات الوزن السيّاسي الثقيل لبورقيبة من أمثال السّاسي الأسود، فإنّ ما يزيد عن 90% من سكان الحامّة كانوا مع صالح بن يوسف[4]. كما أكّد المناضل عبد الرحمن بوعواجة (أصيل جرجيس) وهو من أنصار بورقيبة، أنّ أغلب سكان جرجيس كانوا في صفّ صالح بن يوسف نتيجة وقوعهم تحت الدّعاية المباشرة للحركة اليوسفية[5] .

على كلّ، يمكننا القول بعد دراستنا للمجال الجغرافي للحركة اليوسفية، أنّ حدود المجال اليوسفي هي نفسها حدود المجال الوطني التونسي، مع وجود تباين بين مختلف الجهات في شدّة التركّز[6].

---

[1] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 38 .

[2] – "الزعيم الكبير يعقد اجتماعا عظيما بالجنوب التونسي والشعب التونسي يهتف بحياة العروبة "، جريدة الزهرة، العدد 15184، 20 نوفمبر 1955، ص 01.

[3] – "رحلة الزّعيم الكبير بن يوسف إلى الجنوب"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 148، المؤرّخة في 23 نوفمبر 1955.

[4] – الطيّب بن بلقاسم، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 049، الحامّة، 17 أفريل 1993. (م.ع.ت.ح.و.ت) .

[5] – عبد الرّحمن بوعواجة، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 216، قفصة، 23 جويلية 1992. (م.ع.ت.ح.و.ت) .

[6] – أنظر الملحق رقم 07، ص 219.

4- التّعبئة في صفوف الحركة اليوسفية.

سعى الأمين العام للحزب الدستوري "صالح بن يوسف" إلى تقوية وتوطيد دعائم الحركة اليوسفية، خاصّة بعدما أدرك أنّ مبادئها وأفكارها لم تعد في مواجهة من طرف الحبيب بورقيبة فحسب، بل في مواجهة من قبل النّظام البورقيبي المدعوم من طرف السّلطات الاستعمارية التي راهنت عليه كثيرا[1]، ولأجل ذلك عمل بن يوسف على تعبئة الجماهير التونسية وكسب الأنصار لصالح الحركة اليوسفية سواء على المستوى الدّاخلي أو الخارجي لتونس.

4-1- استراتيجية التّعبئة عند صالح بن يوسف.

قبل التطرّق إلى أهم القوى والتيّارات التي وقفت وراء بن يوسف، بودّنا أن نتعرّف على الاستراتيجية التي مكّنته من حشد عدد هام من الأنصار. فكيف استطاع صالح بن يوسف أن يقنع أنصاره بمبادئ وأهداف الحركة اليوسفية ؟ .

كان بن يوسف معتدّا بنفسه واثقا من قدراته مطمئنا إلى مستقبله، حيث اعتمد على استراتيجيّة محكمة وثابتة في كسب الولاء لصفّه، وهي قائمة على الأسس التّالية :

- جمع الأنصار وتجنيدهم مهما كان مأتاهم ومهما كانت انتماءاتهم، وله مؤهّلات مشهود له بها في ذلك، فقد احتفظ بما كوّنه من علاقات شخصيّة عندما كان مشرفا على الحزب مع المسؤولين عن المنظّمات القومية، لا سيّما مع الفلاحين والتجّار والصنّاع وأصحاب رؤوس الأموال من مسلمين ويهود وزيتونيين بارزين وأعيان المدن وإطارات دستورية كثيرة، ومع عدد كبير من أبناء مسقط رأسه (جربة) وفي الجنوب وفي العاصمة وفي عدّة مدن أخرى[2].

- الاعتماد عن الخطب والتّصريحات الصّحفية للتّعريف بمبادئ التيّار اليوسفي وشرح أهدافه، مثل الخطاب التّوجيهي الجامع الذي ألقاه الأستاذ صالح بن يوسف في جامع الزيتونة المعمور، والذي تحدّث فيه عن الاتّفاقات الفرنسية التونسية، وعن قضيّتي المغرب والجزائر، محذّرا أبناء الجزائر من

---

[1] - عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 123 .

[2] - الهادي البكّوش، شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب، E.N.A.G للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013، ص 194 .

الوقوع في فخ التّفرقة[1]، وخطابه بمنطقة تطاوين بالجنوب التونسي في أوائل نوفمبر1955، الذي أشاد فيه ببطولة وشهامة سكّان الجنوب مقدّرا تضحيّاتهم الجسيمة في مقاومة الاستعمار الفرنسي البغيض، وداعيّا إيّاهم إلى رصّ صفوف الوحدة لاستكمال مسيرة التحرّر الوطني[2]. أمّا التّصريحات الصّحفية فهي عديدة ومتنوّعة، نذكر منها تصريح بن يوسف حول "منهج الحزب في الحاضر والمستقبل" لجريدة الصباح بتاريخ 1 نوفمبر1955[3]، وتصريحه حول "الحدّ الأدنى لقبول الاتّفاقيات التونسية الفرنسية" لنفس الجريدة بتاريخ 6 نوفمبر1955[4] .

– تنظيم التجمّعات مثل التجمّع الكبير الذي عقده صالح بن يوسف بجامع الزيتونة يوم الجمعة 07 أكتوبر 1955، وتجمّعه بأنصاره في مدنين يوم 23 نوفمبر 1955[5]، والقيّام بعدّة مظاهرات مثل مظاهرة 18أكتوبر1955 بتونس العاصمة، بحضور عشرات الآلاف من التونسيين الذين نادوا بسقوط حكومة بن عمّار وطالبوا بإلغاء الاتّفاقات، ومظاهرة 8 جانفي 1956 أمام قصر الباي بالمرسى، التي شهدت حضور عدّة آلاف من الوطنيين التونسيّين ممّن عارضوا الاتّفاقيات وطالبوا بإقالة حكومة بن عمّار التي لم تتمكّن من وضع حدّ للإرهاب[6].

– استقبال الوفود، حيث كان منزل صالح بن يوسف ومقرّ الأمانة العامّة بمثابة محجّ للوفود اليوميّة التي كانت تأتيه من كل أنحاء البلاد لتعبّر له عن الولاء[7]، كما قام بن يوسف بعدّة رحلات تعبويّة

---

[1] –"الأستاذ صالح بن يوسف يلقي خطابا توجيهيّا جامعا يتحدّث فيه عن الاتّفاقيات وعن قضيّتي المغرب والجزائر"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 76، المؤرّخة في 09 أكتوبر 1955. (أنظر الملحق رقم 09، ص 221).

[2] –"خطاب معالي الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري التونسي بتطاوين"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 150، المؤرّخة في أوائل نوفمبر 1955.

[3] – "منهج الحزب الدستوري في الحاضر والمستقبل"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 127 – 128، المؤرّخة في 01 نوفمبر 1955. (أنظر الملحق رقم 10، ص 222).

[4] – "الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف يذكر الصّحفيين بالحدّ الأدنى لقبول الاتفاقيّات التونسية الفرنسية"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 131، المؤرّخة في 06 نوفمبر 1955. (أنظر الملحق رقم 11، ص 223).

[5] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 125 .

[6] – عميرة عليّة الصّغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 41 .

[7] – M'hamed Oualdi, op, cit, p 89 .

لمختلف المناطق التونسية، من ذلك مثلا رحلته للمعمورة في 24 أكتوبر 1955 والقيروان في 2 نوفمبر من نفس السنة، ورحلته إلى الجنوب خلال الأيام الأولى من شهر نوفمبر 1955[1].

– المساعدات التي كان يحظى بها بن يوسف خلال حملاته التّعبوية من طرف عدّة رموز دستورية من أمثال حسين التريكي، الطّاهر لسود، محمد بن ضو البوبكري، رابح بن يونس من الفراشيش، مبروك المشلوش والحاج عمّار القمّودي وفرح الحبيب من ورغمّة، عبد القادر رزّوق من سليانة، محمد زخامة من السّاحل، ومحمد بالنّيفر من الهمامة. هؤلاء وغيرهم كثير ممّن كانوا يعقدون الاجتماعات ويُعربون لأنصارهم عن مساندة الأمانة العامّة[2]. فأثناء اجتماع حاشد لليوسفيين بقفصه، نجد محمد بالنّيفر أحد قادة المقاومة الأولى (1952–1954) ينتقد تصريحات الحبيب بورقيبة أثناء جولته لمنطقة الجنوب الغربي فيقول: "إنّ الشعب مهدّد بحرب أهلية سيجرّه إليها الديوان السيّاسي، هذه الحرب ستكون أكثر خطورة من حربنا ضدّ فرنسا وجيوشها، نحن نعلم أنّ المآسي المنتشرة التي سبّبها بورقيبة وجماعته سيكون ثمنها باهظا لأنّ الشّعب لن يتحمّل أكثر، والحبيب بورقيبة يعلم أنّ الأمور قد بلغت أقصاها، فعوض أن يساعد اليتامى وأرامل الشّهداء، انصرف لقتل إخوانه المعارضين لاتّفاقيات الاتحاد الفرنسي التونسي". ومن جهته أيضا أثنى المناضل "حسين التريكي" خلال التجمّع الذي نظّمه الأمين العام صالح بن يوسف بملعب "جيو أندري" بالعاصمة يوم 18 نوفمبر1955 على أهل الجنوب، ممجّدا بطولاتهم وداعيّا إيّاهم إلى مواصلة تحرير البلاد التونسية وفاءًا وعرفانا وتقديرا لتضحيّات المناضلين الأوائل، كما هنّئهم على ولائهم للحركة اليوسفية قائلا :" إخواني أبناء الجنوب، يا من كنتم في الرّعيل الأول من العاملين الصّادقين، أهنئهم بهذا السّبق الثاني الذي فزتم به قبل الشعب التونسي، وذلك بالتحاقكم بالأمانة العامّة، أنتم أول من لبى نداء الحقّ، فكنتم أحرى النّاس بالتّقدير والإعجاب"[3].

– الاعتماد على النّظرية التي تقول أنّه لا استقلال لشمال إفريقيا من دون وحدة عامّة، وهو ما مكّن بن يوسف من كسب حلفاء للحركة اليوسفية حتى من خارج تونس، خصوصا ونحن نعلم أنّ بعض

---

[1] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص ص 24 . 26 .(بتصرّف) .

[2] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 127 .

[3] –"كلمة حسين التريكي لأهالي ورغمّة بمدنين"، جريدة الصّباح، العدد 1204، 24 نوفمبر 1955، ص 06 .

زعماء المغرب كانوا قد تبنّوا هذه النّظرية من قبل، حين أسّسوا جبهة تحرير شمال إفريقيا التي ترأسها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة.

– الاعتماد على الخطاب المتطرّف، فصالح بن يوسف كان يتكلّم عن الاستقلال بلا شرط ولا قيد، يدعو إلى الجهاد ولا يقبل التّنازلات أو الحلول الوسطى، خطابه عروبيّا إسلاميّا يمجّد العصبيّة الإسلامية ويرفض الهيمنة الاستعمارية، حيث كانت الشعوب تمجّد مثل هذه الخطب وتتأثّر بها، الأمر الذي ساعده كثيرا في كسب الولاء لصفّه[1].

– الانخراط في التيّار العالمي الجديد الذي تجسّد في مؤتمر باندونغ (أفريل 1955)، والذي سعى إلى توحيد شعوب إفريقيا وآسيا لمواجهة الهيمنة الإمبريالية في جبهة واحدة[2].

– الانضمام إلى خطّة الرئيس المصري جمال عبد النّاصر الدّاعية إلى توسيع رقعة الحرب في كلّ شمال إفريقيا[3].

– جلب ملك البلاد محمد الأمين باي إلى صفّه، فقد كانت له به علاقات ودّ وتقدير، حيث ساعده بعد الحرب العالمية الثانية على الخروج من عزلته لنقمة الشّعب عليه، بعد أن اغتصب عرش ملك شعبي محبوب هو "محمد المنصف باي" الذي خلعته الحكومة الفرنسية، كما كان بن يوسف مقرّبا من الباي ومن ابنه محمد الشاذلي باي أثناء التّجربة التّفاوضية التي سعى الحزب من ورائها إلى تجسيد وعد وزير خارجيّة فرنسا "روبير شومان"، المتمثّل في منح الاستقلال الدّاخلي لتونس سنة 1950، والتي باءت بالفشل الذريع. ومن جهته أيضا حاول الباي مساعدة صالح بن يوسف عندما رفض هذا الأخير تسليم الوجق للحكومة التونسية حتى لا تتوفّر لها الإمكانيّات لمواجهة التحدّي اليوسفي والانتصار عليه[4].

عند هذا العرض يمكننا القول أنّ صالح بن يوسف قد نجح في كسب عدد هام من الأنصار لصفّه على المستويين الدّاخلي والخارجي لتونس. فمن هم أنصار بن يوسف ؟ .

---

[1] – الهادي البكّوش، المصدر السّابق، ص ص 194. 195 .

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 108.

[3] – نفسه، ص 111 .

[4] – شهادة الأمير الشاذلي باي في يوم 17 جانفي 2004، شهادة منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 117، (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2004، ص ص 122 . 137.(بتصرّف).

4-2- التيّارات التي وقفت وراء بن يوسف.

في البداية تجب الإشارة إلى قضيّة مهمّة في نظرنا، وهي متعلّقة بالولاء للحركة اليوسفية، إذ أنّ هناك الكثير من القوى والتيّارات التي أعلنت عن ولائها لبن يوسف، غير أن ولائها بقيّ نسبيّا بدليل أنّ ليس كل من ينتمي إليها كان مؤيّدا لبن يوسف، كما أنها لم تشهر تأييدها لكلّ الطروحات اليوسفية، بحكم أنّ البعض منها كانت ترى في شخص بن يوسف حامل لواء طموحاتها وفقط، وبالتّالي فهو ليس زعيم[1].

من هذا المنطلق فإنّنا نرى أنّ المؤرّخ لا يمكنه الجزم في مثل هذه المعطيات التّاريخية التي لا تزال تفتقد في نظرنا لإحصائيّات ثابتة ودقيقة، خاصّة وأن زمن الخلاف اليوسفي البورقيبي غير متوّفر على مقاييس حقيقية لتقدير الولاء لهذا الطّرف أو ذاك، كحدوث انتخابات ديمقراطية مثلا أو إحصائيّات موثوقة، وبالتّالي فإنّه لا مناص في مثل هذه الحالات من تقديم بعض التّقديرات التي يتوصّل إليها المؤرّخ أو الباحث خلال مرحلة بحثه.

على كلّ، تدلّنا المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا، أنّ بن يوسف قد استطاع بفضل الاستراتيجية التي اعتمد عليها في كسب الأنصار من احتضان عدّة شرائح وأطراف سواء داخل تونس أو خارجها، فعلى المستوى الدّاخلي لتونس، يمكننا التعرّف على أهمّ هذه الشّرائح من خلال التّقرير الذي حرّره المفوّض السّامي الفرنسي عن الوضع السيّاسي بتونس، والذي جاء فيه ما يلي: « هناك تجمّع قوى مُحافظة في المجالين الاجتماعي والدّيني تلتفّ حول شخص الأمين العام صالح بن يوسف، وتجد هذه القوى دعما من قبل كل الصّحف الوطنية النّاطقة بالعربية...، كما يجد بن يوسف دعما ماليّا من قبل الجرابة...، وتحصّل على دعم الحزب الدستوري القديم والأوساط الجامعية بالجامع الأعظم، والتّأييد الخفي من بعض أفراد الأسرة الحسينية، ومن قبل جزء كبير من البرجوازية التي كانت متخوّفة من بعض التوجّهات التي عبّر عنها بورقيبة والاتحاد العام التونسي للشغل، كما تحصّل على دعم عدد كبير من مسيّري الاتحاد العام للفلاحة التونسية ممّن يستأنسون في أنفسهم القدرة على لعب أدوار هامّة في الحياة السيّاسية بالبلاد...»[2].

---

[1] – الهادي البكّوش، المصدر السّابق، ص 188.

[2] – عبد الحميد الهلالي، المرجع السّابق، ص 387.

فمن خلال هذا التّقرير، يتّضح لنا أنّ بن يوسف قد استطاع كسب تأييد قسم هامّ من مثقفي الزيتونة، الذين كانوا يعتبرون السّكوت عن الاتّفاقيات الفرنسية التونسية والانزواء عن مقاومتها، خيّانة كبرى لشهداء الوطن وانحدار وطني فضيع يجرّ على التونسيين لعنة التّاريخ[1]، ذلك أنّ هذه الاتّفاقيات قد شدّدت في جانبها الثقافي على إجباريّة اللّغة الفرنسية في الإدارة والتّعليم، وفتحت المجال واسعا أمام السّلطات الفرنسية للتدخّل في إصلاح التّعليم بجامع الزيتونة في إطار التّعاون الثّقافي والفني بين فرنسا وتونس[2]، كما أنها سدّت آفاق الوظيفة العمومية التونسية أمام خريجي جامع الزيتونة الأعظم، الأمر الذي جعل الكثير من الزيتونيين يُعربون عن ولائهم لبن يوسف[3]، خاصّة بعدما أدركوا أنّه لا مكان لهم في صلب إدارة ستواصل اعتماد اللّغة الفرنسية في تسيير شؤون تونس، وبالتّالي فهم مهدّدون بالتّهميش مقارنة بالنّخب التي تكوّنت في الغرب[4].

وإذا رجعنا إلى الصّحافة الوطنية الصّادرة آنذاك، فإنّنا نرى أنّ أغلب الصّحف النّاطقة باللّغة العربيّة قد انحازت إلى صفّ بن يوسف، إذ يذكر المناضل علي الشّابي حوالي إحدى عشرة صحيفة مؤيّدة له هي: الزهرة، الصّباح، البلاغ، البلاغ الجديد، الأخبار، الاستقلال، اليقظة، صدى الزيتونة، الفرززو، الأسبوع والوطن. هذا في مقابل ثلاثة صحف مؤيّدة لبورقيبة هي: كل شيء بالمكشوف، صوت العمل، العمل التي بادر الدّيوان السيّاسي في إصدارها بتاريخ 23 أكتوبر 1955[5].

وفي هذا الصّدد، تجب الإشارة إلى أنّ جريدة "اليقظة" التي صدرت يوم 31 ماي 1955، أي قبل عودة بورقيبة إلى تونس وقبل الموافقة على الاتّفاقيات، هي الجريدة الوحيدة التي صدرت خصّيصا لهاتين المناسبتين، لكنّها لم تلبث أن أصبحت معارضة للاتّفاقيّات وداعيّة إلى استقلال تونس التّام وتوحيد كفاح شعوب المغرب العربي، منتصرة بذلك لصالح بن يوسف ومناهضة لبورقيبة ومنهجه

---

[1] – عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 266.

[2] – Mokhtar Ayachi, Questions culturelles dans les conventions Franco- Tunisiennes de 1955, In Actes sur les Relation Tunisio- Française au miroir des elites, XIX eme-XX eme Siècle, Publication de la Faculté de Lettre, Manouba, Tunis, 1997, p271.

[3] – شهادة المناضل محمد الصّالح كعفار، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 062، تونس، 1991. (م.ع.ت.ح.و.ت).

[4] – Sophie Bessis Et Souhayer Belhassen, op.cit, p159.

[5] – علي الشّابي، صدى الذّكريات، ط1، دار نقوش عربية للنّشر، تونس، 2010، ص 134.

النّضالي، كما تجب الإشارة أيضا إلى أنّ هذه الجريدة هي الجريدة الوحيدة التي اختصّت بنشر مذكّرة بن يوسف حول الاتّفاقيات، حين أرسلها إليها من القاهرة في 12 جويلية 1955، بينما امتنعت بقيّة الجرائد الأخرى عن نشرها[1].

وبناء على التّقرير السّابق أيضا، فقد حُظي بن يوسف بدعم من الحزب الدستوري القديم، حيث عبّر صالح فرحات (رئيس الحزب الدستوري القديم) في أكثر من مناسبة عن معارضته لاتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي، مؤكّدا على اتّفاق حزبه التّام مع صالح بن يوسف بخصوص الموقف من الاتّفاقيات التي لم يتمّ وضعها – على حسب تعبيره – لفائدة التونسيين[2]. كما دعت اللّجنة التّنفيذية للحزب الدستوري القديم على إثر تصريح بن يوسف المناهض للاتّفاقيات إلى عقد مؤتمرها الخارق للعادة يوم 15 نوفمبر 1955، وأكّدت في اللائحة السيّاسية الصّادرة عنه، أنّ الحزب يضع يده في أيدي جميع العاملين على تخليص الوطن من القيود التي قيّده بها الاستعمار، وبهذا يكون الحزب الدستوري القديم قد التقى في خندق واحد مع الحركة اليوسفية التي كانت تسعى إلى تحقيق الاستقلال التّام[3].

وللإشارة، فإنّ انخراط الحزب الدستوري القديم في الحركة اليوسفية، لم يكن تجاوبا تلقائيّا مع شعاراتها الدّاعية إلى الاستقلال في إطار عربي إسلامي فحسب، بل كذلك محاولة منه لمنع بورقيبة من تنفيذ مشاريعه ذات الميولات الغربية والعلمانية السّافرة ونزعته إلى الهيمنة والتسلّط[4]، حيث ظلّ الحزب

---

[1] – عماد قمعون، الصّحافة التونسية (1955–1956)، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، منوبة، 1988، ص ص 69. 70.

[2] – لقد عبّر الحزب الدستوري القديم عن رفضه للاتّفاقيات الفرنسية التونسية قبل إمضائها، وهو ما كشفت عنه اللائحة السيّاسية الصّادرة عن المؤتمر الوطني للحزب المنعقد يوم 16 و17 أفريل 1955. أنظر: Le Petit Matin, 21 avril 1955, p 02.

[3] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 264.

[4] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 550.

مستنكرا لكلّ الوسائل والطّرق التي كانت تُستعمل في كبت صوت الزعيم صالح بن يوسف الذي ليس له جريمة سوى الثّبات على مبادئ مؤتمر ليلة القدر الأصولية[1].

وبسبب عمله خلال فترة ما بعد العالمية الثانية على تمتين الرّوابط بين هياكل الحركة الوطنية والبلاط، استطاع بن يوسف كسب تأييد هدد هامّ من أفراد عائلة البايات[2]، إذ تعود متانة الرّوابط التي كانت تجمعه بهم إلى فترة تولّيه منصب الوزير داخل حكومة شنّيق، حيث كان أفراد الأسرة الحاكمة يعتقدون أنّ مستقبل النّظام الملكي سيكون أفضل من خلال تدعيم موقف بن يوسف وبقائه في السّباق من أجل الظّفر بمواقع هامّة داخل جهاز الدولة الذي سيتمّ تركيزه[3].

كما وجد بن يوسف مساندة كبيرة من قبل قسم هام من سكان العاصمة التي ظهر بها تحالف موضوعي غريب بين البورجوازية التقليدية والبروليتاريا الرثّة[4]، واستفاد أيضا من عدم الانسجام بين بورقيبة الذي وجد صعوبة في السّيطرة على جهاز الحزب بعد فترة القمع التي أدّت إلى تشتيت القيّادات، وبين الإطارات المحلّية للحزب التي اتخذ العديد منها مواقف مستقلّة عند ظهور الخلاف حول اتفاقيات الاستقلال الدّاخلي[5].

وزيّادة على ما سبق، فقد تحصّل بن يوسف على دعم من مسيّري الاتحاد العام للفلاحة التونسية من أمثال: الحبيب الموهلي (رئيس الاتحاد) وإبراهيم عبد الله (الأمين العام)[6]، وفئة مهمّة من كبار الملاكين العقاريين والبرجوازيين الزّراعيين الذين كانوا يخشون دفع ثمن التّغييرات الاقتصادية

---

[1] – المختار المطوي، المسألة التونسية من خلال جريدة الاستقلال (1955–1960)، شهادة الكفاءة في البحث، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، 1986، ص 59.

[2] – الهادي البكّوش، المصدر السّابق، ص 195.

[3] – عبد الحميد الهلالي، المرجع السّابق، ص 389.

[4] – Elie Cohen Hadria, du protectorat français à l'indépendance tunisienne, souvenir d'un témoin socialiste, Nice, 1976 , p 279.

[5] – مؤلّف مجهول، مؤتمر صفاقس، المؤتمر الخامس للحزب الحر الدستوري، وزارة الشؤون الثّقافية والأخبار، تونس، 1971، ص ص 77. 79.

[6] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 128.

والاجتماعية المرتقبة[1]، حيث أثار وقوف الاتحاد العام التونسي للشّغل إلى جانب بورقيبة[2] مخاوف قيّادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية التي أظهرت بعض عناصرها ميولات يوسفية[3]، رغم التّكذيبات التي نشرتها قيّادة هذه المنظّمة على أعمدة الصّحف التونسية لنفي انحيّازها لبن يوسف[4]، وإذا كانت الفئة العريضة للاتحاد العام للفلاحة التونسية قد تبنّت موقف الولاء لبن يوسف[5]، فإنّه من المؤكّد أيضا أيضا أنّ ليس كل من كان عضوا في الاتحاد كان في صف بن يوسف[6]، و إلا لما تمكّن أنصار بورقيبة من بعث اتحاد منافس مثل الاتحاد القومي للمزارعين التونسيين الذي تأسّس في شهر ديسمبر من سنة 1955[7].

أما فيما يخصّ أهمّ دعم تلقّاه صالح بن يوسف فهو دعم المقاومين ممّن شاركوا في الثورة الأولى الممتدّة من جانفي 1952 إلى ديسمبر 1954، هؤلاء الذين وجدوا في الحركة اليوسفية فرصة لاستعادة دورهم المتميّز في معركة التّحرير الوطني، ومناخا ملائما لممارسة ضغوطهم على الحكومة التونسية

---

[1] – Sophie Bessis Et Souhayer Belhassen, op.cit, p159.

[2] – قبل الاتحاد العام التونسي للشّغل ما تضمّنته الاتّفاقيات من ايجابيات، وأعلن بذلك أمينه العام أحمد بن صالح عن تأييده لبورقيبة قائلا: «سيكون الاتحاد العام التّونسي للشّغل إلى جانب بورقيبة في هذه المعركة الشّديدة التي تنتظرنا حتى نفوز بهذه التجربة...». أنظر: "اللائحة العامّة للمجلس القومي للاتحاد العام التونسي للشّغل المنعقد في 06 نوفمبر 1955"، جريدة العمل، 12 نوفمبر 1955، العدد 37، ص 1.

[3] – الهادي التيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932–1955)، المرجع السّابق، ص 129.

[4] – Le Petit Matin, 05 Novembre 1955, p 01 .

[5] – تتّفق العديد من المصادر التّاريخية – خصوصا منها الشّهادات الحيّة – على أنّ ولاء الفئة العريضة من الاتحاد العام للفلاحة التونسية لبن يوسف راجع إلى سببين رئيسيين: يتعلّق أولهما بالاحتراز الكبير الذي أبدته هذه الفئة من حليف بورقيبة القوي المتمثّل في الاتحاد العام التونسي للشّغل، أمّا الثّاني فهو راجع إلى إيمانها الفعلي بالطروحات اليوسفية حول الاستقلال وشعارات العروبة والإسلام. أنظر: شهادة المناضل إبراهيم عبد الله حول الصّراع اليوسفي البورقيبي، تسجيل شفوي رقم 039، تونس، أكتوبر 1992. (م.ع.ت.ح.و.ت). أنظر أيضا: شهادة عبد الستّار الهاني ضمن ملف الخلاف اليوسفي البورقيبي، شهادة منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 144، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2004، ص ص 215. 257.

[6] – من أبرز الأمثلة على ذلك مساندة الطّاهر بن عمّار وهو أحد أكبر البرجوازيين الفلاحين بتونس للشقّ البورقيبي. أنظر: عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 262.

[7] – الهادي التّيمومي، نقابات الأعراف التونسيين (1932–1955)، المرجع السّابق، ص 130.

لاكتساب المكانة التي تليق بمستوى ما قدّموه من تضحيّات في سبيل الاستقلال[1]، حيث التفّ مابين 1700 و2000 مقاوم تحت قيّادة الطّاهر لسود الميدانية وتوجيه صالح بن يوسف السيّاسي لمحاربة نظام الاتّفاقيات وإنجاز استقلال فعلي لتونس ولكامل بلاد المغرب العربي، والتحق بهم عدد كبير من المقاومين الجدد الذين اقتنعوا بشعارات بن يوسف ورفضوا الإخلال بواجبهم الوطني، مدفوعين بروح الانتقام من النّظام الجديد الذي لم يكن عند حسن تطلّعهم كونه لم يغيّر من أحوالهم المزرية[2].

ومن أشهر المقاومين الذين وقفوا وراء بن يوسف، نذكر على وجه الخصوص المقاوم الطّاهر لسود الذي أكّد رفضه القاطع للاتّفاقيات التونسية الفرنسية، مُعلنا ولائه لبن يوسف إذ يقول: «إنّني كقائد جبهة التّحرير التونسية لا أقبل هذه الاتّفاقيات التي عقدت مع فرنسا، لأنّنا دفعنا مهر الحرّية دما عزيزا علينا، دفعنا دم زعمائنا حشاد وشاكر ودم أبطال الكفاح والنّضال وهم كثيرون. فكيف يعقل الآن أن ننسى أرواحهم الزكية ودماءهم الطّاهرة ونقبل هذه الاتّفاقية المزيّفة ؟، إنّني أعلن تأييدي للزّعيم صالح بن يوسف للمحافظة على أمانة الشعب التونسي... »[3].

كما أعلن المقاوم الطيب الزلاق منذ شهر أكتوبر 1955 انحيّازه لصالح بن يوسف، وعزمه على العودة إلى الكفاح المسلّح إذ يقول: « بناءً على أنّني أحد قادة المقاومين أمثّل فئة لا يستهان بها في الأوساط الثورية، فإنّني أعلن للرّأي العام التونسي وإلى من فشوا فيه الفشل والمكر والخداع...، أعلن للملأ أصالة عن نفسي ونيّابة عن إخواننا المقاومين بأنّنا لا زلنا متمسّكين بمبادئنا المقدّسة، مبادئ الثورة المباركة حاملين لواءها على الدّوام، مشعل العروبة والإسلام، وأحذّر كل من يفتري على المقاومين المجاهدين في سبيل عزّة وكرامة هذا الشعب، بحكم ما سمعته يخرج من أفواه أناس لا يمثّلون هذا الشّعب المطالب بحقوقه الشّرعية كاملة غير منقوصة، أعني الاستقلال التّام...»[4]. هذا فضلا عن

---

[1] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 550.

[2] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 28.

[3] – الهادي وناس الزّريبي، الطّاهر لسود. القيّادة العامّة لجيش تحرير شمال إفريقيا، ط1، مطبعة التّسفير الفني، صفاقس، 2008، ص ص 60. 61.

[4] – عميرة عليّة الصغير، الطيّب الزلاق. مسار مقاوم، أعمال ندوة قسم التّاريخ تحت عنوان: "الشّمال الغربي ذاكرة جهة (15 .16 أفريل 2005)، قسم التّاريخ، جامعة منوبة، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، 2009، ص ص 343. 344.

عدد كبير من المقاومين الذين قادوا عدّة كتائب من الوطنيين التونسيين المتشبّعين بالطروحات اليوسفية من أمثال: محمد بن ضو العبيدي، الطّاهر بالحاج البوعمراني، الطّاهر بن لخضر الغريبي، البشير بن منصور، محمد قرفة، علي درغال، الهادي الأسود...[1].

وعلى المستوى الخارجي لتونس، حُظي بن يوسف بدعم وتأييد العديد من الرّموز الوطنية التونسية المقيمة بالمهجر التي سلكت درب التوجّه الرّافض للاتّفاقيات الفرنسية التونسية[2]، من أمثال المناضل الباهي الأدغم المقيم بالولايات المتّحدة الأمريكية الذي كان من أكثر المناضلين تشدّدا في هذا الخط مع بن يوسف، وهو ما نلمسه من خلال مراسلاته التي كان يثني فيها على مواقف بن يوسف الرّافضة للاستقلال الدّاخلي[3]، إذ صرّح الباهي الأدغم للمناضل زرق العيون بجنيف أنّه مع صفّ بن يوسف ولا ينوي أبدا إتباع بورقيبة في خداعه[4]، ذلك أنّ الباهي الأدغم كان يعتقد على غرار صالح بن يوسف أنّ التفاوض رأسا لرأس مع فرنسا قد تجاوزته الأحداث، وأن تدويل القضية التونسية لا غنى عنه، ولا فائدة في المطالبة بالحكم الذّاتي الذي يعتبره مغالطة وتسويفا لصرف الوطنيّين عن القضيّة الجوهرية المتمثّلة في الحصول على الاستقلال[5].

كما أبدى المناضل يوسف الرويسي مدير مكتب المغرب العربي بدمشق تأييده لصالح بن يوسف حين عبّر عن رفضه للاتّفاقيات التونسية الفرنسية، معتبرا إيّاها مؤامرة كبرى ضدّ تونس والمغرب العربي، داعيّا الشعب العربي بصفة عامّة إلى مقاومتها[6]، إذ يقول في هذا الشأن: «... إنّ الاتّفاقية الجديدة هي مؤامرة استعمارية انحرفت فيها الحكومة التونسية والوفد المفاوض والذين يدعون إلى إلقاء

---

[1] – عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، المقاومة المسلّحة في تونس (1939–1956).سلسلة نصوص ووثائق في تاريخ تونس المعاصر، ج2، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، منوبة، 2005، ص ص 142. 177. (بتصرّف).

[2] – عمار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 166.

[3] – Bahi Ladgham, op. cit, p298.

[4] – Habib Bourguiba, Ma vie, mes idées, mon combat, op. cit, p306.

[5] – أحمد خالد، المرجع السّابق، ص 342.

[6] – عبد الجليل التميمي، القناعات والتوابث المغاربية في مسيرة المناضل الكبير يوسف الرويسي، أعمال النّدوة المغاربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، مداخلة منشورة في مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاصّ، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2002،، ص ص139. 140.

السّلاح من الزّعماء واللجوء إلى المفاوضات، إنهم بذلك يتنكّرون لأهداف شعبهم ووطنهم ولأرواح الشّهداء الذين ضحّوا بأرواحهم وهم يبتسمون، لأنّ فجر الخلاص لبلادهم من رقبة الاستعمار قد أشرق نوره، إنّ الشعب العربي في تونس وفي جميع أقطار المغرب العربي مدعو لمقاومة الاتّفاقية الباغيّة، ولاستئناف نضاله المشرف من جديد في سبيل حقوقه المقدسة وكرامة أمّته ...»[1].

ومن جهته أيضا، عبّر المناضل حسين التريكي المقيم بالقاهرة عن مساندته لصالح بن يوسف رغم خطورة الموقف عليه إذ يقول: « التحقت بصالح بن يوسف رغم أنّني منستيري، وصفة المنستيرية كلّفتني الكثير باعتبار أنها ضاعفت من خنق الزّعيم بورقيبة عليّ، فعلى سبيل المثال أخواتي البنات كنّ لا يستطعن الذّهاب إلى الحمّام لاعتبارهن أخوات الخائن حسين التريكي! لقد اتخذت عن قناعة موقفا صعبا أضرّ حتى بعائلتي وليس بي فقط!، وقفت مع بن يوسف وكنت أؤكد عن قناعة أنّ موقف بورقيبة ليس خطوة إلى الوراء فحسب، بل خطوات إلى الوراء!، أولا: احتراما وتنفيذا لمقرّرات مؤتمر المغرب العربي التي التزمت بها على أساس توحيد الحركة التحرّرية في الأقطار الثلاثة، وثانيا: لأنّه عندما اندلعت ثورة الجزائر في 01 نوفمبر 1954، كان مفروضا أن تتغيّر المفاوضات في ذلك الوقت بمجيء عنصر جديد يدعّم موقف المفاوضين وعلى رأسهم السيّد المنجي سليم...، وإذا بنا نقبل الاتّفاقيات التي كانت في تقديري خطوات إلى الوراء...»[2].

كما وجّه حسين التريكي بيانا مؤرّخا في 12 ديسمبر 1955 لأبناء السّاحل المكافح، يحثّهم فيه على المعارضة اليوسفية باعتبارها معارضة حرّة نزيهة، لا يمكن أن ينتج عليها إلا ما هو في مصلحة الوطن العليا، ودعا إلى تأييد الأستاذ بن يوسف في مساعيه نافيّا عنه كل التّهم الموجّهة إليه من طرف الدّيوان السيّاسي، إذ يقول في نصّ البيان: « أيّها المواطن الكريم ... لابد أنّك سمعت عرض رئاسة الوزارة عليه (بن يوسف) حتى يشكّلها ويتمتّع بنعيم الحكم مقابل قبول الاتّفاقيات والسّكوت عليها، ألم تتساءل لماذا رفض صالح بن يوسف بنعيم الحكم حين فضل جهنّم المعارضة!؟، فلو كانت المسألة

[1] –"مقتطف من نصّ بيان الرويسي حول الاتّفاقيات الفرنسية– التونسية". نقلا عن: عبد الجليل التمّيمي، كتابات ومذكّرات المناضل يوسف الرويسي السيّاسية مع وثائق جديدة تنشر لأول مرّة، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1995، ص 263.

[2] – الشّهادة التّاريخية للمناضل حسين التريكي، شهادة منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 121، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2006، ص ص 178. 179.

مسألة أغراض أو مصالح شخصيّة لكان من الأجدر بصالح بن يوسف أن يقبل الوزارة ويتمتّع بالرّاحة والنّعيم؟، إنّ معارضتنا معارضة شريفة ونزيهة ومشروعة ولا ترمي إلا للدّفاع عن حقوقك أنت وغيرك من المواطنين... حتى نأخذ حقّنا في الحياة »[1].

ومثله أيضا أعلن مندوب الحزب الدستوري الحرّ في ليبيا المناضل عبد العزيز شوشان تأييده وتضامنه مع الزّعيم الكبير صالح بن يوسف، وهو ما نلمسه من خلال نصّ البرقيّة التي أرسلها عبد العزيز شوشان لصالح بن يوسف، والتي جاء فيها ما يلي:« نؤكّد لكم كامل ثقتنا، ونهنّئكم بموقفكم الشّجاع في رفع القناع عن السيّاسة الاستعمارية الجديدة التي تنطوي عليها الاتّفاقيات الفرنسية التونسية...، إنّنا لا نزال معترفين بحكم الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد، وإنّنا لنحيي فيكم المعبّر الأمين عن رغبات الوطنيين الصّادقين ورغبات الشعب التونسي بأكمله، كما نحيي فيكم مواصلتكم السّير في طريق الاستقلال الذي رسمته دماء المجاهدين الأبرار وتضحيّاتهم... »[2].

ودون الاستطراد في ذكر كل الوطنيين التونسيين الذين أعلنوا عن ولائهم لصالح بن يوسف من المهجر، يمكننا القول أيضا أنّ بن يوسف قد حُظي بدعم وتأييد عدّة قوى وطنية في العالم العربي[3]. فكما هو معلوم أنّ بن يوسف قد تحرّك بعد مؤتمر باندونغ 1955 على مستوى الدول العربية، متّخذا من القاهرة قاعدة لحملته على الاتّفاقيات، محمّلا بورقيبة مسؤولية القبول بها، وأرسل في 17 ماي 1955 مذكّرة تفصيليّة ينتقد فيها الاتّفاقيات لكلّ من الأمانة العامّة للجامعة العربية والحكومة المصرية وسفراء البلدان العربية بالقاهرة[4]، فنجح بذلك في تأليب الجامعة العربية والنّظام المصري والوطنيين الجزائريين والمراكشيين ضدّ اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس، وضدّ رئيس الحزب الدستوري الجديد "الحبيب بورقيبة"، حيث أرسلت الجامعة العربية في 12 جويلية 1955 برقيّة لبورقيبة تحمّله فيها عظيم

---

[1] –"بيان حسين التريكي إلى أبناء السّاحل المكافح"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 2، المؤرّخة في 12 ديسمبر 1955. (أنظر الملحق رقم 12، ص ص 224. 226).

[2] –"مندوب الحزب الدستوري الحر بليبيا يؤكّد تضامنه مع الزّعيم الكبير صالح بن يوسف"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 108، المؤرّخة في 23 أكتوبر 1955. (أنظر الملحق رقم 14، ص 228).

[3] – M'hamed Oualdi, op. cit, p97.

[4] – علي السويّح، الوطنيون التونسيون ومصر (1952–1956)، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1996، ص 122.

المسؤوليّة في التأثير على الرأي العام التونسي، معتبرة عمله انحرافا فضيعا هدفه إخراج الشعب التونسي من الأمّة العربية والإسلامية وإدماجه في الاتحاد الفرنسي– التونسي[1].

كما قامت السّلطات المصرية بتوجيه عدّة انتقادات للموقّعين على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية[2]، وأعابت عليهم القبول بتنازلات كبيرة في وقت لا يزال فيه التوتّر قائم بالجزائر والمغرب[3]، وفتحت الصّحف المصرية (الأهرام) وإذاعة صوت العرب المجال واسعا للدّعاية اليوسفية ضدّ الاتّفاقيات وضدّ المسؤولين عنها[4]، ثم تطوّر الموقف الرسمي المصري في إطار مساندة تحرّر شعوب إفريقيا واعتماد المقاومة المسلّحة إلى انخراط مباشر في دعم المعارضة اليوسفية واستقبال رموزها، خاصّة صالح بن يوسف والطّاهر لسود بمعيّة رفاقهما من قادة جيوش التّحرير في المغرب والجزائر أمثال عبد الكريم الخطيب وأحمد بن بلّة[5].

وفي إطار حديثنا عن التّأييد العربي للحركة اليوسفية، تجب الإشارة أيضا إلى المساندة التي تلقّاها صالح بن يوسف من طرف حزب البعث (الذي أصبح يعرف بحزب البعث العربي الاشتراكي)[6]، وهو ما نلمسه من خلال نصّ البرقية التي بعثها الأستاذ ميشال عفلق – مؤسّس وزعيم حزب البعث– لبن

---

[1] – Samya El Mechat, La ligue des état arabes et la question tunisiennes, op.cit, p p 402.403.

[2] – تشير العديد من المصادر التّاريخية إلى مساندة بعض المسؤولين في الحكومة المصرية لبن يوسف، من أمثال فضيلة الشّيخ أحمد حسن الباقوري (وزير الأوقاف المصري) الذي ألقى خطابا مؤيّدا للطروحات اليوسفية في الملعب البلدي بتونس العاصمة، كما رافق بن يوسف في جولاته التعبوية، من ذلك مثلا رحلته معه إلى الجنوب التونسي في شهر نوفمبر 1955. أنظر: محمد مزالي، المصدر السّابق، ص 170.

[3] – إدريس الرّشيد، في طريق الجمهورية (مذكرات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 41.

[4] – تجب الإشارة إلى مرافقة الإعلام المصري للتجمّعات التي كان يعقدها صالح بن يوسف، من ذلك مثلا حضور إذاعة صوت العرب والصّحفي المصري "الحبيب جاماتي" في التجمّع الشعبي الذي نظّمه بن يوسف يوم 18 نوفمبر 1955، بملعب (جيو أندري– الشاذلي زويتن) بتونس العاصمة. أنظر: "الأمين العام للحزب الدستوري يعقد تجمّعا بملعب تونس العاصمة"، جريدة الصّباح، العدد 1204، 24 نوفمبر 1955، ص 6.

[5] – الهادي البكوش، المصدر السّابق، ص ص 196. 197.

[6] – تأسّس حزب البعث العربي في دمشق عام 1947، تحت شعار أمّة عربيّة واحدة ذات رسالة خالدة، أهدافه ثلاثة وهي: "الوحدة، الحرية، الاشتراكية"، وهي تجسّد معا الوحدة العربية والتحرّر من الاستعمار والامبريالية. أنظر: ميشال عفلق، في سبيل البعث. الكتابات السيّاسية الكاملة، ج1، دار صادر، (د.م)، 1960، ص 51.

يوسف، والتي جاء فيها ما يلي: « إنّنا نساند نضالكم الذي يستند إلى قدرة الشعب العربي في تونس لمواصلة الصّراع وتوحيده، إنّ القرار القاضي بطردكم يشرّفكم ويجلب الخزي والعار للعملاء...»[1].

ومن جهته أيضا ندّد رئيس حزب الاستقلال المغربي الزعيم علال الفاسي بالاتّفاقيات التونسية الفرنسية قائلا :« إنّ الاتّفاق التونسي الفرنسي الأخير أعظم خيّانة وقعت فيها شمال إفريقيا منذ 250 عاما...»[2]. وعلى منواله صرّح الأمير عبد الكريم الخطابي ضمن رسالته الموجّهة للشعب المغربي قائلا:« ... وقد سبق وأن عملت هذه الفئة في تونس، فسوّدت تاريخ هذا البلد المناضل، لولا أن قيّض الله لها رجالا صاروا يحاربون اتّفاق الخزي والعار... »[3]، كما أيّدت الأوساط الشعبية بالمغرب الأقصى الزّعيم صالح بن يوسف من خلال المناداة بحياة الأمين العام للحزب الدستوري التونسي خلال الاحتفال بعيد العرش المغربي الذي ضمّ عشرات الآلاف من السّكان[4].

أما فيما يخصّ موقف الثوار الجزائريين، فإنّهم لم يتردّدوا في الإعلان عن وقوفهم إلى جانب الحركة اليوسفية، وهو ما نلمسه من خلال نصّ البرقيّة التي بعثت بها جبهة التّحرير الوطني إلى بن يوسف بإمضاء محمد خيضر، ومما جاء فيها: « إنّ الوفد الجزائري يعبّر لكم عن تأييده الأخوي وإعجابه بموقفكم وحملتكم الموفقة واتجاهكم الذي لا يعكس رغبات الشعب التونسي فحسب، بل رغبات الشعب المجاور ومصلحته التي هي ركن الكفاح الموحّد في سبيل الاستقلال التّام»[5].

على كلّ، يمكننا القول أنّ بن يوسف قد تمكن من احتواء أغلب القوى الوطنية والجانب الأكبر من رجال المقاومة، وتعاطفت معه جماهير الشعب، كما حُظي بتأييد عدّة قوى في العالم العربي، غير أنه لم يكن يمثّل خطرا على بورقيبة المدعوم من طرف فرنسا[6]. هذا الطّرح يؤكّده أيضا شارل أندري جوليان الذي يرى أنّ بن يوسف لم يكن يمثّل خطرا على غريمه بورقيبة، إلا أنّه تمكّن من احتواء عدد

---

[1] – محمد منصف الشّابي، المرجع السّابق، ص 202.

[2] – علال الفاسي، المصدر السّابق، ص 109.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 115.

[4] – "المناداة بحياة صالح بن يوسف بالمغرب"، جريدة الزهرة، العدد 15184، 20 نوفمبر 1955، ص 1.

[5] – "برقية تضامن وتأييد الحركة اليوسفية من جبهة التحرير الوطني الجزائرية"، جريدة البلاغ، العدد 123، 04 نوفمبر 1955، ص 1.

[6] – M'hamed Oualdi, op.cit, p100.

p100.

هامّ من الجماهير وكسب ولائهم له بسرعة فائقة[1]. وهنا يتبادر إلى ذهننا التّساؤل التّالي: هل الرّسالة التي كان يحملها بن يوسف هي التي جعلته يؤثر على المتقبّلين لها؟، أم أنّ شخصية بن يوسف كحامل لواء معارضة المشروع البورقيبي هي التي اكتسبت هذا التّأثير؟.

في نظرنا يمكن أن يكون لكلّ من مضمون الرّسالة ولرافع لوائها التّأثير البالغ لدى جماهير الشعب المتقبّلة، كما لا يمكن في تقديرنا استبعاد دور الطّرف الثالث المتمثّل في (بورقيبة) في تأثير الخطاب اليوسفي، إذ لو لم يصدع بورقيبة المجتمع التونسي بتصريحاته الغريبة كالقطع مع الهوية العربية الإسلامية لتونس والعزم على تكوين دولة لائكيه، لما حظي بن يوسف بذلك التّأييد الكبير.

1 – Julien Charles Andres, Et la Tunisie devient indépendante (1951-1957), op.cit , p 149.

الفصل الثالث

علاقة الحركة اليوسفية بالثورة التحريرية الجزائرية.

1- اليوسفية والخيار العسكري.

1-1- دوافع وأسباب جنوح الحركة اليوسفية نحو الخيار العسكري.

1-2- خلفيّة البعد الثوري الوحدوي لدى صالح بن يوسف.

2- اليوسفية والثورة الجزائرية.

2-1- موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية.

2-2- جهود صالح بن يوسف لتوحيد الكفاح مع الثورة الجزائرية.

3- علاقة جيش التّحرير الوطني التونسي بالثورة الجزائرية.

3-1- جيش التّحرير الوطني التونسي، ظروف التأسيس، المبادئ والأهداف.

3-2- مظاهر التّنسيق بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري.

4- مظاهر دعم اليوسفيين للثورة الجزائرية.

4-1- التحاق اليوسفيين ومشاركتهم في الثورة الجزائرية.

4-2- اليوسفيون ومسألة تهريب الأسلحة إلى الجزائر.

1- اليوسفية والخيار العسكري.

كان خيار المواجهة السيّاسية خيارا استراتيجيّا للحركة اليوسفية منذ نشأتها، باعتبار أنّها فضّلت عدم تصعيد موقف المواجهة الذي لا يخدم مصالحها نتيجة اختلال التّوازن لصالح الشقّ البورقيبي المدعوم من طرف السّلطات الاستعمارية الفرنسية، غير أنّ تسارع الأحداث نحو الانفجار وغياب أيّة حلول سلميّة للمشاكل المطروحة، قد عجّل بتشكيل الجناح المسلّح للحركة اليوسفية، فظهر بذلك الخيار العسكري كحلّ وحيد للحسم في كلّ التّناقضات التي بدأت تعصف بالبلاد. تُرى: كيف يمكن تفسير تغيّر أسلوب النّضال لدى الحركة اليوسفية ؟.

1-1- دوافع وأسباب جنوح الحركة اليوسفية نحو الخيار العسكري.

اعتمدت الحركة اليوسفية على الخيار العسكري كأسلوب جديد للنّضال، وذلك بسبب تأثير مجموعة من العوامل الدّاخلية والخارجية. فعلى المستوى الدّاخلي لتونس استمرّت السّلطات الاستعمارية -رغم اتّفاقيات 03 جوان 1955- في تقويض البنية التّقليدية الهشّة للمجتمع التونسي، ممّا أدّى إلى كثرة المشاكل الاجتماعية كالبطالة التي أصبحت تمسّ 300 ألف مواطن تونسي حسب الإحصائيات الرسمية و500 ألف مواطن حسب معطيات الاتحاد العام التونسي للشّغل[1]. كما انتشرت عصابات السّطو المنظّم وظهرت حالة من الإحباط واليأس التي عمّت مختلف الشّرائح الاجتماعية، خاصّة تلك الشّرائح الضّعيفة بمناطق الوسط الغربي والجنوب[2].

---

[1] - نور الدين الدّقي وآخرون، المجتمع التونسي والاستغلال الاستعماري. سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 1997، ص 101.

[2] - Azzedine Azzouz, L'histoire ne pardonne pas : (Tunisie 1938-1969), Editions Dar Ashraf, Tunis, 1988, p 114.

كما ظلّت فرنسا وإن كانت قد اعترفت باستقلال تونس بموجب بروتوكول الاستقلال لـ 20 مارس 1956[1]، مصمّمة على التمسّك بحقوق الجاليّة الفرنسية في تونس وفق ما ضبطته اتّفاقيات 03 جوان 1955[2]، وذلك بتأييد من المسؤولين التونسيين، حيث جاء في نصّ البيان الذي أصدره صالح بن يوسف زعيم المعارضة التونسية من القاهرة بتاريخ 28 أفريل 1956 لتحليل الوضع الرّاهن بتونس، أنّ السيّد الحبيب بورقيبة المسؤول التونسي الأوّل، قد تجاوب مع مطالب المسؤولين الفرنسيين، وهو ما نلمسه من خلال تصريحاته (بورقيبة) الصحفية إذ يقول: « إنّ تونس ستظلّ مخلصة لفرنسا وإلى الكتلة الغربية على الدّوام، وأنّ حقوق الفرنسيين المستوطنين بتونس لن تمسّ بسوء، إذ أنّ اتّفاقيات جوان 1955 ستبقى ضامنة لتلك الحقوق »، وهي الحقوق التي تتعلّق حسب ما جاء في نصّ البيان باحترام كلّ ما اغتصبه الفرنسيون طيلة أكثر من سبعين سنة من أرض زراعية واستغلال للثروات المعدنية التونسية بشروط مجحفة!، خاصّة وأنّ الاتّفاقيات الفرنسية التونسية قد أكّدت أنّ تلك الحقوق لن يمسّها أيّ تشريع تونسي، وستبقى مستثناة منه حتى ولو مسّت الحاجة لذلك"[3].

ضف إلى ما سبق، فقد فوجئ قدماء المقاومين الذين استجابوا لنداء تسليم السّلاح في نهاية 1954 آملين في تحقيق غد أفضل، بواقع سيّئ أساسه الظّلم والتعسّف والإذلال، حيث سعت السّلطات الفرنسية إلى تشديد الخناق عليهم من خلال وضع جدول يحدّد تحرّكاتهم وزياراتهم وسفرهم، فأصبحوا تبعا لذلك في خندق الرّكود بعدما كانوا من صانعي الأحداث التّاريخية في تونس[4]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعرّض هؤلاء المقاومين أيضا إلى سيّاسة التّجاهل من طرف الدّيوان السيّاسي للحزب الحر الدستوري

---

[1] – حرّر بروتكول الاستقلال بباريس في يوم 20 مارس 1956، وأمضاه كل من كريستيان بينو عن فرنسا والطّاهر بن عمّار عن تونس. أنظر: عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص ص 592. 593. للاطّلاع على نصّ البروتوكول. أنظر: الملحق رقم:16، ص ص 230. 231.

[2] – تذكر بعض المصادر التّاريخية أنّ سعي الحكومة التونسية نحو ممارسة سيّادتها كاملة بموجب بروتوكول الاستقلال، قد أثار معارضة الحكومة الفرنسية التي أرادت الحصول على تنقيح مسبق له من قبل الجمعيّة الوطنية الفرنسية، بل وأكثر من ذلك تدخّلت فرنسا لدى بعض الدول لمطالبتها بعد الاعتراف باستقلال تونس إلا بعد التّنقيح. أنظر:

Driss Rachid, La politique étrangère de la Tunisie constante et mutation, In revue d'études internationales (dirassat duwaliya), C.J.B pour les études en science humaines et sociales, n° 31, Tunis, Février 1989, p 173,14.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 161.

[4] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 503.

التونسي، لما لقوه من تسويف ومماطلة وتهميش، بعد ما تم حرمانهم من مختلف الامتيازات كالتّوظيف والإعانات المادّية... إلخ[1].

هكذا يتّضح لنا استمرار تركّز النفوذ الاستعماري الفرنسي بصورة مقنعة في تونس، سواء بعد التّوقيع على اتّفاقيات الحكم الذّاتي في جوان 1955، أو حتّى بعد الإعلان عن استقلال تونس في 20 مارس 1956، الأمر الذي دفع اليوسفيين إلى تبنّي الخيار العسكري كأسلوب للنّضال لتفادي تجديد كارثة الاتّفاقيات التونسية الفرنسية في قالب آخر، ألا وهو قالب التّكافل الفرنسي التونسي[2].

أمّا على المستوى الخارجي لتونس، فقد كان لمجمل التحوّلات التي شهدها العالم خلال هذه الفترة دور كبير في دفع الحركة اليوسفية نحو الخيار العسكري، إذ أثّرت هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو في 07 ماي 1954، تأثيرا إيجابيّا على معنويات قادة حركات التحرّر بالمغرب العربي كتونس والجزائر والمغرب، فظهرت بذلك هذه الحركات كقوى فاعلة قادرة على التصدّي للإمبريالية، كما ظهرت عدّة قوى تحرّرية في أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا، تُنادي كلّها بتفعيل وتصعيد النّضال ضدّ القوى الامبريالية العالمية التي تستهدف خيرات الشعوب المستعمرة. هذا فضلا عن تنامي روح التّضامن بين شعوب المستعمرات في إفريقيا وآسيا أثناء انعقاد مؤتمر باندونغ بأندونيسيا في أفريل من سنة 1955، وإعلان العديد من الدوّل الإفريقية عن دعمها وتأييدها لبن يوسف الذي سبق له وأن تعرّف على زعمائها أثناء حضوره في مختلف المؤتمرات الدولية[3]، مثل دعم السّلطات المصرية للحركة اليوسفية التي رفعت شعار الثورة العربية والتزمت بمبدأ الجهاد لفائدة تونس العربيّة المسلمة ومواصلة الكفاح لتحرير أقطار المغرب العربي، حيث تعهّدت مصر بتمويل المقاومة اليوسفية بالسّلاح والعتاد عن طريق رئيسها جمال عبد النّاصر ذاته[4].

---

[1] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص ص 42. 43.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 162.

[3] – محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 45.

[4] – "برقيّة تنويه بمساعي بن يوسف"، جريدة البلاغ، العدد 109، 19 أكتوبر 1955، ص 1.

إنّ هذه العوامل التي سبق ذكرها، هي التي ساهمت في مجملها في بعث روح الكفاح المسلّح لدى الحركة اليوسفية، كما ساعدت على بثّ ديناميكية واضحة لطالما افتقدها العمل المسلّح في تونس منذ تسليم السّلاح في أواخر ديسمبر 1954 .

1-2- خلفيّة البعد الثوري الوحدوي لدى صالح بن يوسف.

أثبتت لنا المصادر التّاريخية والوثائق والدّراسات الأكاديمية المختصّة التي تمكّنا من الاطّلاع عليها أثناء مرحلة البحث في هذا الموضوع، أنّ الزّعيم صالح بن يوسف لم يكن له في حقيقة الأمر دور واضح في الكفاح المسلّح إلى حين اندلاع الحركة اليوسفية، بل على العكس من ذلك فإنّنا سجّلنا له العديد من المواقف التي تؤكّد رفضه القاطع لهذا الأسلوب، فهو بذلك لم يكن يختلف كثيرا عن الحبيب بورقيبة، كونه كان من أنصار الحلول الوسطى يرفض العنف ويجنح إلى السّلم، وليس في أدبيّات الحزب الحر الدستوري التونسي ما يشير إلى الكفاح المسلّح كأسلوب للتحرّر[1].

لقد ظلّ صالح بن يوسف خلال الفترة التي قضاها كمسؤول عن الحزب الحر الدستوري الجديد في تونس بين 1945 و1949، متمسّكا بالنّضال السيّاسي في كنف الهدوء، مُستنكفا من أعمال العنف والتّخريب التي كان يقوم بها بعض الثوّار التونسيين[2]، وليس ببعيد أن يكون صالح بن يوسف حسب ما كشفت عنه مذكّرات رجالات الحركة الوطنية متورّطا مع بورقيبة في تصفيّة فلاقة زرمدين في 11 أفريل 1948[3]، عن طريق رئيس الجامعة الدستورية في قصر هلال "الطّاهر

---

[1] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، ج1، ط1، آرتيبو للطّباعة، تونس، 2011، ص 4.

[2] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 504.

[3] – تعود أحداث "قضيّة فلاقة زرمدين" إلى مطلع شهر أفريل من سنة 1948، فبعد إجلاء قوّات المحور عن تونس، سلّط الاستعمار الفرنسي موجة من القمع والإرهاب على الأهالي بصفة عامّة وعلى الوطنيين التونسيين بصفة خاصّة بتهمة التّعاون مع دول المحور، الأمر الذي دفع ببعض الثوّار (عددهم أربعة) من زرمدين بمنطقة السّاحل إلى حمل السّلاح وشنّ غارات مباغتة على القوّات الفرنسية. ولما فشلت السّلطات الاستعمارية في اعتقالهم، فإنها راحت تُساوم أحد المسؤولين بحزب الدستوري الجديد بقصر الهلال السيّد "الطّاهر بطّيخ" الذي كان يمارس التّجارة السّوداء لمساعدتها على إيقاف المتمرّدين مقابل سكوتها عن تجارته !، واستجابة منه لذلك، نصح الحزب الثوّار بالتحوّل إلى طرابلس ومنها يتطوّعون للقتال في فلسطين، واختار الحزب الطّاهر بطّيخ لمرافقتهم حتى جبل قطار بالجنوب على أن يتولى شخص آخر مهمّة العبور بهم إلى طرابلس، وفي تلك اللّيلة وقع تطويق الثوّار من طرف القوّات الفرنسية بجبل القطار، حيث تم القضاء عليهم عند مطلع الفجر، وحسب رواية الدكتور سليمان بن سليمان بشأن هذه القضيّة، فإنّه يبدو أنّ بن يوسف هو الذي أعطى الضّوء الأخضر للتخلص من ثوّار زرمدين، لأنّ الطّاهر بطّيخ قد جاء إلى الدكتور بن سليمان يطالب بحماية الدّيوان السيّاسي، مهدّدا بكشف الحقيقة !!. وأكثر من ذلك فإنّ الطّاهر بطّيخ قد تم اغتيّاله !!. فمن باع

بطّيخ"، الذي كان على اتّصال مباشر مع صالح بن يوسف في تونس، وعلى اتّصال أيضا مع بورقيبة المتواجد في القاهرة عن طريق الهادي نويرة، إذ أنّ كلاهما متّهم بإعطاء تعليمات للتخلّص من فلاقة زرمدين استجابة منهما لرغبة المقيم العام الفرنسي بتونس "جون مونس" في التّهدئة والسّكينة، هذا الأخير الذي كان منزعجا كثيرا من تحرّكات هذه العصابة التي أخلّت بالأمن بعدما عجزت السّلطات الفرنسية عن ملاحقتها، وأصبحت تخشى من توسيع عمليّاتها وظهور مثيلاتها[1].

وأكثر من ذلك فقد ظلّ بن يوسف طيلة هذه الفترة (1945-1949) يسعى إلى إقناع فرنسا بأنّ الدستور الجديد هو الحزب الوحيد الجدير بالثّقة والطّرف السيّاسي الوحيد الذي يمكن لفرنسا أن تتفاوض معه من أجل الوصول إلى حلّ وسط للقضيّة التونسية، ضاربا بذلك عرض الحائط إجماع "الجبهة الوطنية" على المطالبة بالاستقلال التّام منذ 23 أوت 1946[2].

إضافة إلى ما سبق. فقد رفض صالح بن يوسف "المشروع النّضالي المسلّح" الذي حمله عزّ الدين عزّوز مبعوث لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة إلى القيّادة الدستورية بتونس، قائلا (بن يوسف): « إنّ حزب الدستور حزب سيّاسي سلمي، لا ينوي تنظيم أيّة انتفاضة مسلّحة ضدّ الاستعمار»[3]. كما نفى بن يوسف أمام المقاومين أن يكون من أنصار العودة إلى الكفاح المسلّح حين قال: « يقولون عنّي أنّي سأبعث بكم مرّة أخرى إلى النّار وإلى الجبال، لم أقل هذا أبدًا حيث لازلت أملك توازني والحمد لله، وبناء على أنّنا نعيش في عصر ديمقراطي أيّها المناصرون للدّيمقراطية، فلنترك الكلمة للشّعب يقولها في مؤتمر كبير وأمام منظّماتنا القوميّة العتيدة...، أمّا ما يُقال عنّي من استئناف حركة الجبال والكفاح المسلّح، فهذا الكلام خرافة للتّضليل »[4].

=الثوّار إلى السّلطة الفرنسية، ومن اغتال الطّاهر بطّيخ؟. أسئلة حرجة وصعبة لكنّها حسب بن سليمان منسجمة كثيرا مع السيّاسة التي كان ينتهجها الدستور الجديد في تلك الفترة بقيّادة صالح بن يوسف. أنظر:

Slimane Ben Slimane, op.cit, p.p 260. 261.

[1] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل والإشكالات الصّعبة، آرتبيو للطّباعة ، تونس، 2009، ص 215.

[2] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 505.

[3] – Azzedine Azzouz, op.cit, p 138.

[4] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 25.

وفي نفس السيّاق، يذكر محمد حربي أنّ صالح بن يوسف قد رفض أيضا عرض التّنسيق الذي تقدّم به الوفد الجزائري المكوّن من بن بلّة وبوقادوم ودردور لحزب الدستور الجديد بتونس في شهر جانفي1949، الذي ينصّ على بعث منظّمة شبه عسكرية مغاربيّة موحّدة، حيث وصف بن يوسف هذا المسعى بالعمل الصّبياني قائلا: « إنّ ذلك من لعب الأطفال »[1]، وشكّك بن يوسف في نجاح هذه المغامرة –على حسب تعبيره– التي لم يضعها حزبه في الحسبان حين ردّ على محدّثيه قائلا: «إنّ أي توحيد للجهود يعرقل استقلال تونس، لأنها تختلف في وضعيّتها عن الجزائر التي تُعدّ مستعمرة فرنسية»[2].

إنّ هذه المواقف التي تمسّك بها صالح بن يوسف قبل التّوقيع على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس، هي التي تؤكّد لنا بُعده التّام عن الكفاح المسلّح، غير أنّه لم يظلّ على هذا الحال، إذ سرعان ما غيّر من أسلوبه في مواجهة الاستعمار بعدما أصبح يدعو إلى مواصلة الثورة ضدّ المحتلّ الفرنسي مع توسيع مجالها لتشمل كلّ أقطار المغرب العربي دعما منه للثورة الجزائرية[3].

وعليه فإنّ المتتبّع لتاريخ الحركة الوطنية في تونس سيستغرب من مواقف بن يوسف المتغيّرة من النّضال القطري إلى النّضال القومي، ومن النّضال السّلمي إلى العنف الثوري. تُرى: كيف يمكن تفسير هذا التحوّل في أسلوب النّضال عند صالح بن يوسف ؟.

إنّ معرفة ظروف وحيثيّات هذا التحوّل تتطلّب منّا التوقّف عند أهمّ التطوّرات التي عايشها صالح بن يوسف خلال النّصف الثاني من القرن العشرين، فبعد أن فشلت تجربة التّفاوض مع حكومة شنّيق الثانية، تنكّرت فرنسا لوعودها وقامت باعتقال العديد من الوطنيين التونسيين، وفي مقدّمتهم أعضاء الحكومة التي كان بن يوسف وزيرا للعدل فيها سنة 1952، حيث تمكّن بن يوسف من الهروب رفقة الوزير حمّادي بدرة من باريس إلى القاهرة، أين عايش مختلف الحركات التحرّرية التي عرفها الوطن العربي بداية من الثورة المصرية سنة 1952، كما تعرّف على القيّادات الثورية في مصر من أمثال جمال عبد النّاصر، وعلى قادة حركات التحرّر في المغرب العربي بما في ذلك أحمد بن بلّة وعبد الكريم الخطابي، وتابع من هنالك أيضا أحداث الثورة الجزائرية التي انطلقت في الفاتح من نوفمبر 1954، كما

[1] – محمد حربي، المصدر السّابق، ص 58.

[2] – عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص 50.

[3] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 25. 26.

واكب حركات التحرّر في العالم الثالث مثل الثورة الصّينية بقيّادة ماوتسي تونغ[1]، وحضر مؤتمر باندونغ للتّضامن بين شعوب المستعمرات الأفروآسيوية بأندونيسيا في أفريل 1955 كقائد للوفد المغاربي، حيث طالب الحكومة الفرنسية بضرورة الإسراع في إيجاد حلّ عادل للقضيّة الجزائرية وإدراجها ضمن سيّاق عالمي[2].

وممّا لاشكّ فيه أنّ معايشة صالح بن يوسف لهذه الأحداث الإقليميّة والعالميّة، هي التي جعلته يُغيّر رؤيته لأسلوب النّضال ضدّ الاستعمار الفرنسي، وهو ما أكّده العديد من رجالات الحركة الوطنية الذين عايشوا تلك الأحداث، من خلال إشاراتهم إلى التحوّلات التي طرأت على شخصيّة بن يوسف نتيجة التأثيرات الخارجيّة التي عايشها إثر فشل تجربته التّفاوضية مع فرنسا (1950-1951)، إذ يذكر المناضل الباهي الأدغم بناء على الرّسائل التي كان يبعثها إليه بن يوسف، أنّ هذا الأخير قد تبدّل في خطابه المتعلّق بمواجهة المستعمر ولم يعد معتدلا في ذلك مثلما كان عليه في السّابق[3].

ومن جهته أيضا يؤكّد المناضل إدريس الرّشيد، أنّ صالح بن يوسف قد أصبح متأثّرا كثيرا بتيّار باندونغ الدّاعي إلى التّضامن بين المستعمرات الأفروآسياوية، وبديناميكية الحركة الوطنية التي كان مُشرفا عليها سواء عن طريق الأشخاص أو عن طريق المراسلات، كما أصبح بفضل ذلك حاضرا في المقاومة المسلّحة مع وجود ارتباط مبدئي بينه وبين الجزائريين والمغاربة بصفة عامّة[4]. وهو نفس الطّرح الذي أكّدته العديد من الدّراسات التّاريخية التي أرّخت للحركة الوطنية في تونس، والتي رأت في حضور بن يوسف لمؤتمر باندونغ نقطة تحوّل كبير في اتجاهه السيّاسي، كونه أصبح يُنادي بالاستقلال التّام وتوحيد الكفاح المسلّح مع الثورة الجزائرية وجيش التّحرير المغربي[5].

---

[1] – Slimane Ben Slimane, op.cit, p p. 260.261.

[2] – محمد حربي، حياة تحدّ وصمود، مذكّرات سيّاسية (1945-1962). تر: عبد العزيز بوباكيرو وعلي قسايسية، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2004، ص 31. أنظر أيضا: إدريس الرّشيد، خلاصة نضال في سبيل الوحدة المغاربية، مجلّة الذاكرة الوطنية، عدد خاصّ، المرجع السّابق، ص 146.

[3] – Bahi Ladgham, op.cit, p23.

[4] – إدريس الرّشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، المصدر السّابق، ص 194.

[5] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 109.

وعلى كلّ، فإنّ إقامة صالح بن يوسف بالقاهرة هي التي أثّرت كثيرا مثلما أكّده المناضل أحمد بن بلّة في التّكوين السيّاسي لبن يوسف، حيث جعلت منه مناضلا سيّاسيّا محترفا يُؤيّد الخيار الثّوري كوسيلة للتحرّر ويميل إلى التيّار العروبي بقيّادة جمال عبد النّاصر الذي رفع شعار الثورة العربية، ملتزما في ذلك بمواصلة المقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي[1]. وبهذا يكون بن يوسف قد توسّع في نظرته لقضيّة التحرّر، متجاوزا بذلك البعد القطري في التصدّي للاستعمار، خاصّة بعدما أدرك أنّه لا إمكانية لأيّ تفاهم مع المسؤولين السيّاسيين الفرنسيين دون أن تكون للتونسيين أداة ضغط قوية كالكفاح المسلّح في الدّاخل والمساندة الدوليّة من الخارج[2]، مُعتبرا بذلك حركة المقاومة في تونس والمغرب العربي جزء لا يتجزأ من حركات التحرّر العربيّة التي كانت تهدف لإقامة وحدة عربيّة تمتدّ من المحيط إلى الخليج لتُعيد للعرب أمجادهم التّاريخية[3].

2- اليوسفية والثورة الجزائرية .

خرجت الحركة اليوسفية كنتيجة لتطوّرها وتصاعد مدى تأثيرها عن حدود البلاد التونسية لتمسّ بذلك الرّأي العام الدولي المحيط بها، حيث برز تحالفها واضحا للعيان مع ثورة الجزائريين ضدّ الاستعمار الفرنسي من خلال تبنّيها للثورة الجزائرية في خطاباتها، واعتبار استقلال الجزائر هدفا من أهدافها في إطار تحرير كامل أقطار المغرب العربي، هذا بالإضافة إلى سعي بن يوسف وأنصاره إلى تنسيق الجهود مع الجزائريين قصد التصدّي لقوّات الاحتلال الفرنسي[4].

2-1- موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية :

قبل التطرّق إلى موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية، بودّنا أن نشير ولو بإيجاز إلى موقف قادة الثورة من الصّراع الذي كان قائما بين صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة بسبب اختلافهما حول اتّفاقيات الحكم الذّاتي في تونس، حيث لم يلتزم هؤلاء القادة مبدأ الحيّاد إزاء

---

[1] – سعيد الصّافي، بن بلّة يتكلّم. المذكّرات السيّاسية والثقافية للزّعيم أحمد بن بلّة، ط2 ، منشورات عُرابيا، تونس، 2012، ص 107.

[2] – عروسيّة التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 122.

[3] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص ص 25. 26.

[4] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفبة في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص 409.

ذلك الصّراع، بل وقفوا إلى جانب الحركة اليوسفية مندّدين بقرار طرد بن يوسف من عضويّة الحزب وتجريده من الأمانة العامّة، مُستنكرين قبول تونس للحكم الذّاتي المزيّف خلال فترة دحر الاستعمار في مختلف أنحاء العالم، كما اعتبروا الحكم الذّاتي الذي قبله بورقيبة[1] "وصمة عار ونقطة سوداء" في تاريخ تونس، والرّضا به هو دليل قاطع على ضعف القدرة على الجهاد[2]. وفي هذا الشّأن صرّح محمد خيضر ممثّل جبهة التّحرير الوطني بالقاهرة خلال ندوة صحفية نشّطها هناك قائلا: « لا سبيل إلى وضع السّلاح، ولن تتوقّف الثورة مادامت قضيّة شمال إفريقيا قائمة، يجب تحقيق الاستقلال التّام الذي هو ركيزة وحدة المغرب العربي وهدف شعوب شمال إفريقيا، بعد أن تجاوزت فترة الوعي الوطني مجالها القطري وبلغت اليوم مرحلة وطن مغاربي موحّد... »[3].

وفي مقابل هذا أعلن اليوسفيون أيضا عن نُصرتهم وتأييدهم للثورة الجزائرية، من خلال دعوة الأمانة العامّة للحزب الحرّ الدستوري التونسي إلى مواصلة الكفاح المسلّح بتونس لدعم الثورة الجزائرية، كونها (الأمانة العامّة) كانت ترى أنّ نُصرة الجزائر تكمن بالدّرجة الأولى في دوام الكفاح التونسي بجانب الكفاح الجزائري، تشتيتا للقوى الفرنسية حتى لا تتجمّع كلّها ضدّ المكافحين الجزائريين[4]، حيث تعمّد الأمين العام للحزب الدستوري الزعيم صالح بن يوسف إبقاء الجيش الفرنسي في حالة استنفار قصد تسهيل عمل الثوّار الجزائريين[5].

---

[1] – حسب ما ذكره أحمد بن بلّة، فإنّ قبول بورقيبة للحكم الذّاتي هو في حدّ ذاته خرقا كبيرا للميثاق المشترك الذي وضعه كلّ من الجزائريين والمغاربة والتونسيين للالتزام بعدم القبول بأيّة مغريات جانبية قبل أن ينال المغرب العربي استقلاله الجماعي، باعتبار أنّ بورقيبة قد أضعف من خلال قبوله بذلك الجانب الجزائري والمغربي من جهة، وأعطى لفرنسا الوقت الكافي لكي تُفاوض كل بلد على حدّة من منطق القوّة من جهة أخرى. أنظر: سعيد الصّافي، المرجع السّابق، ص 105.

[2] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفبة في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص ص 409. 410.

[3] – "تصريح لممثّل جبهة التّحرير الجزائرية بالقاهرة"، جريدة الصباح، العدد 1269، 08 فيفري 1955، ص 2.

[4] – اضطرّت الحكومة الفرنسية بسبب دعوة المعارضة لمواصلة الكفاح المسلح بتونس، إلى الإبقاء على ما يزيد عن الخمسين ألف جندي من جيوشها لمحاربة مجاهدي اليوسفية بالجبال، هذا فضلا عن التأثير السّيكولوجي على دولة فرنسا. أنظر: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 164.

[5] – A.N.T, Série : mouvement national, carton 0068, dossier : 05, dates extrêmes : 156, objet : notes et rapports relatifs aux tournées de Bourguiba dans le sud tunisien sur propagande anti youssefiste et le mesures prises par le premier gouvernement tunisien en vue de préserver l'ordre public après l'indépendance, 12 juin 1956, p 61.

وفي نفس السيّاق، يفسّر صالح بن يوسف دعوته إلى مواصلة الكفاح بعد الإعلان عن استقلال تونس قائلا :« إنّنا نجاهد لنهوّن المدّ العسكري الفرنسي بالبلاد الجزائرية، وذلك بإجبار فرنسا على إرسال النّجدات إلى البلاد التونسية، والضّغط على الحكومة الفرنسية حتى تقوم بتجنيد مائة ألف رجل من بين المدنيين الفرنسيين، الأمر الذي من شأنه أن يحدث أزمة داخليّة بفرنسا، كما أنّنا نريد توسيع نطاق الكفاح بالشّمال الإفريقي لإعانة منداس فرانس وأصدقائه على فتح المفاوضات مع المقاومين الجزائريين...»[1].

هكذا قامت الأمانة العامّة بالدّعوة إلى مواصلة الكفاح المسلّح في تونس لمساندة الثورة الجزائرية، نظرا لما كان يؤمّن به الشعب التونسي من ضرورة تحرير الجزائر لضمان استقلال تونس ومرّاكش، حيث يذكر بن يوسف في نصّ البيان المؤرّخ بالقاهرة في 28 أفريل 1956 لتحليل الوضع الرّاهن في تونس بعد الاستقلال قائلا:« إنّ التّاريخ عرّفنا أنّ احتلال تونس ومرّاكش جاء كنتيجة لاحتلال الجزائر، وعليه فإنّنا نحن جماعة الأمانة العامّة، لا نؤمن إلا باستقلال حقيقي من السّيطرة الأجنبية في نطاق مغرب عربي محرّرة أجزاؤه الثلاثة تحرّرا كاملا يضمن دوامه باستمرار»[2].

كما عبّر بن يوسف عن تبنّيه للثورة الجزائرية أثناء النّدوات الصّحفية والخطب الجماهيرية التي كان يعقدها، من خلال دعوة الشعب التونسي إلى أن لا يخذل إخوانه في الجزائر، وأن يعقد العزم على مواصلة الكفاح للتخلّص نهائيّا من نير الاستعمار[3]، ووضّح بن يوسف مبادئ الأمانة العامّة المتمثّلة في "الوصول إلى نيل الاستقلال التّام في دائرة اتحاد شمال إفريقي مغربي موحّد مرتبط بالمجموعة العربية الإسلامية الكبرى من أقصى المغرب إلى حدود مصر"[4]. وبذلك يكون بن يوسف قد جعل استقلال الجزائر هدفا من أهداف المقاومة التي تدعو إليها الأمانة العامّة في تونس، إذ يقول في هذا الشأن: «... ذكّروا دائما من حولكم، بأنّنا نكافح أوّلا وبالذّات من أجل انجاز استقلال حقيقي

---

[1] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 164.

[2] – نفسه، ص 165.

[3] – مباركة حامد التّواتي، التّقارب والتّباعد بين الوطنيين التونسيين والوطنيين المصريين في تصوّر الهوية الوطنية المعاصرة (1945–1956)، أعمال النّدوة الدولية الثالثة عشر حول استقلال تونس ومسيرة التحرّر من الاستعمار المنعقدة بتونس أيّام 4 و5 و6 ماي 2006، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2010، ص 285.

[4] – "مبادئ الأمانة العامة"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 74، المؤرّخة في 01 نوفمبر 1955.

لبلادنا لا من أجل صورة مزيّفة من هذا الاستقلال كما نُشاهده اليوم، وكما رضيّ به الحبيب بورقيبة...، إنّنا بثورتنا نساعد الثورة الجزائرية ونشترك مع الجزائريين في تحقيق تحرير المغرب العربي ووحدته...»[1].

ومن جهته أيضا، دعا المناضل يوسف الرويسي مدير مكتب المغرب العربي بدمشق وحليف بن يوسف[2]، إلى ضرورة مساندة الجزائريين في ثورتهم ضدّ الاستعمار الفرنسي، خاصّة بعدما كشف بعض المسؤولين التونسيين ممّن قبلوا الاستقلال الدّاخلي عن مؤامرتهم مع الاستعمار ضدّ تونس والمغرب العربي[3]. وهو ما نلمسه من خلال دعوته إلى مواصلة الكفاح المسلّح إذ يقول: « يجب على المعارضة اليوسفية إعادة تنظيم جيش التّحرير بالبلاد التونسية رغم المصاعب التي تعترضها في ذلك...، إنّ الغرض من هذا المشروع هو التّخفيف من الضّغط الواقع على المقاومين بالقطر الجزائري، وإحداث قوّة قادرة على حفظ حقوق البلاد التونسية في صورة ما إذا وقعت مفاوضات جديدة مع فرنسا...، سيستمرّ الكفاح إلى حين طرد فرنسا من كل أقطار المغرب العربي »[4].

ولم يكتف اليوسفيون بالدّعوة إلى مواصلة الكفاح المسلّح بتونس في إطار إشغال القوّات الفرنسية المرابطة هنالك كي لا تتفرّغ للثوّار الجزائريين وفقط، بل عملوا أيضا على التدخّل بصفة رسميّة لدى الحكومة التونسية، ومطالبتها بقطع سُبل التّفاوض مع فرنسا مادامت هذه الأخيرة متنكّرة لجرائمها البشعة في حقّ الشّعب الجزائري، وهو ما يتّضح لنا من خلال نصّ البرقية التي بعثها الزّعيم بن يوسف إلى الحبيب بورقيبة رئيس الحكومة التونسية، والتي جاء فيها ما يلي: « إنّ مصلحة الشّعب

---

[1] – كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة، أصدرته كتابة الدولة للشّؤون الخارجيّة للجمهورية التونسية، تونس، 1958، ص ص 80. 88. للاطلاع على نصّ الرّسالة أنظر الملحق: رقم 17، ص ص 232. 233.

[2] – في حقيقة الأمر أنّ المناضل يوسف الرويسي قد عارض مشاركة بن يوسف في حكومة المفاوضات على أساس غير الاستقلال، لكن بعد التّوقيع على اتّفاقيات الحكم الذّاتي في جوان 1955 ومعارضة صالح بن يوسف لها، أرسل المناضل يوسف الرويسي برقيّة تأييد ومساندة لبن يوسف، معبّرا له عن تحالفه الرسمي مع ما تقرّه الحركة اليوسفية من طروحات متعلّقة بتحقيق الاستقلال التّام لتونس ولكامل المغرب العربي. أنظر: واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 513.

[3] – "رسالة مدير مكتب المغرب العربي بدمشق المناضل يوسف الرويسي لبن يوسف"، جريدة البلاغ، العدد108، 19 أكتوبر 1955، ص 1.

[4] – عبد الجليل التّميمي، كتابات ومذكّرات المناضل يوسف الرويسي السيّاسية، المرجع السّابق، ص ص 133. 134.

العليا في هذا الظّرف الحاسم تفرض قطع كلّ تفاوض وكلّ تعاون مع حكومة فرنسا، ما دامت لا تعترف باستقلال الجزائر، ولن يعود التّفاوض مع فرنسا إلا إذا شمل في وقت واحد الجزائر وتونس ومرّاكش، وكان يهدف إلى جلاء الجيوش الفرنسية وتحرير المغرب العربي تحريرا نهائيّا، يضمن له حياة كريمة ويحقّق له وحدته المنشودة ليكتمل كيان أمّتنا العربيّة »[1].

كما سعى اليوسفيون إلى تنظيم عدّة مظاهرات للتّعبير عن نُصرتهم وتأييدهم للثورة الجزائرية، ففي يوم 2 مارس 1956 خرج ما يزيد عن 2000 مواطن تونسي من أتباع بن يوسف يجوبون شوارع العاصمة، رافعين الأعلام الجزائرية مؤكّدين في شعاراتهم على عزمهم لمواصلة الكفاح إلى جانب إخوانهم الجزائريين حتى تحقيق النّصر الكامل لكافّة أقطار المغرب العربي، معترفين في ذلك بفضل الثورة الجزائرية الكبير في استقلال تونس[2].

هكذا يتّضح لنا أنّ الثورة الجزائرية قد شكّلت إحدى أهمّ القوى السيّاسية المغاربيّة التي راهن عليها اليوسفيون كثيرا، لما لها هي الأخرى من فضل كبير في مساندة ودعم الحركة اليوسفية.

2-2- جهود صالح بن يوسف لتوحيد الكفاح مع الثورة الجزائرية :

لقد أدرك صالح بن يوسف وغيره من الوطنيين التونسيين المؤيّدين له، أهمّية العودة إلى الكفاح المسلّح كخيار استراتيجي لخدمة أهداف لجنة تحرير المغرب العربي، حيث بدأ بن يوسف حملته من القاهرة لمعارضة الاستقلال الدّاخلي المتوصّل إليه في تونس، مستعينا في ذلك بعدد من الثّوريين البارزين من أمثال الطّاهر لسود وعبد العزيز شوشان، وللإشارة فقد لقيّ بن يوسف مساندة كاملة لخياره الثّوري من طرف السّلطات المصرية والقادة الجزائريين والمغربيين المتواجدين بالقاهرة، فأصبح بذلك بن يوسف حليفا للمشروع الوحدوي الذي كان يُنادي به قادة الثورة الجزائرية في الدّاخل والخارج[3].

من هذا المنطلق سعى بن يوسف إلى تنسيق الجهود لتوحيد الكفاح المسلّح مع الثورة الجزائرية، إذ ليس ببعيد أن تكون له علاقات مع بعض عناصر جبهة التّحرير الوطني المتواجدة بالقاهرة، خاصّة

---

[1] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 158.

[2] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 515.

[3] – رضا ميموني، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثّانية إلى غاية الاستقلال، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التّاريخ، جامعة باتنة، 2011-2012، ص 77.

أحمد بن بلّة[1] ولو عن طريق جمال عبد النّاصر الذي كان يدعّم حركات التحرّر بشمال إفريقيا[2]، كما لا ننسى أنّ بن يوسف قد سبق له وأن ترأّس الوفد المغاربي خلال مؤتمر باندونغ الذي ضمّ المناضلين الجزائريين: حسين آيت أحمد ومحمد اليزيد، الأمر الذي جعله على دراية تامّة بأهداف ثورتهم التّحريرية[3].

وفي إطار التّنسيق لتوحيد الكفاح مع الوطنيين الجزائريين، التقى صالح بن يوسف عقب عودته من مؤتمر باندونغ بأندونيسيا إلى القاهرة مع المناضل أحمد بن بلّة ممثلا عن جيش التّحرير الجزائري في شهر أفريل 1955، بهدف التّعارف والتّنسيق لإعادة إحياء جبهة الكفاح المسلّح في تونس[4]، وخلال هذا اللّقاء تمت الموافقة على خطّة العمل التي وضعها بن يوسف بالتّنسيق مع الجانبين الجزائري والمصري، والتي نصّت على ما يلي:

- تعبئة الشّعور الوطني والقومي للشّعب التونسي ضدّ الاتّفاقيات التونسية الفرنسية، عن طريق المنشورات التي سيقوم السيّد صالح بن يوسف بإعدادها باسمه لتوزّع في كافّة أنحاء تونس.
- إتمام الاتّصال بالعناصر المعارضة الموثوق بها داخل تونس، لتنظيم الجهاز الذي سيتولى مسؤوليّة إدارة الكفاح المسلّح بالتّنسيق مع ممثّلي جيش التّحرير الجزائري.
- إعداد الأسلحة اللازمة للكفاح وتهريبها عبر ليبيا.
- تكوين لجنة تنسيق تجمع بين صالح بن يوسف وأحمد بن بلّة لتنسيق الكفاح المسلّح طبقا للخطّة العامّة لتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة[5].

وبعد هذا اللّقاء غادر صالح بن يوسف القاهرة متّجها نحو طرابلس لمعاينة الوضع ميدانيّا على الطبيعة بالقرب من الحدود التونسية، ثم عاد إلى القاهرة في أوائل شهر سبتمبر 1955 لتعقد معه عدّة

---

[1] - يقول أحمد بن بلّة في حواره مع الصّافي سعيد أنّ بن يوسف كان صاحب كلمة، وعلى الرّغم من كونه سيّاسي محترف إلا أنّ المرء يستطيع أن يثق فيه أكثر من بورقيبة. أنظر: سعيد الصّافي، المرجع السّابق، ص 107.

[2] - Anouar Abdel-Malek, La pensée politique arabe contemporaine (collection politique), Editions du seuil, paris, 1970 , p 115 .

[3] - Jean Lacouture, Cinq Hommes et la France, Editions du Seuil, Paris, 1961, p175.

[4] - رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 77.

[5] - محسن الخميري، المرجع السّابق، ص ص 130. 131.

جلسات لدراسة الموقف والإلمام بالظّروف المحيطة بعمليّة إحياء جبهة الكفاح المسلّح بتونس، وهي الجلسات التي توصّلت إلى الحقائق التّالية:

- تمكّن بورقيبة من استقطاب الأزهر الشّرايطي والسّاسي الأسود إلى جانبه بعدما أجزلهما العطاء المادّي الذي أثّر بشكل كبير على قدراتهما النّضالية.
- إجماع عناصر الحزب الدستوري المعارضين لسيّاسة بورقيبة على ضرورة العودة للكفاح المسلّح من جديد، مع ترشيح المناضل "الطّاهر لسود" لقيّادة هذا النّضال.
- ضرورة مصاحبة بدء الكفاح لدخول السيّد صالح بن يوسف إلى الدّاخل لقيّادة العمل السيّاسي ضدّ سيّاسة بورقيبة الانهزاميّة[1].

وبعد تأكّد الطّرفين الجزائري والمصري من صحّة هذه الحقائق، تم الاتّفاق على ضرورة عودة صالح بن يوسف إلى تونس لقيّادة النّضال ضدّ سيّاسة بورقيبة وإسماع صوت المعارضة في الدّاخل، حيث عاد بن يوسف إلى تونس في 13 سبتمبر 1955[2]. وإذا كانت بعض المعلومات تُشير إلى أنّ إحياء الكفاح المسلّح بتونس قد تمّ الاتّفاق عليه بين جمال عبد النّاصر وأحمد بن بلّة وصالح بن يوسف قبل عودة هذا الأخير إلى تونس، فإنّ العديد من الوطنيين التونسيين قد أكّدوا من خلال ما أدلوا به من شهادات شفوية ومكتوبة، أنّ الذي جاء من أجله الزّعيم بن يوسف إلى أرض الوطن ليس هو تأسيس الأمانة العامّة أو تكوين حزب سيّاسي، وإنما هو تكوين وتنظيم جيش التّحرير التونسي الذي سيستأنف الكفاح المسلّح بجانب جيش التّحرير الجزائري وجيش التّحرير المغربي[3].

فالزّعيم صالح بن يوسف الذي آمن بقوميّة المعركة كان يرى أنّه لا خلاص من الاستعمار ولا استقلال حقيقي إلا باستقلال كامل شمال إفريقيا، لذلك كان يدعو القادة الذين يلتقي بهم إلى استئناف الكفاح رفقة الثوريين الجزائريين، مُعتبرا "الرّجوع إلى الجبال ومواصلة الكفاح المسلّح هو

---

[1] – فتحي الديب، عبد النّاصر وثورة الجزائر، ط، دار المستقبل العربي، بيروت، 1990، ص ص 132 .133.

[2] – لقد أعلن بن يوسف بعد عودته إلى تونس عن طريق الجوّ في 13 سبتمبر 1955 من خلال تصريحاته الصّحفية، أنّ عودته ستكون من أجل مواصلة العمل النّضالي في حظيرة الحزب الدستوري الجديد إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام لتونس ولكافّة أقطار المغرب العربي. أنظر: عبد الله العبعاب، المصدر السّابق، ص 229.

[3] – الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 043، جهة قابس، جانفي 1993 . (م.ع.ت.ح.و.ت).

السّبيل الأمثل الذي سيحرّر البلاد حتما في ظرف ستّة أشهر"[1]. إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على إيمان بن يوسف بضرورة توحيد الجهود مع الجزائريين لخوض معركة التحرّر ضدّ الاستعمار الفرنسي[2].

كما تمّ الاتّفاق أيضا مع صالح بن يوسف على استدعاء المناضل "الطّاهر لسود" ليلتقي سرّا مع الضّابط المصري فتحي الديب بليبيا، من أجل دراسة إمكانيّات وقدرات إحياء الكفاح المسلّح من جديد، وهو ما تم بالفعل حيث استجاب الطّاهر لسود لهذه الدّعوة حين حلّ بطرابلس يوم 24 نوفمبر 1955، وهنالك اجتمع مرّتين على التّوالي بالضّابط فتحي الديب، وتم اتّفاقهما بعد وضع الخطوط الرئيسية والتّفصيلية لخطّة بدء الكفاح المسلّح، على الانطلاق فورًا في الاتّصال بممثّلي جيش التّحرير الجزائري بمناطق الأوراس (تبسة، قسنطينة، سوق أهراس) لتنسيق العمل بين الجبهتين التونسية والجزائرية، مع التزام قيّادة الكفاح التونسي ببذل كل الجهود لإيصال الأسلحة والذّخيرة المطلوب إيصالها لجيش التّحرير الجزائري[3].

وأثناء إقامته بتونس عمل صالح بن يوسف على تنسيق الجهود مع الوطنيين الجزائريين قصد التصدّي للاستعمار الفرنسي، إذ تشير المعلومات التي توصّلت إليها قيّادة الجيش الفرنسي والتي جمعتها من أسرى المعارك التي خاضتها فرنسا ضدّ وحدات المقاومين بجهة صفاقس خلال النّصف الأول من شهر جانفي 1956، إلى ذلك الاتّفاق الذي حصل بين الأمانة العامّة للحزب الدستوري الحرّ الجديد وجبهة التّحرير الوطني، والذي نصّ على ما يلي:

- عبد الحي السّعيد له السّلطة ومهمّة الاتّصال مع القيّادة العليا والتّنسيق معها.
- ضرورة التدخّل الكثيف للجزائريين بتونس.
- لا يتّصل المقاومون الجزائريون إلا بشُعب "الأمانة العامّة" لتلقّي المعلومات والإعانة.
- فقط المتطوّعون الذين يعتمدهم الطّاهر لسود يمكن إدماجهم في الوحدات الجزائرية.

---

[1] – شهادة البديري الشاذلي ، جريدة الصّباح، العدد 101452، 12 أوت 1988، ص 2.

[2] – أحمد بن بلّة، مذكّرات أحمد بن بلّة كما أملاها على روبير ميرل، تر: العفيف الأخضر، ط2، منشورات دار الآداب، 1999، ص 95.

[3] – فتحي الديب، المصدر السّابق، ص ص 138. 139.

- الفرق المشتركة يجب أن تكون تحت قيّادة جزائرية.
- الإعانة والدّعم يضمنهما اليوسفيون لتسريب السّلاح.
- اليوسفيون يكوّنون بدورهم فرقهم المسلّحة، والتّنظيم السيّاسي العسكري يكون مماثلا لتنظيم الجزائريين.
- العناصر الجزائرية بتونس يمكن أن توفّر السّلاح والذخيرة لليوسفيين.
- الجزائريون يلتزمون بتقديم الإعانة الماليّة للقيّام بالعمليّات المشتركة.
- يجب إشعار الجزائريين عندما يدخل اليوسفيون في التمرّد الشّامل[1].

إنّ قراءة متأنّية في بنود هذا الاتّفاق، تدُلّنا بوضوح على ذلك التّنسيق المحكم والمنظّم القائم بين الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، وهو الأمر الذي أقلق كثيرا الحكومة التونسية لدرجة أنها قرّرت إلقاء القبض على صالح بن يوسف خاصّة بعدما اشتدّ تأثير تيّار المعارضة داخل تونس، غير أنّ بن يوسف قد تمكّن من الفرار إلى ليبيا ليلة 28 جانفي 1956[2].

وللإشارة فإنّ بن يوسف قد عقد قبل مغادرته لتونس، اجتماعا تنسيقيّا في بيته العائلي لقيّادات جيش التّحرير الذي أريد له أن يكون جيش تحرير المغرب العربي كلّه[3] بحضور كل من الطّاهر لسود وعلي الزليطني والطيب الزلاق عن الجانب التونسي، والسعيد عبد الحيّ وعبّاس لغرور عن الجانب الجزائري، ومجموعة من قيّادات جيش التّحرير المغربي بقيّادة محمد البصري، وخلال هذا الاجتماع تم الاتّفاق على توحيد "جيش التّحرير المغربي"[4]، وإرسال عناصره إلى الخارج للتّدريب على

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 110.

[2] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 78.

[3] – يُشير الدّكتور عبد الكريم الخطيب في مداخلته بملتقى جيش التّحرير المغاربي، إلى تلك الاتّصالات التي كانت تتمّ بين الطّرفين الجزائري والمغربي لبعث قيّادة موحّدة لحركات التّحرير في إطار ما سمي بـ"جيش تحرير المغرب العربي"، الذي أصدر أوّل بيان له في شهر أكتوبر 1955 بإمضاء كل من حركة المقاومة المغربية وجبهة التّحرير الوطني، دون إمضاء الطّرف التونسي. أنظر: شهادة عبد الكريم الخطيب حول الاتّفاقات بين جيش التّحرير المغربي وجيش التّحرير الجزائري، والخلافات المغربية– الجزائرية ما بعد الاستقلال، أعمال ملتقى جيش التّحرير المغاربي 1948– 1955، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 11.12 ماي 2001، ص ص 195. 198 (بتصرّف) .

[4] – تجسّد التحاق التونسيين –ممثّلين في المعارضة اليوسفية– ميدانيّا بجيش تحرير المغرب العربي، بعد الاجتماع الذي عقده صالح بن يوسف في بيته قبل مغادرته لتونس، ثم انظمّ جيش التّحرير التونسي بصفة رسميّة إلى جيش تحرير المغرب العربي خلال اجتماع قادة

فنون القتال وأساليب الحرب[1]، كما بلّغ بن يوسف الحاضرين عن رغبة جمال عبد النّاصر في اللّقاء بهم للتّشاور عن كيفية إمدادهم بالسّلاح لتحرير المغرب العربي[2]، إذ يقول الطّاهر لسود في هذا الشّأن: «طلب منّي بن يوسف خلال هذا الاجتماع الذّهاب إلى الشرق لجلب السّلاح، لكنّني رفضت ذلك لاعتقادي أنّه بإمكاننا الحصول على السّلاح من إخواننا الجزائريين ...، وبدا بن يوسف مُصرّا على طلبه إلى أن استطاع إقناعي بضرورة اللّقاء بجمال عبد النّاصر الذي كانت له ثقة كبير بي خاصّة وأنّه كان قد سمع عن معارضتي لتسليم السّلاح في نهاية 1954...»[3].

ودون الاستطراد في ذكر كلّ اللّقاءات التي كانت تتمّ بين قادة حركات التحرّر في الأقطار الثلاثة الخاضعة للاستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا، وبرعاية مصر في كثير من الأحيان، يمكننا القول أنّ هذه الاجتماعات قد شكّلت عاملا حاسما، وفرصة حقيقية لتوثيق العلاقة بين الثوّار اليوسفيين وقادة الثورة الجزائرية، خاصّة بعدما أصبحت الظّروف مهيّأة بتونس لبعث تنظيم موحّد لعصابات المقاومة في إطار ما سُمّي بـ "جيش التّحرير التونسي" الذي سيتولى مهمّة التّنسيق مع جيش التّحرير الجزائري لاستكمال مسيرة التحرّر من الاستعمار الفرنسي.

3- علاقة جيش التّحرير الوطني التونسي بالثورة الجزائرية .

لقد مثّل انضمام الطّاهر لسود للأمانة العامّة في 11 ديسمبر 1955، وإعلانه الصّريح عن تأييده للزّعيم صالح بن يوسف دعمًا كبيرا للحركة اليوسفية، باعتبار أنّ هذا المناضل كان يؤمن بنجاعة المقاومة المسلّحة كحلّ وحيد للتحرّر، وبضرورة توحيد الكفاح مع بلدان المغرب العربي الثلاثة للتخلّص من قبضة الاستعمار الفرنسي، وبفضل الثّقة التي وضعها فيه غالبيّة المقاومين، استطاع الطّاهر لسود تكوين بعض المجموعات الفدائية (من عناصر تونسية وجزائرية) لمواصلة الكفاح المسلّح، فتعزّز بذلك

=جيش التّحرير للأقطار الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب) بالقاهرة في 25 فيفري 1956، أين تم الاتّفاق على توحيد قيّادة جيش تحرير شمال إفريقيا، الذي أسندت قيّادته للمناضل الطّاهر لسود وأمانته العامّة لأحمد بن بلّة. أنظر: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 131.

[1] – نفسه، ص 132.

[2] – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954-1975)، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 122.

[3] – شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

تيّار المعارضة الذي أعلن انخراطه في المقاومة المسلّحة بعد الإعلان عن تأسيس جيش التّحرير الوطني التونسي[1]. تُرى: ما هي ظروف تأسيس جيش التّحرير الوطني التونسي؟، وكيف كانت علاقته بالثورة الجزائرية ؟.

3-1- جيش التّحرير الوطني التونسي: ظروف التّأسيس. المبادئ والأهداف.

لم يكرّس صالح بن يوسف تواجده بتونس للنّشاط السيّاسي فحسب، بل كانت المعركة المسلّحة واردة كما توقّعها ودفع إليها أكثر نتيجة تزايد الحماس الثوري في تونس وتصاعد المعركة في المغرب العربي[2]. وحسب ما أشارت إليه بعض الوثائق الأرشيفية، فإنّ فكرة إنشاء جيش التّحرير الوطني التونسي، تعود في حقيقة أمرها إلى الفترة التي سبقت بأيّام قليلة التّوقيع على الاتّفاقيات الفرنسية التونسية، ذلك أنّ صالح بن يوسف قد تحصّل مع نهاية شهر ماي 1955 على قرض مالي قيمته 300.000 جنيه مصري من الجامعة العربية لأجل تكوين هذا الجيش، كما أجرى بن يوسف في باندونغ عدّة لقاءات مشفوعة بمفاوضات من أجل إرسال بعض العناصر المختصّة في حرب العصابات إلى الجزائر وتونس[3]، وإذا كانت الفكرة موجودة منذ منتصف سنة 1955، فإنّ الظّروف التي عمّت تونس عقب التّوقيع على اتّفاقيات الحكم الذّاتي، هي التي أخّرت ظهور التّنظيمات المسلّحة والمهيكلة إلى نهاية السّنة (1955)[4].

فخلال الأشهر الأخيرة لسنة 1955، كوّن اليوسفيون المنتمون للأمانة العامّة منظّمة شبه عسكرية تعرف بـ"الجبهة المضادّة"، يُشرف عليها موظّف بالأمن سابقا وهو عبد الرّحمن محمود الشّملي في اتّصال مع صالح بن يوسف الذي يزوّدها بالمال والسّلاح، كما تكوّنت منظّمة أخرى للدّفاع عن الذّات والقيّام بأعمال التّرهيب ضدّ الخصوم بقيّادة المقاوم اليوسفي رضا بن عمّار، ولعلّ سرعة تحرّك الأجهزة الأمنيّة في المدن التي كانت تدعّمها الميليشيات التي كوّنها البورقيبيون لملاحقة الخصوم، هي

---

[1] – عبد القادر السّمعلي، مذكّرات مقاوم. تجربتي مع جيش التّحرير التونسي والمقاومة المسلّحة كما عشتها، تحقيق الأستاذ عبد الجليل الميساوي، دار نهى للطّباعة والنّشر، صفاقس، 2010، ص ص 431. 432.

[2] – عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبّان الثورة الجزائرية، المرجع السّابق، ص 310.

[3] – "تقرير النّشاط السيّاسي بالبلاد التونسية"، أرشيف الخارجيّة الفرنسية، سلسلة المراسلات السيّاسية والتّجارية بتونس 1944-1955، الصّندوق رقم 314، الملف رقم 649، الوثيقة 50، المؤرخة في 14 ماي 1955.

[4] – عبد القادر السّمعلي، المصدر السّابق، ص 419.

التي حدّت من النّشاط اليوسفي في الوسط الحضري لينكفئ نحو الأرياف، أين تم تكوين العديد من الوحدات العسكرية التي سيتشكل منها جيش التّحرير الوطني التونسي[1].

وبعد الدّراسة الاستطلاعيّة التي قادته إلى طرابلس لمعاينة الأوضاع على الحدود مع تونس، شرع صالح بن يوسف في توجيه الدّعوة إلى قدماء المقاومين للعودة إلى الكفاح المسلّح، فاستجاب المناضل الطّاهر لسود لدعوة بن يوسف واجتمعا معًا لدراسة الموقف، حيث اتّفقا على تجنيد المقاومين لحمل السّلاح من جديد بالتّنسيق مع الثوّار الجزائريين، كما تمّ وضع خطّة لتنظيم شبكات تمرير الأسلحة لدعم المقاومة في تونس والجزائر. هكذا بدأ التّحضير الفعلي لاندلاع الثورة المسلّحة وتشكيل جيش التّحرير الوطني التونسي، حيث قضى الطّاهر لسود الفترة الممتدّة ما بين نوفمبر 1955 وجانفي 1956 في التّحضير الجادّ لبعثه[2].

ومما لا شكّ فيه، أنّ هذه المبادرة قد جاءت بهدف تفعيل المقاومة التونسية وتأكيد وحدة الكفاح المغاربي، خُصوصا ونحن نعلم أنّ هذه الفترة قد شهدت عدّة تطوّرات على مستوى السّاحة المغاربية، مثل اندلاع الثورة الجزائرية وتأكيدها على البعد المغاربي، إضافة إلى انطلاق العمليّات العسكرية لجيش تحرير المغرب العربي في أكتوبر 1955، وتطوّر الاتجاه اليوسفي الذي كان يُنادي بتوحيد الكفاح المسلّح مع الثورة الجزائرية والمغربية[3]، لذلك عمل قادة المقاومة التونسية على الاجتهاد في الاتّصال بمسؤولي الثورة الجزائرية عشيّة التّجهيز لتأسيس جيش التّحرير الوطني التونسي، لتأكيدهم على تضامن المقاومين في تونس مع ثورتهم المجيدة وإيمانهم بضرورة استقلال المغرب العربي دون تمييز بين أقطاره[4]، وهو ما نلمسه من خلال نصّ الرّسالة[5] التي وجّهها الطّاهر لسود إلى قادة الثورة الجزائرية في الدّاخل بتاريخ 3 ديسمبر 1955 والتي جاء فيها ما يلي: «... إنّني أتضامن معكم في مصائب الدّهر وهموم استقلال كامل إفريقيا، وأتعهّد على مواصلة القتال طالما ظلّت شعوبنا مستعبدة من طرف

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات. انتفاضة المدن– الفلاقة– اليوسفية، مطبعة التّسفير الفني، صفاقس، 2004، ص ص 154. 155.

[2] – عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص 301.

[3] – Pierre Paillier, op.cit, p119.

[4] – عبد القادر السّمعلي، المصدر السّابق، ص 461.

[5] – للاطّلاع على نصّ الرّسالة، أنظر الملحق رقم 18، ص ص 234. 235

الاستعمار، وطالما ظلّت فرنسا مسيطرة على الشّمال الإفريقي، وينبغي علينا الآن المشاركة والمساندة في كفاح واحد ضدّ عدوّنا المشترك، كما ينبغي أن لا يكون هذا الكفاح سيّاسي فقط بل كفاحا مسلّحا بالفعل، لذا أطلب منكم أن تقتربوا من الحدود التونسية حتى يتمكّن إخوانكم التونسيون من الانضمام إليكم إلى أن ننهض بكافة أفراد الشّعب التونسي للثورة...، ينبغي أن تسلّموا للتونسيين الذين ينضمّون إليكم مستقبلا كلمة السّر الآتية :(جسر قسنطينة وواد سوق أهراس)... »[1].

إنّ قراءة متأنّية في مضمون هذه الرّسالة، هي التي تعكس لنا بوضوح تلك الجهود التي بذلها المناضل الطّاهر لسود في سبيل إعادة إحياء المقاومة والتّحضير للعمل المسلّح بالتّنسيق مع غيره من قادة حركات التّحرر في المغرب العربي، لأجل تحقيق الاستقلال التّام لكافة أقطاره، كما ساعدته الاجتماعات التّحضيرية والتّنسيقية[2] التي كانت تتمّ بين هؤلاء القادة، سواء داخل تونس أو خارجها (أي في مصر برعاية جمال عبد النّاصر وفتحي الديب)، على التقدّم في تكوين جيش التّحرير الوطني التونسي، إلى أن تم الإعلان رسميّا عن ميلاده في بداية شهر فيفري 1956 من خلال البيان التأسيسي[3] الصّادر عن قيّادة الجيش، بإمضاء الطّاهر لسود في 12 فيفري 1956 الذي جاء فيه ما يلي: «...نعلن على رؤوس الملأ للشّعب التونسي والشّعب الفرنسي والعالم بأسره أنّنا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريّا وطنيّا تونسيّا، مهمّته تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأذنابه، وقد قرّرنا ضمّ جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة...، وفي الختام نحذّر كل مشوّش وكل انتهازي من العواقب الوخيمة التي تترقّب كل من لم يؤدّ واجبه على الوجه الأكمل، ونحذّر كل من يحاول تعطيل عمل جيش التّحرير الوطني في هذه المعركة الحاسمة من تاريخ كفاحنا ومصير أجيالنا المقبلة...»[4].

---

[1] – عمّار بن سلطان وآخرون، الدّعم العربي للثورة الجزائرية. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 37. 38 .

[2] – هي الاجتماعات التي تمّت الإشارة إليها من قبل، مثل اجتماع الطّاهر لسود بفتحي الديب ممثّلا عن مصر بطرابلس يوم 24 نوفمبر 1955، واجتماعه مع قادة جيش التّحرير في بيت صالح بن يوسف يوم 8 جانفي 1956، وهي التي مهّدت الطّريق أمام المناضل الطّاهر لسود للإعلان عن تأسيس جيش التّحرير التونسي، كونه حُضي بدعم كبير خلالها في سبيل ذلك.

[3] – للاطّلاع على نصّ البيان التّأسيسي أنظر: الملحق رقم 19، ص 236.

[4] – "بيان من القائد الطّاهر لسود: تأسيس جيش التّحرير الوطني"، جريدة الزّهرة، العدد 15269، 13 فيفري 1956. ص 1. أنظر أيضا: "بيان القيّادة العامّة لجيش التّحرير"، جريدة الصّباح، العدد 1273، 12 فيفري 1956، ص 2 .

كما صدر بيان خلال نفس الفترة عن قيّادة جيش التّحرير التونسي لبني خدّاش، للإعلان عن استئناف الكفاح المسلّح ضدّ الاستعمار الفرنسي، ومما جاء فيه: « على الشّعب التونسي أن يعلم أنّنا قد خرجنا جميعا، فقيرا وغنيّا للدّفاع عن ديننا الإسلامي الحنيف، ونصرة وطننا المفدى من هيمنة الاستعمار الغاشم، ونعلم إخواننا الذين لا يزالون يغطون في سبات عميق أن يخلعوا عنهم لباس الخشية والرّهبة، وليعلموا أنهم على شفى جرف هار وهم غير واعون بذلك...»[1].

فمن خلال هذه البيانات، يمكننا استخلاص أهمّ المبادئ والأهداف التي قام على أساسها جيش التّحرير التونسي، والتي تتعلّق أساسا بتخليص الوطن من قبضة الاستعمار ومحاربة كل الخونة والمتعاونين معه دفاعا عن الهويّة العربيّة الإسلاميّة، إضافة إلى وضع المصلحة العليا للوطن فوق مصالح الأشخاص والزّعامات، وصهر جهود المقاومة التونسية في صلب التحرير الشّامل لكافّة أقطار المغرب العربي[2].

وإذا عدنا إلى الحديث عن حقيقة جيش التّحرير الوطني التونسي، فإنّنا نقول أنّه تشكل في جوهره من غالبيّة المقاومين (القدماء والجدد) الذين فضلوا مواصلة المقاومة المسلّحة إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام[3]، مكوّنين بذلك نواة جيش التّحرير التونسي في شكل عدّة فرق نذكر منها:

- فرقة أولاد عون بقيّادة "عبد القادر رزّوق" و"الأخضر القرماسي" التي كانت تنشط بمنطقة سليانة.
- فرقة "الطيّب الزلاق"و"الطّاهر بالأخضر" التي نشطت بمنطقة سوق الأربعاء وغار الدّماء .
- فرقة "عبد اللّطيف زهير" بمنطقة السّاحل.
- فرقة "عمّار بني" بجهة قفصة.

---

[1] – "بيان عن القيّادة العامة لجيش التّحرير. بني خدّاش"، جريدة الصّباح، 13 فيفري 1956، العدد 1274، ص 2.

[2] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 14.

[3] – لقد فضّل غالبيّة المقاومين العودة إلى الكفاح المسلّح في إطار جيش التّحرير الوطني التونسي، وهذا راجع إلى شعورهم بالخيبة، إذ لم تُقدَّر تضحيّاتهم حقّ قدرها، ولم تمنح لهم الترضيّات التي يستحقّونها، كما أنّ الاتّفاقيات الممضاة في 03 جوان 1955 لم تكن في مستوى التّضحيّات المقدّمة. أنظر: عميرة عليّة الصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، المرجع السّابق، ص 158.

- فرقة "الطّاهر لسود" و"محمد قرفة" و"سعد بعر" التي كانت تنشط بمنطقة تطاوين والحوايا ومطماطة.
- فرقة "الطّاهر بن لخضر الغربي" بمنطقة أم العرائس ونفطة وتوزر.
- فرقة "رضا بن عمّار" بالعاصمة التونسية.
- فرقة "محمد بالنّيفر" و"البشير بن منصور" التي كانت تنشط بجهة المكناسي والمزونة وسيدي علي بن عون.
- فرقة "بلقاسم بن فرح اليعقوبي" بجبال أم علي[1].

ودون الاستطراد في ذكر الفرق المكوّنة لجيش التّحرير الوطني التونسي، بودّنا الإشارة إلى تعداد المقاومين الذين انخرطوا فيه، فحسب ما ذكره الأستاذ عميرة عليّة الصغير، فإنّ تعداد هؤلاء المقاومين قد تطوّر ما بين فيفري وماي 1956 على النّحو التّالي: منتصف فيفري: 759 مقاوم، 24 أفريل: 770 مقاوم، 29 ماي: 1400 مقاوم، وإذا أضفنا إليه عدد المقاومين الذين قتلوا قبل موفّى شهر ماي 1956، المقدّر عددهم 350 شخص، فإنّنا نتحصّل على حوالي 1750 مقاوم[2]. أمّا الباحث المطوي المختار فإنّه يقدّر عدد المقاومين بجيش التّحرير الوطني التونسي بحوالي 1500 مقاوم[3]. ولا يبتعد محمد مختار ناصري عن هذه الإحصائيّات، إذ يقدّر هو الآخر عدد المقاومين بحوالي 1600 مقاوم[4]. ورغم الاختلاف في إحصاء وتعداد أفراد جيش التّحرير الوطني التونسي، إلا أنّ وحدات هذا الجيش كانت تتمتّع بمهنيّة عسكرية كبيرة من حيث التّدريب والتّسليح، وهو ما أقرّ به الفرنسيون أنفسهم إذ يقول الكمندان قيبون: « نحن إزاء عصابات هامّة مكوّنة من رجال أكثر دربة، أو على الأقل أحسن تسلّحا وتأطيرا »[5].

---

[1] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 131.

[2] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 111.

[3] – المختار المطوي، المرجع السّابق، ص 209.

[4] – محمد مختار ناصري، المقاومة التونسية المسلّحة وإشكاليّاتها (1952–1956)، أطروحة دكتوراه، قسم التّاريخ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس الأولى، تونس، 2000، ص 230.

[5] – S.H.A.T, Série 2H, carton 2H312 , bobine S506, p 456.

على كلّ، مثّلت صائفة 1956 بداية نهاية جيش التّحرير الوطني التونسي، حيث تضافرت مجموعة من الظّروف والمعطيات لتعجّل مأمورية القضاء عليه، فبعد التدخّل الحاسم للجيش الفرنسي لتحطيم هياكل وقواعد جيش التّحرير التونسي، اضطرّت أغلب عناصر هذا الجيش إلى الاستسلام، مثل استسلام عمّار بنّي وعصابته بجهة قفصة، وإقدام بعض الأفراد من عصابة الطيّب الزلاق وعددهم خمسة على تسليم أنفسهم لقائد سوق الأربعاء[1]، بينما التجأت قلّة أخرى إلى الاندماج في صفوف وحدات جيش التّحرير الجزائري، مثل مجموعة القائد الطّاهر بن الأخضر الغربي، التي انضمّت إلى العصابة المشتركة التي كان يقودها الجزائري طالب العربي رفقة عبد الله البوعمراني. كما أدّت سيّاسة التتبّعات والاعتقالات والمحاكمات السيّاسية التي نصّبها النّظام البورقيبي من 1956 إلى غاية 1959، إلى القضاء على بقيّة عناصره الرّافضة للاستسلام، بعد أن مثّلتهم أمام مجالس القضاء على أساس أنهم مفسدين ومجرمين ومخرّبين[2]. ضف إلى ذلك فإنّ تخلّي أشهر قادة جيش التّحرير التونسي من أمثال الطيب الزلاق[3] والطّاهر لسود[4] عن مواصلة الكفاح المسلّح بعد التّوقيع على بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956، قد ساهم هو الآخر في اندثار ذلك الجيش الذي انتهى غرض وُجوده أصلا على حدّ تعبير هؤلاء القادة[5] .

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، جيش التّحرير الوطني التونسي: حقيقة ومصيره، أعمال ملتقى مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 12 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص 109.

[2] – نفسه، ص 97.

[3] – لقد اضطرّ الطيّب الزلاق إلى تسليم نفسه رفقة 07 مقاومين من عصابته للمحجوب بن علي بسيدي مسكين ليلة 7– 8 ماي 1956، وهذا بعدما أدرك بأنّ مواصلة الكفاح هو من باب السّير في طريق مسدود، خاصّة بعد إحراز تونس للاستقلال في 20 مارس 1956 ونداء حكومة بورقيبة للمقاومين اليوسفيين بالعودة إلى السّلم مقابل العفو عنهم. أنظر: عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص ص 134. 135.

[4]– يبدو لنا أنّ التّحالف بين الطّاهر لسود وصالح بن يوسف كان مؤقّتا، إذ سرعان ما انسلخ الطّاهر لسود عن صالح بن يوسف بعد الإعلان عن الاستقلال التونسي في 20 مارس 1956، وفي هذا الشّأن يقول الطّاهر لسود: « ... في ليلة 2–3 جويلية 1956 قطعت الحدود التونسية اللّيبية، وفي يوم 03 جويلية سلّمت نفسي رفقة محمد بن ضو وعمر بن موسى العيفة وعمر بن خليفة إلى والي مدنين...، رفضت استخدام الكفاح المسلّح في اقتتال التونسيين في صراع داخلي بين القادة السيّاسيين...، ورأيت أنّ الخلاف اليوسفي البورقيبي يمكن حلّه سيّاسيا بعد الاستقلال، لكنّني تركت الحرّية للجيش في إلقاء السّلاح أو مواصلة المقاومة على التّراب الجزائري... ». أنظر: شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق .

[5] – عميرة عليّة الصغير، المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، المرجع السّابق، ص 167.

3-2- مظاهر التّنسيق بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري:

بعدما تمّ الإعلان عن تأسيس جيش التّحرير الوطني التونسي، سعت مصر انطلاقا من إيديولوجية الوحدة إلى توحيد الكفاح المسلّح بشمال إفريقيا، عن طريق إحداث هيكل موحّد يشرف على المقاومة المسلّحة ويمدّها بما تحتاجه من سلاح[1]، حيث دعت إلى عقد اجتماع لقادة جيوش تحرير أقطار شمال إفريقيا بالقاهرة يوم 25 فيفري 1956[2]، بحضور كل من أحمد بن بلّة والمهدي بن عبّود وعبّاس لغرور عن جيش التّحرير الجزائري، والطّاهر لسود وبشير الصبّاح عن جيش التّحرير التونسي، وعبد الكريم الخطيب عن جيش التّحرير المغربي، إضافة إلى فتحي الديب وزميله عزّت سليمان اللّذين أشرفا على إدارة جلسات هذا اللّقاء. وخلال هذا الاجتماع تمّ الاتّفاق على بعث قيّادة موحّدة لجيوش التّحرير بالأقطار الثلاثة، كما تم التعهّد على مواصلة الكفاح وعدم إيقاف القتال إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام لكافة أقطار المغرب العربي. ومن جهتها أيضا التزمت مصر بتمويل هذه المقاومة الموحّدة بالسّلاح عن طريق رئيسها جمال عبد النّاصر[3]، هذا الأخير الذي اقترح بناء على اتّفاق المجتمعين أن يكون الطّاهر لسود رئيسا للجنة تحرير شمال إفريقيا وأحمد بن بلّة أمينا عاما لها[4]. وبناء على ما أورده الأستاذ عميرة عليّة الصغير، فإنّ المناضل الطّاهر لسود قد أخرج أثناء استجوابه من طرف المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية في تونس طابعا أرسله إليه جمال عبد النّاصر يحمل عبارة "الطّاهر لسود اليزيدي-القيّادة الثورية لتحرير الشّمال الإفريقي"[5].

---

[1] – محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدوّل ومطامح الشعوب، ط2، دار الكلمة للنّشر، بيروت، 1983، ص 25.

[2] – ذكرت بعض المراجع يوم 4 فيفري كتاريخ لعقد الاجتماع، غير أنّ الديب فتحي – وهو مصدر- يذكر يوم 25 فيفري كتاريخ لعقد الاجتماع، بينما يوم 24 فيفري هو تاريخ وصول الوفد التونسي إلى القاهرة. أنظر: فتحي الديب، المصدر السّابق، ص ص 171. 172.

[3] – نفسه، ص ص 173.

[4] – بخصوص هذه اللّجنة يذكر الطّاهر لسود في شهادته، أنّ "الرئيس المصري جمال عبد النّاصر هو الذي طلب منّا تشكيلها، وهي مكوّنة من خمسة أشخاص: رئيس، أمين عام، كاتب و 2 آخرين، تشرف على أخذ السّلاح وقبض المال، وعبد النّاصر هو الذي ألح عليّ أن أكون رئيس لها، بينما يكون الأخ بن بلّة أمين عام". أنظر: شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[5] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 105.

وقد أكّد الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر خلال لقائه بالمناضلين الطّاهر لسود وأحمد بن بلّة، على ضرورة تفعيل قدرات جيش التّحرير التونسي وتنسيق نشاطه مع جيش التّحرير الجزائري[1]. ولأجل ذلك وضع الطّاهر لسود استراتيجية خاصّة بجيش التّحرير التونسي، تقوم أساسا على عقد الارتباط بجيش التّحرير الجزائري بجهة الأوراس والنمامشة ووادي سوف عبر جبال مطماطة والحامّة وجبال العسكر بضواحي قفصة، مع ضرورة توفير سبل الإمداد العسكري من طرابلس[2]. واستمرّت بذلك إدارة مسألة التّنسيق سيّاسيا بين صالح بن يوسف وأحمد بن بلّة وعسكريا بين الطّاهر لسود وقادة أوراس النمامشة[3].

وفي إطار التّنسيق بين الجيشين، كُلّف محمد خيضر بالإشراف على الجانب السيّاسي وتنسيق العلاقات مع مفوّض صالح بن يوسف إبراهيم طوبال، فتطوّر بذلك التّعاون القائم مع اليوسفيين، وهو ما نلمسه من خلال ما عبّر عنه محمد خيضر حين قال: "إنّ التونسيين بدفع من صالح بن يوسف يسيرون معنا تماما"[4]، موضّحا بأنّ توحيد الموقف في المغرب العربي وعودة الكفاح المسلّح إلى تونس من شأنه أن يدعّم الثورة الجزائرية ويعزّز موقفها في مفاوضة مشتركة مع الحكومة الفرنسية قصد الوصول إلى حلّ موحّد لقضايا الشّمال الإفريقي[5]. كما تكلّف أحمد بن بلّة بالجانب العسكري أيضا، أيضا، ذلك أنّه عمل على تأكيد الارتباط بجيش التّحرير التونسي للاستفادة من خدماته في دعم الثورة الجزائرية، من خلال إقامة تنسيق محكم في قاعدة طرابلس، حيث قوّى ارتباطات الثوّار التونسيين بقيّادة الأوراس وممثّليها في تونس[6]، وأشرك معه في إدارة هذه العلاقات الضبّاط المؤمنين بمرجعيّة الخطّابي وبالعمل المغاربي المشترك من أمثال؛ عبد العزيز شوشان وبشير القاضي[7]، هذا الأخير الذي

---

[1] – الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[2] – S.H.A.T, Série 2H, carton 2H312 , bobine S507,p457.

[3] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 88.

[4] – Mabrouk Belhoucine, Le courrier Alger le Caire 1954-1962 et le congrès de la Soummam dans la révolutions, Editions casbah, Alger, 2000, p103.

[5] – Ibid, p104.

p104.

[6] – محمد حربي، جبهة التّحرير الوطني. الأسطورة والواقع (1954–1962)، المصدر السّابق، ص 78.

[7] – نفسه، ص 80.

أكّد من خلال شهادته وُجود تعاون وثيق وعميق بين جيش التّحرير التونسي وجيش التّحرير الجزائري لدرجة أنّ الأسلحة التي كانت توجّه آنذاك للمقاومين بالأوراس، كان يتمّ تقسيمها تقريبا مناصفة مع جيش التّحرير التونسي الذي كان على رأسه المناضل الطّاهر لسود وصالح بن يوسف كزعيم روحي[1]. وهو ما أكّده أيضا المناضل أحمد مهساس حين تحدّث عن العلاقة القائمة بين ممثلي الأوراس في تونس والمقاومين التونسيين المنخرطين في جيش التّحرير التونسي قائلا :« كان التّعاون العسكري بينهما وثيق جدّا، حيث تجد من الجزائريين من يقاتلون إلى جانب المقاومة التونسية، والعكس كذلك تونسيون يقاتلون إلى جانب المقاومة الجزائرية، وإيديولوجيا كنّا معًا مؤيّدين للتيّار العروبي الإسلامي الذي كان يتزعّمه آنذاك الرئيس المصري جمال عبد النّاصر... »[2].

ونتيجة للتّنسيق المحكم بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري، تشكّلت عدّة فرق عسكرية مشتركة فيما بينهما، مثل فرقة الطيّب الزلاق التي ضمّت عناصر جزائرية وأخرى تونسية، والتي يبدو أنها تكوّنت في بداية الأمر من 17 جنديّا خلال شهر فيفري 1956، بمنطقة "منقار البطّة bec du canard" بغار الدّماء، ثم تكاثر عدد جنودها ليصل حدود 110 مقاتل[3]، وقد تركّز نشاطها بصفة خاصّة في منطقة سوق الأربعاء وبني خمير وسوق الخميس ووادي مليز، عن طريق تنسيق جهودها مع قادة منطقة سوق أهراس (عمّارة بوقلاز، محمد لصنام، محمد الشّريف مساعدية وأحمد الخيلي[4])، كما تشكّلت عدّة فرق أخرى مشتركة بين الجيشين نذكر منها:

---

[1] – شهادة المناضل بشير القاضي، المسيّرون المغاربة. الاتّفاق والاختلاف، أعمال ملتقى مؤسّسة محمد بوضياف بالجزائر، حول جيش التّحرير المغاربي 1948–1955، في 11.12 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 2006، ص ص 175. 176.

[2] – ناصر لمجد، أحاديث مع أحمد علي مهساس، ط1، دار الخليل القاسمي للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 94. 95.

[3] – الطّاهر جبلي، شبكات الدّعم اللّوجيستيكي للثورة التّحريرية (1954–1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التّاريخ، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009–2010، ص ص 250. 251.

[4] – محمد بلقاسم وآخرون، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية. الجبهة الشّرقية 1954–1962، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 125.

– فرقة مشتركة يقودها المقاوم الجزائري "حمدي باشا" بشمال فريانة، تضمّ حوالي 18 مقاوما من تونس والجزائر[1].

– فرقة مشتركة يقودها "الطّاهر بن لخضر الغربي" تنشط بمنطقة قفصة، وهي تضمّ حوالي 200 مقاوم من تونس والجزائر[2].

– فرقة مشتركة بقيّادة "عبد القادر السّوفي" الجزائري، تنشط بمنطقة القصرين ومكثر تضمّ حوالي 50 مقاوما من التونسيين والجزائريين.

– فرقة مشتركة بقيّادة "محمد الجبالي بن عمر السّوفي" التي نشطت هي الأخرى بمنطقة قفصة، والتي ضمّت حوالي 200 مقاوم من تونس والجزائر[3].

– فرقة "الطّاهر لسود" التي تضمّ حوالي 180 مقاوما ينتقلون باستمرار ما بين الجنوب والوسط والشّمال على طول الحدود الجزائرية التونسية[4]، مع العلم أنّ الطّاهر لسود هو المفتّش والقائد العامّ للفصائل المشتركة الجزائرية – التونسية[5].

– فرقة الحاج "النوري البعصوصي" التي تضمّ حوالي 50 مقاوما ينشطون بمنطقتي عين بودرياس وفريانة، بالتّنسيق مع مجموعة من الجزائريين بقيّادة أحمد الطّاهر النايلي[6].

ودون الاستطراد في ذكر الفرق العسكرية المشتركة بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري، يمكننا القول أنّ هذه الفرق كانت تنشط بصفة خاصّة على الحدود الجزائرية التونسية بالتّراب الجزائري أحيانا والتونسي أحيانا أخرى[7]، وهو ما أكّده بعض مجاهدي القاعدة الشّرقية الذين أثبتوا من خلال مذكّراتهم أنّ عددًا كبيرًا من أفراد جيش التّحرير الوطني التونسي كانوا

---

1 – S.H.A.T, Série 2H, carton 2H312, Bobine S 505, f 365.

2 – Ibid , f 504.

3 – Ibid, f505.

4 – Ibid, f 517.

5 – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954–1975)، المرجع السّابق، ص 128.

6 – S.H.A.T, Série 2H, carton 311, Bobine S 505, f 05.

7 – Khaled Nezzar, Mémoires, Préfacé par Ali Haroun, Editions Chihab, Alger, 1999, p p 68.69.

يعبرون الحدود التونسية الجزائرية لمشاركة إخوانهم الجزائريين في قتال عدوّهم المشترك[1]، ومثلهم أيضا شارك أفراد جيش التّحرير الوطني الجزائري إلى جانب إخوانهم التونسيين في عدّة معارك ضدّ الاستعمار الفرنسي[2]. هكذا كان الجيشان الجزائري والتونسي يقاتلان جنبًا إلى جنب خاصّة في منطقة أم العرائس والرديف والمتلوي ونفطة، كما كان الشّعب العربي في تونس يموّن الجميع إيمانا منه بوحدة الكفاح المشترك مع الجزائريين[3].

إضافة إلى ما سبق، فقد كان لأفراد جيش التّحرير التونسي دور مهمّ في تمرير الأسلحة[4] الآتية الآتية من المشرق وإيصالها إلى الثوّار الجزائريين[5]، هذا فضلا عن توفير جيش التّحرير التونسي لمختلف أشكال الدّعم (المؤونة، الألبسة، ضبط تمركز المجاهدين الجزائريين في المناطق الاستراتيجية...) التي فرضت خلال عامي 1956-1957 حضور التّضامن الشعبي الرسمي مع ثوّار الجزائر[6]، واستمرّ بذلك التّنسيق العسكري بين الجيش الجزائري والتونسي، حيث اكتسى مشروع وحدة الكفاح المسلّح بينهما أهمّية كبيرة بعدما أكّد حضوره القوي في الميدان، الأمر الذي دفع فرنسا إلى التّسليم باستقلال تونس في 20 مارس 1956[7].

وإذا كان الإعلان عن استقلال تونس قد أثّر فعلا على المقاومة وعلى مشروع الكفاح المسلّح المشترك[8]، فإنّ ذلك لم يمنع جيش التّحرير التونسي من الحفاظ على تماسكه وعلى عقيدة التّحرير

---

[1] – الطّاهر الزّبيري، مذكّرات آخر قادة الأوراس التّاريخيين (1959-1962)، منشورات E.N.E.P ، الجزائر، 2008، ص 84.

[2] – للاطّلاع على أهمّ المعارك التي شارك فيها أفراد جيش التّحرير الجزائري إلى جانب إخوانهم التونسيين بتونس. أنظر: عثمان سعدي بن الحاج، مذكّرات الرّائد عثمان سعدي بن الحاج، دار الأمة للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2010، ص ص 58. 70.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 133.

[4] – سنتطرّق إلى هذه القضية بالتّفصيل في المبحث الرّابع والأخير من هذا الفصل.

[5] – أحمد بن بلّة، مذكّرات أحمد بن بلّة كما أملاها على روبير ميرل، المصدر السّابق، ص 94.

[6] – خالد نزّار، يوميّات الحرب. الجزائر (1954– 1962)، تر: سعيد اللّحام، ط1 ، منشورات E.N.E.P، الجزائر، 2004، ص 20.

[7] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 157.

[8] – بعد الإعلان عن استقلال تونس في 20 مارس 1956، بدأت تظهر الخلافات داخل قيّادة جيش التّحرير التونسي، مثل الخلاف الخلاف الذي حدث بين الطّاهر لسود وعبد العزيز شوشان –المسؤول العسكري بقاعدة طرابلس– الأمر الذي دفع بالقائد الطّاهر لسود إلى الاستسلام في 03 جويلية 1956، وهو ما أثّر على وحدة المقاومة وعلى مشروع الكفاح المسلّح المشترك، أنظر: عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص 330.

الشّامل من الضّمور[1]، إذ واصل كفاحه تحت قيّادة صالح بن يوسف الذي ظلّ يدعو من خلال رسائله لقادة الجيش إلى مواصلة الكفاح المسلّح، ليس من أجل تصفيّة بقايا الاستعمار ووضع حدّ لتحرّشاته بتونس فحسب، بل من أجل مساعدة الجزائر أيضا[2]، حيث انضمّ أغلب قادة فرق جيش التّحرير التونسي إلى جيش التّحرير الجزائري بعد أن وافقت فرنسا على منح الاستقلال التّام لتونس في نطاق التّكافل مع فرنسا، ومن أشهر هؤلاء القادة نذكر: الطّاهر الغربي، عبد الله البوعمراني، محمد الغلوفي النّفزاوي وعبد السّلام ثامر وغيرهم كثيرون[3].

ومن جهته أيضا ترك القائد الطّاهر لسود عشيّة استسلامه الحرّية التّامة لأفراد جيش التّحرير التونسي، فيما يتعلّق بمواصلة الكفاح ودعم الثوّار الجزائريين، إذ يقول في هذا الشّأن: «... بعد الإعلان عن الاستقلال التونسي (التّام)، قلت لصالح بن يوسف: يا صالح إن تستسلم وتدخل تونس فلا أحد يؤذيك، أمّا أن أساعدك على بورقيبة فهذا لا أقبله بتاتا...، وقلت للثوّار أيضا: من أراد العودة إلى تونس فليعود، ومن لم يرد العودة فعليه بالذّهاب إلى القتال في الجزائر، أمّا السّلاح فإنّني أفضّل أن يدخل الجزائر...»[4].

وبالفعل فقد تم تسليم سلاح المقاومين ممّن فضّلوا الاستسلام إلى الثوّار الجزائريين، وهو ما أكّدته شهادات العديد من المناضلين التونسيين، من أمثال "الزّين بن علي بن مسعود المسعودي" الذي يقول في هذا الشّأن: «... الكثير منّا (المقاومين) سار على فكرة السّي الطّاهر لسود في الاستسلام، لكن هذا بعد أن سلّمنا سلاحنا للجزائريين...»[5]. كما كشف المناضل عبد المجيد رزق الله في حواره مع الباحث عبد الحميد العلاني عن تسليم كميّات من الأسلحة للإخوان الجزائريين بعد الإعلان عن استقلال تونس[6]، ومثله أيضا أكّد المناضل "حسين الباش" بأنّ السّلاح الذي تمّ جمعه

---

[1] – عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص 331.

[2] – عليّة الصغير (عميرة) وعدنان (المنصر)، المرجع السّابق، ص 194.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 154.

[4] – شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[5] – الزّين بن علي بن مسعود المسعودي، تسجيل شفوي، شهادة مدمجة مع شهادة الطّاهر لسود، المصدر السّابق.

[6] – شهادة المقاوم عبد المجيد رزق الله، ضمن كتاب عبد المجيد العلاني، لم يناموا على الذّل. شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والسّاحل، شركة فنون الرّسم والنّشر والصّحافة، تونس، 2006، ص 409.

بعد استسلام ثوّار الثورة الثانية لم يتم تسليمه للسّلطات المحلّية، وإنما سلّم لإخواننا الجزائريين كإعانة منّا لهم[1].

هكذا يتّضح لنا استمرار حبل التّواصل بين المقاومة الجزائرية وجنود التّحرير من أتباع صالح بن يوسف بعد استسلام قائد جيش التّحرير التونسي (الطّاهر لسود)، غير أنّ هذا الوضع لم يدم طويلا على هذا الحال، إذ سرعان ما توتّرت علاقات الثورة الجزائرية بالمجموعات اليوسفية خاصّة مع نهاية 1956[2]. فبالإضافة إلى ضغوط بورقيبة على قادة الثورة في تونس للكفّ عن التّعامل مع اليوسفيين، فإنّ العديد من قادة المقاومة الجزائرية أصبحوا يطلبون من الفرق التونسية المقاومة الرّاغبة في الالتحاق بالثورة الجزائرية، ضرورة الحصول على ترخيص من الحكومة التونسية مقابل السّماح لهم بالانخراط في جيش التّحرير الجزائري، وهو ما أثار غضب صالح بن يوسف الذي بدا مستغربا من هذا الأمر، حيث وجّه رسالة مؤرّخة في 10 جويلية 1956 إلى القائد العسكري" كمال المرزوقي" يقول له فيها : «...إني أحجّر على جيوشنا الدّخول للجزائر والالتحاق بجيش التّحرير الجزائري، خُصوصا وقد بلغني أنّ إخواننا الجزائريين قد أصبحوا يطلبون من جماعاتنا ضرورة الحصول على رُخص من الحكومة التونسية، تكون بأيدي جيوشنا للتّرخيص لهم للالتحاق بالجيش الجزائري وإلا يرفضونهم، كما وقع أخيرا (بتليبت في ولاية القصرين) للجيش الذي كان يقوده المبروك بودينة المدنيني والهادي قدورة المرزوقي ومحمد بن أحمد بن عمّار بن محجوب اليزيدي...».

كما وضّح بن يوسف في نفس الرّسالة استقلاليّة الثورة التونسية عن الجزائر قائلا :« ... إنّني لم أبعث في أي وقت من الأوقات إلى أيّ قائد كان بتعليمات تُفيد أنّ ثورتنا عبارة على ذيل من ذيول الثورة الجزائرية، بل إنّنا بثورتنا نساعد الثورة الجزائرية ونشترك مع الجزائريين في تحقيق تحرير المغرب العربي ووحدته ... إنّ هدف ثورتنا الأصلي هو مواصلة الكفاح وتحرير وطننا تحريرا كاملا... »[3]. ولعلّ هذا ما يؤكّد أنّ صالح بن يوسف كان مهتمّا بالمعركة الوطنية المرتبطة بطموحاته السيّاسة، وأنه

[1] – شهادة المناضل حسين الباش، ضمن كتاب عبد الحميد العلاني، المرجع السّابق، ص 298.

[2] – عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص 332.

[3] – كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة، المصدر السّابق، ص ص 86. 87.

جعل من مسألة نصرة الثورة الجزائرية هدفا ثانيّا من أهدافه المسطّرة ضمن مسيرته النّضالية[1]، وقد حاول بن يوسف إخفاء نزعته الوطنية وظلّ يعلن عن تمسّكه بخيار الكفاح الموحد، وينسّق عمله في القاهرة مع الوفد الخارجي للثورة، معتبرا ذلك وسيلة ضغط إضافيّة على السّلطات الحاكمة[2].

وممّا لا شك فيه، أنّ هذا التغيّر المفاجئ من قادة المقاومة الجزائرية هو الذي جعل الجزء المتبقّي من جيش التّحرير التونسي يضعف ويفكّر في التخلّي عن المقاومة واللّجوء الاستسلام خُصوصا في ظلّ وعود السّلطات التونسية بسلامة وأمن كلّ من يسلّم سلاحه[3]. وضمن هذا السيّاق تجب الإشارة إلى أنّه هنالك بعض القادة الجزائريين الذين رفضوا التخلّي عن أنصار صالح بن يوسف، معتبرين ذلك خيّانة للمبادئ المتّفق عليها، من أمثال القائد "الطالب العربي السّوفي" الذي كان على رأس كتيبة جزائرية مؤلّفة من حوالي 100 ثائر، والذي أعلن معارضته للموقف الذي اتخذته جبهة التّحرير الوطني، حيث ضمّ إليه عدد كبير من المقاومين اليوسفيين أمثال: "الطّاهر بالأخضر الغريبي" و"المبروك زغدود"، ودخل في صائفة 1957 إلى الحنبوب التونسي لمواصلة الكفاح المشترك، ولما علمت السّلطات التونسية بذلك، وجّهت أوامر للسّلطة المحلّية ببني خدّاش ممثّلة في السيّد المعتمد "محمد الصّغير الري" قصد التحفّز والاستعداد لمواجهة الطالب العربي[4].

وللإشارة فقد تمكّنت السّلطات التونسية المدعومة بقوّات المستسلمين الذين كانوا من أنصار اليوسفية بالأمس[5]، من تطويق ومحاصرة كتيبة القائد الطالب العربي، الأمر الذي دفع بأغلب عناصرها إلى الاستسلام، حيث أُعدم رفيق الطالب العربي "المبروك زغدود" دون محاكمة، كما استشهد الطالب

---

[1] – محمد الصيّاح، الحبيب بورقيبة يؤسّس الدولة الجديدة، دار العمل، تونس، 1984، ص 169.

[2] – Mabrouk, Belhocine, op.cit,p180.

[3] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 189.

[4] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص138.

[5] – تذكر بعض المصادر التّاريخية أنّ فرقة الطّالب العربي اضطرّت إلى الاستسلام، بعد أن تمكّنت القوّات التونسية التي يشرف عليها القائد علي بن أحمد المهداوي –أحد أبرز قادة الحركة اليوسفية بالأمس– من تطويقها ومحاصرتها، كما أنّ الظّروف الطبيعية المتمثّلة في ارتفاع الحرارة خلال شهر جوان، لم تساعد فرقة الطالب العربي على الصّمود بعد أن أخذ منها العطش مأخذا عظيما. أنظر: حمد الهادي بوغزالة، مسيرة شاهد على الكفاح والثورة (مذكّرات)، ط1، منشورات ملحقة متحف المجاهد، مطبعة سفري، ولاية الوادي، 2012، ص 41.

العربي في نهاية 1957[1]، بعدما أكّد رفقة أنصاره عن وفائه للثورة الجزائرية من خلال التزامه بخطّها الثوري المغاربي ورفضه للأعذار السيّاسية الواقعة. هكذا يتّضح لنا استمرار التّحالف بين مجاهدي وادي سوف والثوّار اليوسفيين قويّا إلى غاية صيف 1957، ورغم انتهاء التّحالف الضّمني فإنّ صالح بن يوسف المعارض في القاهرة كان يصبغ بأفكاره وآرائه ومواقفه تحالفًا سيّاسيّا مع الثورة الجزائرية، خاصّة وأنّ زلات السيّاسة البورقيبية كانت تزيد في شعبيته وتحدّر خياره الثوري[2].

إنّ قراءتنا في مسيرة النّضال لجيش التّحرير التونسي وجيش التّحرير الجزائري، جعلتنا نقرّ باجتماع إرادتهما على المضي قدما في مشروع كفاح المغرب العربي الموحّد، غير أنّ هذا المشروع قد اعترضته صعوبات كثيرة، تمثّلت بالأساس في ضعف جيش التّحرير التونسي بعدما استسلمت فرقه تبّاعا، كما أنّ اضطرار قادة الثورة الجزائرية إلى التّعامل مع السّلطات الحكومية في تونس قد ساهم عرقلة التّنسيق بين الجيشين، لتظهر بذلك بدائل أخرى بدت أنها مقبولة في الواقع، بحكم إفادتها في تجسيد استقلال تونس وتقوية نفوذ الثورة الجزائرية على أراضيها، غير أنّ الذي لا يمكن إنكاره بتاتا هو أنّ تجربة جيش التّحرير التونسي قد عمّقت بحقّ الشعور بالتّضامن المغاربي، كونها أرست علاقات وطيدة مع الثورة الجزائرية.

4- مظاهر دعم اليوسفيّون للثورة الجزائرية.

لقد التفّ التيّار الوطني المؤمّن بوحدة النّضال والمصير في تونس حول إخوانهم عرب الجزائر، وشاركوهم مسؤوليّة النّضال حين اندمجوا في كفاهم اندماجا كليّا إيمانا منهم بوحدة المصير المشترك. نُرى: فيما تمثّلت مظاهر الدّعم والمساندة التي تلقّتها الثورة الجزائرية من التيّار الوحدوي العروبي الذي يمثّله اليوسفيون في تونس؟.

---

[1] – حمد الهادي بوغزالة، المصدر السّابق، ص 42.

[2] – عبد الله مقلاتي، المرجع السّابق، ص ص 335 .336.

4-1- التحاق اليوسفيين ومشاركتهم في الثورة الجزائرية.

لقد أدرك اليوسفيون قيمة الثورة الجزائرية وأهميّة المشاركة فيها، خاصّة بعدما اقتنعوا بأنّ تحرير الجزائر هو تحرير لتونس أيضا، وهو ما عبّر عنه الزّعيم صالح بن يوسف حين قال: « إنّ ضمان استقلال تونس مشروط باستقلال الجزائر، لذا فإنّ مواصلة الكفاح إلى جانب الثورة الجزائرية هو الضّمان الفعلي للاستقلال»[1]. فعلى هذا الأساس تمّ التحاق العديد من مقاومي الحركة اليوسفية بالثورة الجزائرية إيمانا منهم بتوحيد الجهود لتحقيق الاستقلال التّام.

ومن أهمّ الشّخصيّات اليوسفية البارزة التي ساهمت بصورة مباشرة في الحركة التّحريرية للجزائر نذكر: صالح بن يوسف، الطّاهر لسود، الطيّب الزلاق، عبد العزيز شوشان، الطّاهر بن لخضر الغريبي، محمد قرفة، الزّين بن عبد الله العبيدي، حسين التريكي، عمر بن حميدة، عبد الله البوعمراني، علي درغال، محمود بن حسونة الزيدي، عبد اللّطيف زهير ...[2]. وسنقتصر في هذا العنصر على دراسة بعض النّماذج من هذه الشّخصيات، مسلّطين بذلك الأضواء على المقاومين الذين شاركوا مشاركة ميدانيّة في الثورة الجزائرية.

- **الطّاهر لسود:**

هو الطّاهر علي لَسود[3] بن محمد الصّالح اليزيدي الخرّيجي، ولد بريف الحامّة (الهوّاري) سنة 1911، والتحق منذ صغر سنّه بكتّاب الحيّ، أين تعلّم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن الكريم، كما تدرّب على ركوب الخيل والرّماية واستعمال السّلاح في الصّيد، ولما بلغ التّاسعة عشر من عمره استدعي للخدمة العسكرية سنة 1930، حيث بقيّ بالجندية مدّة ثلاث سنوات ثم عاد إلى الحامّة سنة 1933، لينخرط في الحزب الحرّ الدستوري قبل انقسامه ثم في الحزب الحرّ الدستوري الجديد

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيّون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 92 .

[2] – عميرة عليّة الصغير، جيش التّحرير الوطني بتونس، الملتقى الدوّلي حول نشأة وتطوّر جيش التّحرير الوطني (1954 – 1962)، فندق الأوراسي أيّام : 02 ، 03 ، 04 جويلية 2005، ص 11. (مداخلة أمدّني بها الأستاذ عميرة عليّة الصغير).

[3] – نقول لَسود وليس الأسود حسب ما أفادني به الأستاذ عميرة عليّة الصّغير، وهو ما أكّده أيضا الباحث الهادي وناس الزريبي، حيث ذكر أنّ والد الطّاهر "السّي علي" كان معروف بشقرته وصفاء بشرته، وكان يُنعت بـ "لَسود" لاتّقاء العين مثلما جرت عليه عادة العرب من قديم الزّمان، وهذا ما يُعرف في اللّغة العربية الفصحى بأسماء الأضداد، إذ يُسمّى الشّيء بضدّه لأسباب مختلفة كالتيمّن وإبعاد العين، أمّا اللّقب الحقيقي للعائلة فهو "المنصر". أنظر: الهادي وناس الزريبي، المرجع السّابق، ص 24 .

بعد ذلك[1]، وقد أبدى الطّاهر لسود أثناء نضاله السيّاسي ميولات كبيرة نحو استعمال الكفاح المسلّح لطرد الاستعمار، لذلك كان من الأوائل الذين صعدوا إلى الجبل للمقاومة في شهر جانفي 1952، ليصبح من أبرز قادة المقاومة التونسية التي استمرّت إلى غاية تسليم السّلاح في ديسمبر1954[2] .

لقد رفض الطّاهر لسود وفرقته التي كانت تتكوّن حينذاك من حوالي 70 مقاتلا، تلبيّة نداء تجريد الثوّار من أسلحتهم، معتبرين ذلك خيّانة كبرى للقضيّة الجزائرية وتنكّرا لمبادئ الحزب الدستوري الجديد، خاصّة بعدما علموا بنيّة فرنسا في الانفراد بالثورة الجزائرية في حالة ما إذا ألقى الثوّار التونسيون أسلحتهم، وهو ما كشف عنه الطّاهر لسود حين قال: «كيفاش خوك يضربو فيه، وتمشي وتخلّيه آش تسمّيها هذه، ماتسمهاش خيّانة!؟ ».

وحسب ما ذكره الطّاهر لسود، فإنّ الثوّار الجزائريين قد راسلوه بعدما علموا بموقفه هذا وهو في تونس، مؤكّدين دعمهم له بحوالي 400 جندي، غير أنّ الطّاهر لسود فضّل عدم دخولهم إلى الحدود التونسية باعتبار أنّه كان قد قرّر الالتحاق بالثورة الجزائرية، وهو ما تمّ بالفعل، حيث التحق هو وفرقته بالثوّار الجزائريين في جبال الأوراس، أين ظلّوا مدّة شهرين تقريبا يقاومون الاستعمار إلى جانب إخوانهم الجزائريين، إيمانا منهم بأنّ محاربة الاستعمار ليست محدّدة بمكان معيّن، بل أينما كنت فعليك القيّام بالواجب المقدّس المتمثّل في التحرّر من هيمنة وظلم الاستعمار[3].

وقد برّر الطّاهر لسود في حديث له مع الباحث الجزائري الدكتور محمد قنطاري، عمليّة التحاقه بالثورة الجزائرية قائلا: «... أعطينا عهدا على متابعة الكفاح المشترك لبلدان المغرب العربي إلى غاية حصولها على الاستقلال التّام، وأن لا نضع الأسلحة مهما كانت الظّروف، وهو سبب الخلاف الذي وقع بيني وبين بورقيبة في قبوله بالاستقلال على مراحل وترك الجزائر وحدها في المعركة، حيث أنّني لم اعترف بذلك وتابعت جهادي إلى ما بعد الاتّفاق التونسي الفرنسي على الاستقلال، فدخلت بوحداتي القتاليّة إلى الجزائر بجهة الأوراس النمامشة لمتابعة جهادي ضدّ القوات الفرنسية إلى جانب

---

[1] – عروسية التّركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، المرجع السّابق، ص 79 .

[2] – عميرة عليّة الصغير، في التّحرر الاجتماعي والوطني. فصول في تاريخ تونس المعاصر، ط1، المغاربية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، 2010 ، ص 186 .

[3] – شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

إخواني الجزائريين، لكن الظّروف القاسيّة والوضعيّة المؤسفة آنذاك لم تسمح لي بمتابعة الكفاح حتى استقلال الجزائر...»[1].

وللإشارة، فقد لقيّ الطّاهر لسود خلال فترة وُجوده بالجزائر معاملة حسنة من طرف الثوّار الجزائريين، لدرجة أنهم أرادوا إلحاقه بالهيأة العليا للقيّادة المشرفة على تسيير الثورة، غير أنّه رفض ذلك مفضّلا الجهاد في الميدان مثله مثل بقيّة المجاهدين الآخرين، وفي هذا الصّدد يقول: « عندما جئت إلى الجزائريين بجبال الأوراس طلبوا مني البقاء معهم، وقالوا لي أنت من الهيأة العليا لثورتنا، لكنّني وضّحت لهم بأنّني لست قادما لإحداث المشاكل، وإنما جئت لأكون واحدا من الجنود، وبعد نقاش طويل سلّموا إلي عشيرة سوق أهراس، وبقيت قائدًا عليها طيلة إقامتي هناك»[2]. كما اعترف الجزائريون خصوصا ممّن ساهموا في صنع تلك الأحداث التّاريخية، بفضل الطّاهر لسود وبالجهود التي بذلها رفقة فصائله خلال الثورة الجزائرية في سبيل تحقيق الاستقلال، إذ يقول في هذا الشأن الرّائد عثمان سعدي بن الحاج: « ... لقد جاهد معنا الكثير من المقاومين التونسيين من أمثال علي الهمّامي، وعبد الله البوعمراني والطّاهر لسود...، إنّني أؤكد أنّ الدّم التونسي اختلط مع الدّم الجزائري في ملحمة ثورية مشتركة عظيمة على الحدود بين البلدين »[3].

وبعد عودته إلى تونس، تولّى الطّاهر لسود القيّادة الفعلية "للثورة الثانية" التي امتدّت من أواخر 1955 إلى صائفة 1956، حيث ظلّ خلال هذه الفترة متنقّلا من الجزائر إلى تونس وإلى طرابلس وحتى القاهرة، منسّقا بذلك أعمال الثورة مع رفاقه أحمد بن بلّة عن جيش التّحرير الجزائري والدكتور عبد الكريم الخطيب عن جيش التّحرير المغربي، تحت إشراف مصر ممثّلة في شخص الضّابط فتحي الديب. وكانت له عدّة وقائع ومعارك حربية أشرف عليها في إطار النّضال المشترك والتّنسيق لتحرير تونس والجزائر، حيث استشهد تحت قيّادته المئات من التونسيين والجزائريين خلال المعارك التي

[1] – محمد قنطاري، هجمات أول أكتوبر 1955 بالقطاع الوهراني، جريدة الشعب، العدد 10195، 04 أكتوبر 1993، ص 05 .

[2] – شهادة الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق .

[3] – عثمان سعدي بن الحاج، المصدر السّابق، ص 60 .

خاضتها فصائله بالمنطقة الممتدّة من جبال خمير في الشّمال إلى جبال قفصة والجريد وبني خدّاش ومطماطة في الجنوب[1].

لقد كان للطّاهر لسود دور كبير في تموين الثورة الجزائرية بالسّلاح من خلال إشرافه على تسلّم السّلاح المهرّب من ميناء الإسكندرية إلى الشاطئ اللّيبي، ثم نقله إلى مخزن "التّشوين" بزوارة ليتمّ توزيعه على فرق متكوّنة من عناصر جزائرية وأخرى تونسية تسهر على تهريبه بداخل التّراب التونسي، حيث يتزوّد جيش التّحرير التونسي بما يحتاجه من أسلحة، بينما يتمّ تسريب الجزء المخصّص لجيش التّحرير الجزائري عبر قفصة باتّجاه الأوراس[2]. هكذا يتّضح لنا أنّ الطّاهر لسود قد كان بالفعل رجل ميدان، يؤمن بالكفاح المسلّح كأداة لتحقيق الاستقلال التّام، غير أنّه فضّل الاستسلام بعد الإعلان عن استقلال تونس، رافضا بذلك الاقتتال من أجل مصلحة بعض الأفراد على حساب الآخرين، مفضّلا العيش في منفاه الاختياري بالرّوحية (منطقة بعيدة توجد بجهة سليانة) إلى أن وافته المنيّة في يوم 20 مارس 1996 الذي يصادف الذكرى الأربعين للاستقلال[3].

- **الطيّب الزلاق:**

يعرف بالزلاق، وهو الطيّب بن عمارة بوعديلة المنّاعي، من مواليد سنة 1916 بحكيم، بوادي مليز قرب عين دراهم من عائلة تنتمي إلى وسط فلاحي فقير، اشتغل بالسّكة الحديدية ثم نُوديّ للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي سنة 1938، فشارك ضمن هذا الجيش في وقائع الحرب العالمية الثّانية، ولما اندلعت المقاومة المسلّحة بتونس مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، انخرط في صفوفها وأصبح من أبرز قادتها في المنطقة الممتدّة من غار الدّماء إلى شمال عين دراهم[4]، وإذا كان الطيّب الزلاق قد استجاب لنداء تسليم السّلاح في شهر ديسمبر 1954 بضيعة محمود ياسين بوادي مليز[5]، فإنّه قد عاد مجدّدا مع مطلع جانفي 1956 إلى رفع السّلاح في إطار المعارضة اليوسفية

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، في التحرّر الاجتماعي والوطني، المرجع السّابق، ص 187 .

[2] – عروسية التّركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، المرجع السّابق، ص 95 .

[3] – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954–1975)، المرجع السّابق، ص 120.

[4] – عميرة عليّة الصغير، الطيّب الزلاق. مسار مقاوم، المرجع السّابق، ص 338 .

[5] – محمد حبيب الموهلي، المصدر السّابق، ص 203 .

لاتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي في تناغم وتنسيق مع الثوّار الجزائريين، من أجل إنجاز استقلال حقيقي تحت راية العروبة والإسلام والتّحرير الشّامل للمغرب العربي[1].

هكذا اختار الطيّب الزلاق الانخراط في الأمانة العامّة وخوض غمار المقاومة المسلّحة بالتّنسيق مع ثوّار الجزائر، ويبدو أنّه التحق بمجموعة من الثوّار الجزائريين بمعيّة أربعة رجال أصيلي وادي مليز[2]، حيث تذكر وثائق المصلحة التّاريخية لجيش البرّ الفرنسي أنّ مجموعة الزلاق كانت تضمّ في مرحلة أولى تونسيّين فقط، ثم تحوّلت في مرحلة ثانيّة لتصبح مجموعة تونسية جزائرية يقودها الجزائري أحمد الشريف، وتُشير ذات الوثائق إلى دور مجموعة الزلاق في تمويل جيش التّحرير الجزائري بالأموال التي كانت تجمعها من منطقتي غار الدّماء وبوخزارة لصالح الثورة الجزائرية. كما تُقدّم تقارير أخرى معلومات أكثر تفصيلا عن المجموعة المشتركة التونسية الجزائرية، وتتعلّق خاصّة بالعدد التّقريبي للمقاتلين الموجودين بها والزّمر المكوّنة لها، ومن خلالها (التّقارير) يبدو أنّ المجموعة كانت تضمّ حوالي 60 مقاتلا تم تقسيمهم إلى أربع مجموعات تخضع لقيّادة كل من الجزائري أحمد الشريف والتونسي الطيّب الزلاق، حيث كانت المجموعتان الأولى والثانية تضمّ كل منهما 10 جزائريين و05 تونسيين، بينما تضمّ المجموعتان الثالثة والرّابعة معًا 15 تونسيا[3]، وذكرت مصادر أخرى أنّ مجموعة الزلاق كانت تضمّ حوالي 50 مقاتلا أغلبهم من الجزائريين، وقد نشطت هذه المجموعة بعدّة مناطق مثل عين دراهم وغار الدّماء خاصّة في نواحي أولاد سديرة وبوخزارة وجبل الأحريش القريب من سوق الأربعاء والمناطق المحاذيّة له[4].

لقد ظلّ الطيّب الزلاق يُقاوم بالسّلاح ضمن مجموعة من المجاهدين التونسيين والجزائريين بقيّادة الجزائري أحمد الشّريف، وبعد أسر هذا الأخير من طرف قوّات الجيش الفرنسي في 13 مارس 1956[5]، خلفه القائد بن ضو الذي ظلّ هو الآخر متنقّلا رفقة الطيّب الزلاق وحلفائهم من المقاومين

---

[1] – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954 – 1975)، المرجع السّابق، ص 130.

[2] – عميرة عليّة الصغير، الطيب الزلاق. مسار مقاوم، المرجع السّابق، ص 346 .

[3] – S.H.A.T, Série 2H, Carton 2h 319, Bobine S 503, Dossier n°01, p p 198. 204.

[4] – Le petit matin, 29 Janvier 1956, p 03.

[5] – Le petit matin, 14 Mars 1956, p 01.

01

من عين دراهم شمالا إلى تالة وتاجروين جنوبا، ومن تونس إلى الجزائر ومن الجزائر إلى تونس[1]، غير أنّ هذا الوضع لم يستمرّ طويلا خاصّة بعدما كلّفت السّلطات التونسية محجوب بن علي الجميلي (من أنصار بورقيبة) بملاحقة مجموعة الطيّب الزلاق[2].

وأمام تضييق الخناق عليه من طرف السّلطات التونسية وقوّات الجيش الفرنسي، اضطرّ الطيّب الزلاق إلى تسليم نفسه، رفقة 07 مقاومين من مجموعته ليلة 07 ماي 1956 بضواحي سيدي مسكين، بعد أن رتّب ذلك مع رئيس شعبة حكيم الدستورية[3]، ليمثّل بعد ذلك أمام محكمة القضاء العليا يوم 21 جويلية 1956، التي حكمت عليه بالإعدام متّهمة إيّاه بالخيّانة والتمرّد، وهو الحكم الذي نُفّذ في حقّه صبيحة يوم 28 جويلية 1956[4].

- **عبد العزيز شوشان:**

أصيل القلعة الكبرى بالسّاحل التونسي، وهو من مواليد سنة 1928، درس بالصّادقية ثم اشتغل كاتبا بمحكمة سوسة، لينخرط فيما بعد في النّضال الوطني من خلال انتسابه إلى الحزب الدستوري الجديد[5]، وقد لعب دورا هامّا في المقاومة المسلّحة كونه كان يتولّى مهمّة التّنسيق بين مقاومي الشّمال والسّاحل، ولما تمّ القبض عليه من طرف السّلطات الاستعمارية، فإنّه استطاع الفرار من السّجن واللّجوء إلى طرابلس سنة 1953 لمواصلة المقاومة من هناك[6]، حيث انظمّ إلى مكتب الحزب الحرّ الدستوري الجديد بشارع الرّشيد الذي كان يُشرف عليه المناضل التونسي علي الزليطني[7].

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، الطيب الزلاق. مسار مقاوم، المرجع السّابق، ص 347.

[2] – عبد الحميد الهلالي، سكّان سهول مجّردة العليا وجبال خمير بين تصفيّة الاستعمار والتّواصل مع الثورة الجزائرية (1954– 1962)، مجلّة روافد، العدد 10، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، جامعة منوبة، 2005، ص 253.

[3] – عبد الحميد الهلالي، جندوبة (1881–1956). علاقة الحركة الوطنية بالأرياف، المرجع السّابق، ص 413.

[4] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 140.

[5] – عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، المرجع السّابق، ص 212.

[6] – شهادة المناضل محمد بن الطيّب إدريس، ضمن كتاب عبد الحميد العلاني، المرجع السّابق، ص 390.

[7] – محمد حفظي الزليطني، الزّعيم علي الزليطني. سيرة ونضال. المناضل الذي كافح من أجل الاستقلال فلمّا جاء الاستقلال وجد وجد نفسه في غياهب السّجن، تحقيق: فوزية محمد حفظي الزليطني، منشورات MIP، تونس، (د .ت)، ص 127.

وأثناء الخلاف اليوسفي البورقيبي، انحاز عبد العزيز شوشان إلى صفّ صالح بن يوسف وساهم من موقعه بصفته المعين المباشر لبن يوسف في التّنسيق بين المقاومين التونسيين والجزائريين، حيث ساعد المناضل أحمد مهساس على تأمين عمليّات تهريب السّلاح الموجّه للثوّار الجزائريين[1]، وعن دعمه (شوشان) للثورة الجزائرية وعلاقته بمناضليها يقول المناضل بشير القاضي في شهادته: « لقد كان الأخ عبد العزيز شوشان من أكثر العناصر الموجودة في مكتب الحزب بطرابلس رغبة وحماسة في التّعاون معنا، وكانت علاقته مع بن بلّة ثم معي من أحسن ما يُقال »[2]، إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على إخلاص هذا المناضل ووفائه للثورة الجزائرية. وللإشارة فقد حُكم عليه مثل غيره من اليوسفيين بالإعدام غيّابيا، فلجأ إلى الجزائر ولم يعد إلى تونس إلا في أواخر السّبعينيات بعدما عفا عنه بورقيبة، حيث اشتغل بالتّجارة ثم انتخب نائبا بمجلس النوّاب[3]، وظلّ حسب ما ذكره الأستاذ عبد الحميد الهلاني مفضّلا السّكوت عن أحداث الثورة الثانية، معتبرا الحديث عنها من الأمور الخطيرة، وهو ما نلمسه من خلال تساؤله مع محاوره الهلاني قائلا: « ما دفعك على أن تدخل يدك في مغارات خطيرة»[4]. تُوفي عبد العزيز شوشان بتونس في أفريل سنة 2000[5].

إضافة إلى ما سبق، فقد اشترك العديد من المقاومين اليوسفيين من أمثال الطّاهر بن لخضر الغربي ومحمد قرفة وعمّار بني (الهمامي) وعلي درغال ...، مع إخوانهم الجزائريين في عدّة معارك ضدّ الاستعمار الفرنسي على طول الحدود الجزائرية التونسية[6]، كما ساهم المقاوم اليوسفي الزّين بن لسود بن عبد الله في جمع التبرّعات والضّرائب لفائدة الثورة الجزائرية، هذا فضلا على قيّامه بحملات الدّعاية لتجنيد المتطوّعين من السّوافة المتواجدين بكثرة بجهة الرديف والجريد في صفوف جيش التّحرير الجزائري[7]. ومثلهم أيضا قرّر المناضل التونسي علي عوايدة (من مدنين) الالتحاق بالثورة الجزائرية في

---

[1] – فتحي الديب، المصدر السّابق، ص ص 126. 129. (بتصرّف).

[2] – شهادة المقاوم بشير القاضي، المصدر السّابق، ص 173.

[3] – عميرة عليّة الصغير، في التحرّر الاجتماعي والوطني. فصول من تاريخ تونس المعاصر، المرجع السّابق، ص 183.

[4] – شهادة عبد العزيز شوشان، ضمن كتاب عبد الحميد الهلاني، المرجع السّابق، ص 545.

[5] – عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، المرجع السّابق، ص 21.

[6] – عثمان سعدي بن الحاج، المصدر السّابق، ص.ص 56. 57.

[7] – عميرة عليّة الصغير، في التحرّر الاجتماعي والوطني. فصول من تاريخ تونس المعاصر، المرجع السّابق، ص 190.

شهر ديسمبر 1955، حين انظمّ إلى فرقة جبّار عمر بسوق أهراس مشاركا إيّاها في عدّة هجمات على الجيش الفرنسي، ثم التحق بفرقة أخرى يقودها الجزائري محمد لخضر، وظلّ يقاتل بصفوفها إلى أن أسر من قبل الجيش الفرنسي في مارس 1956، بحيث لم يُطلق سراحه إلا في 19 نوفمبر 1959 في إطار تبادل الأسرى بين التونسيين والفرنسيين[1].

وقد تحدّثت تقارير الجيش الفرنسي عن زيّادة المتطوّعين التونسيين المتوجّهين إلى الجزائر من داخل تونس، وهم في الغالبيّة من أتباع المعارضة التي يقودها الزّعيم بن يوسف، حيث ذكرت (التّقارير) أنّ أربعة أشخاص تونسيين من وادي مليز قد أدّوا القسم للالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية، وهم حمزة بن الشّريف بن أحمد وعمارة بن يوسف بن إبراهيم، وشابّان تونسيّان ينتميّان إلى الحزب الدستوري لم تُذكر أسماؤهما. كما ألقت فرقة الجيش الفرنسي المرابطة على الحدود في 16 أوت 1956، القبض على أربعة ثوّار مستعدّين لاجتيّاز الحدود بصورة سرّية للالتحاق بالثورة، وهم محمد السّعيد بن حميدة (جزائري) وثلاثة تونسيين تمّت تهيئتهم من طرف بن حميدة للقتال في الجزائر[2].

ودون الاستطراد في ذكر المقاومين اليوسفيين الذين ساهموا في نُصرة الثورة الجزائرية، يمكننا القول أنّ التيّار الوطني الوحدوي في تونس، قد تحمّل من جرّاء تأييده لكفاح الجزائريين العديد من التّضحيات والآلام، إذ تُقدّر المصادر التّاريخية عدد الشّهداء من الوطنيين التونسيين الذين استشهدوا لأجل القضية الجزائرية من أواخر 1955 إلى سنة 1958 بأكثر من مائة شهيد إلى جانب ألف ومائتي مناضل مسجون[3].

هكذا إذا، ساهمت هذه العيّنة من الوطنيّين التونسيّين المؤمّنين بضرورة توحيد الكفاح المسلّح لتحرير المغرب العربي، في معركة التّحرير التونسي والجزائري، مدفوعين في ذلك بروح الشهادة والوطنية والقناعة بأنّ قضيّة الجزائر هي قضيّتهم أيضا، ذلك أنّ تحرير الجزائر هو السّبيل الأمثل عند غالبيّتهم لضمان استقلال تونس.

---

[1] – شهادة الرّائد عمّار ملاح القائد الميداني لحركة 14 ديسمبر 1967، جريدة الشرق اليومي، العدد 3440، الاثنين 10 أكتوبر 2011، ص 10

[2] – حبيب حسين اللّولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج2، ط1، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 86. 89 . (بتصرّف) .

[3] – محمد زروال، اللّمامشة في الثورة ،ج2، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2003، ص 400.

4-2- اليوسفيون ومسألة تهريب الأسلحة إلى الجزائر :

في شهر جانفي 1956، انعقدت جلسة سرّية دامت ثلاث ساعات بين وزير الدّاخلية التونسي السيّد "المنجي سليم" ومدير مصالح الأمن الفرنسي بتونس "جون فرانس"، وخلالها تمّ اتّخاذ قرار ملاحقة صالح بن يوسف وأتباعه[1]، غير أنّ هذا الأخير تمكّن من الفرار إلى مصر عبر ليبيا، التي كان قد سبقه إليها بقليل المناضل الطّاهر لسود، وهنالك رافقهما الضّابط فتحي الديب لمقابلة جمال عبد النّاصر وقادة الثورة الجزائرية الخمسة الذين كان من بينهم أحمد بن بلّة ومحمد خيضر، حيث تمّ الاتّفاق بين هذه الأطراف -مثلما أشرنا سابقا- على مواصلة الكفاح، بعد أن تمّ تشكيل اللّجنة الثورية لتحرير الشّمال الإفريقي، على أن تتولى مصر مسؤوليّة توفير السّلاح اللازم لذلك[2].

ولأجل ضمان إيصال الأسلحة التي تعهّدت مصر بتوفيرها للمقاومة المسلّحة التي سيخوضها الجيشان التونسي والجزائري في إطار معركة تحرير المغرب العربي، سعى بن بلّة إلى التّنسيق مع صالح بن يوسف وممثّله بليبيا السيّد عبد العزيز شوشان[3]، حيث اتّفق مع صالح بن يوسف على تزويده بالسّلاح بحكم أنّ المقاومين التونسيين سيشاركون في عمليّات تهريب السّلاح إلى الجزائر، كما سافر بن بلّة إلى ليبيا من أجل التّنسيق مع القائم قام عبد الحميد درنة للاتّفاق على تفاصيل عمليّات الإنزال والنّقل[4]، هذا بعد أن تمّ تجنيد مجموعة من الخبراء بمسالك الصّحراء والتّهريب من عناصر المقاومين للقيّام بهذا الدّور الذي مهّد له المناضل التونسي عبد الله العبعاب بتكليف من صالح بن يوسف وعلالة البلهوان[5]. تُرى: كيف كان يتم تهريب السّلاح للجزائر؟، وما هو دور مقاومي الحركة اليوسفية في ذلك؟.

---

[1] - Mohammed sayah, op.cit, p53.

[2] - شهادة الطّاهر لسود ، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[3] - Mohammed Lebjaoui, Vérités sur La révolution Algérienne, Editions Gallimard, S.L, 1970, p p 127.130 .

[4] - بوبكّر حفظ الله، التّموين والتّسليح إبّان ثورة التحرير الجزائرية (1954 – 1962)، طاكسيج كوم للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010، ص 231.

[5] - عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 176.

تكلّفت مصر خلال معركة التّحرير التي خاضها الجيشان التونسي والجزائري بتوفير السّلاح الذي كان يقع شحنه من ميناء الإسكندرية نحو السّواحل اللّيبية عبر الجبل الأخضر، إلى أن تستلمه القيّادة العليا لجيش تحرير شمال إفريقيا التي تقوم بتخزينه في مستودعاتها الموجودة بالنّاحية الغربيّة من التّراب اللّيبي قرب الحدود التونسية[1]، وبالضّبط في قاعدتي بني غشير (Ghechir) والعسّة (Assa)، الواقعتان على بعد 12 كلم عن حدود تونس[2]. وبعد ذلك يتمّ توزيعه في أقرب وقت على فرق مؤلّفة من7 إلى 8 أفراد يعرفون طرق المنطقة ومسالكها بصفة جيّدة، لتتولى مهمّة إيصاله إلى التّراب التونسي بمساعدة السّلطات اللّيبية[3]، وبذلك تكون عمليّة شحن ونقل الأسلحة مشتركة بين الجزائريين والتونسيين بمساعدة اللّيبيين، في حين يتولى كل من الطّاهر لسود وابن أخيه البشير وأحمد بن بلّة مسؤولية تمرير الأسلحة إلى تونس[4].

وللإشارة، فإنّ عمليّات نقل الأسلحة إلى التّراب التونسي، كانت تتمّ نهارا في المناطق البعيدة عن الحدود اللّيبية التونسية وليلا في المناطق القريبة من الحدود[5]، إذ تُحمل الأسلحة والذّخيرة المهرّبة على ظهور الجمال التي تسير برعاية مجموعة من المقاومين التونسيين والجزائريين، وعند وصولها إلى المناطق الحدودية بين تونس وليبيا، تتوقّف الفرق لبعض الوقت بضواحي المشيقيق أو الجبل الأبيض لتتوزّع من جديد في شكل أفواج صغيرة، يضمّ كل واحد منها ثلاثة جمال يشرف عليها 10 مقاومين بمساعدة المرشدين التونسيين لقطع الطّريق إلى داخل تونس، حيث يسلك كل فوج عند اجتيازه

---

[1] – أحمد منصور، الرئيس أحمد بن بلّة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، ط1، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2007، ص 100.

[2] – Amira Aleya Sghair, Les Tunisiens et la révolution algérienne (1954-1958), In Acte du 1 Congrès du Forum d'histoire contemporaine, sur méthodologie de l'histoire des mouvement nationaux au Maghreb, publication de F.T.R.S.I, Tunis, 1998, p112.

[3] – لقد أشاد المناضل أحمد مهساس بالدّور الكبير الذي لعبته ليبيا (حكومة وشعبا) في تسهيل عمليّات نقل وتهريب السّلاح إلى الجزائر قائلا: « ...لولا اللّيبيّين، لما تمكّنا من تمرير قطعة سلاح واحدة إلى الجزائر، ولحسن الحظّ كان لديهم (اللّيبيين) رئيس وزراء جيّد، يعطينا شاحنات لنقل السّلاح من الحدود المصرية إلى غاية طرابلس، ثم ننقله من تمة إلى الجزائر عبر تونس...، لقد قدّموا لنا كل ما يملكون، تركونا نستعمل أرضهم وهم تحت سلطة جيوش الحلفاء، والشعب اللّيبي كان يؤيّدنا بشكل مطلق... ». أنظر: شهادة المناضل أحمد مهساس. جريدة الخبر، العدد 5169، الاثنين 02 مارس 2013. ص ص 12 13.

[4] – Amira Aleya Sghair, op.cit, p 113.

[5] – Ibid, p 114.

للحدود طريقا غير الطّريق الذي سلكه الفوج السّابق، ويسير بيقظة وحذر تجنّبا للدّوريات الفرنسية ورجال السّلطة من البورقيبيين[1].

ومن أهمّ الطّرق الرّئيسية التي كانت تسلكها هذه الأفواج للتوغّل في التّراب التونسي نذكر:

- طريق السّاحل التي تخترق المستنقعات باتّجاه واحة بن قردان.
- الطريق الضيّق الأكثر استعمالا الذي يمرّ حذو التّلال الحجرية لجبال مطماطة، وهو عبارة عن مسالك ضيّقة تتخلّلها الصّخور والمنعرجات الجبليّة التي لا تترك لخفاف الإبل أيّ أثر.
- طريق عبر النّاحية الجنوبية باتجاه تطاوين.
- طريق أقصى جنوب غدامس[2].

فعبر هذه الطّرق، كانت تتوغّل قوافل السّلاح القادمة من ليبيا بداخل التّراب التونسي لتلتقيّ في "الحامّة"، التي تحوّلت حسب ما ورد في التّقرير السرّي للقوّات الفرنسية بالجنوب إلى مركز هام لتجميع الأسلحة وإلى نقطة أساسيّة لتوزيع السّلاح نحو الشّمال ونحو الجزائر[3]. وبعدما يتزوّد جيش التّحرير التونسي بما يحتاجه من أسلحة، تأخذ الأسلحة المرصودة لجيش التّحرير الجزائري طريقها من مركز الحامّة تجاه الجزائر عبر مسلكين رئيسيين هما :

- الحامّة ثم سكرة، ومنها إلى الشّارب فحذيفة والسّند وقفصة، أين تتحوّل القافلة من حماية المرشدين التونسيين إلى وصاية المرشدين الجزائريين، ومن قفصة تقطع القافلة جنوب تمغزة باتجاه الجزائر، وأحيانا تتّجه شمالا نحو فريانة لتأخذ طريقها النّهائي نحو الجزائر.
- الحامّة باتجاه الجنوب الغربي نحو دوز، ومنها إلى الحدود لتصبح تحت حماية المرشدين الجزائريين الذين يشرفون على إيصالها إلى الجزائر وبالضّبط إلى وادي سوف[4].

---

[1] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 – 1956)، المرجع السّابق، ص 354.

[2] – عروسية التركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، المرجع السّابق، ص 217.

[3] – I.S.H.M.N, Bobine S506, 2H313, Notes de renseignement, le 16 Juin 1956, p2.

[4] – I.S.H.M.N, Bobine S506, 2H313, Commandement supérieur des troupes de Tunisie division Sud, Etat Major 2 Eme Bureau N° 7, le 22 Juin 1956. p 02.

إضافة إلى ما سبق، كانت تُهرّب الأسلحة أيضا مباشرة من التّراب اللّيبي عبر الجنوب التونسي تجاه الجزائر دون مرورها بمركز الحامّة، متّخذة في ذلك عدّة مسالك[1] منها:

– مسلك ينطلق من جربة على الحدود اللّيبية التونسية باتجاه بني خدّاش، ومنها إلى الحدود التونسية الجزائرية تجاه وادي سوف.

– مسلك ينطلق من بن قردان على الحدود التونسية اللّيبية باتجاه بني خدّاش ومنها إلى الحدود التونسية الجزائرية تجاه وادي سوف.

– مسلك ينطلق من وزّان على الحدود اللّيبية التونسية باتجاه الذهيبة التونسية، ومنها إلى تطاوين فبني خدّاش شمالا، ومن هذه الأخيرة نحو الحدود التونسية الجزائرية تجاه وادي سوف[2].

وللإشارة فإنّ قوافل الأسلحة التي كانت تمرّ عبر هذه الطّرق تجاه الجزائر، كانت دائما مؤمّنة من طرف رجال المقاومة التونسية بالرّغم من الصّراع الذي كان قائما آنذاك بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، حيث وجدت القوافل المحمّلة بالسّلاح دعما كافيّا من طرف الحركة اليوسفية[3]، وهو ما أكّده المقاوم التونسي "علي بن حسن بن كريم ظاهري"، حين تحدث عن تهريب السّلاح عبر تونس قائلا: «... كان السّلاح العصري يدخل إلى التّراب التونسي عن طريق الشناذلة، ويخزّن في مخابئ تونسية نهارّا، ثم ينقل ليلا على ظهور الإبل ليهرّبه الجزائريون بإعانة إخوانهم التونسيين من جماعة بن يوسف إلى داخل الجزائر...»[4]. ومثله أيضا أشار المجاهد الحاج "محمد بن فرج بن عمّار السبوعي" في شهادته الشفوية إلى دور مجموعة التّهريب التّابعة للقائد الطّاهر لسود في حماية قوافل الأسلحة المتّجهة نحو الجزائر قائلا: «... أذكر عدّة أسماء: المبروك بن العروسي وهو بن عمّ الطّاهر لسود وحسين بن الجيلاني وجيلاني بن سويدان من الحامّة، والجليلي بشير بن الحاج لخضر وعمر بن الحاج عمّار من بن قردان، وعلي بن لخضر السّوفي أصيل سوف...، هؤلاء الذين كنّا نشترك معهم أنا (محمد بن فرج)

---

[1] – للتعرّف على هذه المسالك أنظر: الملحق رقم 20، ص 237.

[2] – محمد ودّوع، ليبيا والثورة الجزائرية 1954–1962، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2000–2001، ص 197.

[3] – عبد الحفيظ موسم، الإمداد عبر تونس خلال الثورة الجزائرية (1954–1962)، مجلّة الحكمة للدّراسات التّاريخية، العدد 29، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015، ص 18.

[4] – علي بن الحسين بن كريم ظاهري، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 99، الخليدية، 1993. (م.ع.ت.ح.و.ت).

وبن أخي مفتاح في حماية قوافل الأسلحة المهرّبة إلى الجزائر...»[1]. هذا الطّرح يؤكّده أيضا العديد من من المناضلين الجزائريين ممن اعترفوا بدور مقاومي الحركة اليوسفية في تهريب الأسلحة تجاه الجزائر، من أمثال المناضل بشير القاضي الذي يقول في هذا الشأن: « كان المقاومون التونسيون من أفراد جيش التّحرير التونسي يتولّون مهمّة تأمين تمرير الأسلحة إلى الجزائر عبر الجنوب التونسي بأسلحتهم الخاصّة، وقد وصل بهم الأمر في كثير من الأحيان إلى الاشتراك مع إخواننا الذين كانوا يرافقون القافلة من المجاهدين، في عدّة معارك مع الوحدات الفرنسية التي كانت تعترض قوافلنا بالأراضي التونسية »[2] .»[2]

ولعلّه من المستحسن هنا، أن نشير إلى نوع وكمّية الأسلحة والذّخيرة التي كانت تهرّب إلى الجزائر عبر تونس خلال مرحلة التّنسيق بين قادة جيش تحرير المغرب العربي، ففي يوم 21 فيفري 1956 وصلت شحنة من الأسلحة قادمة من مصر إلى السّواحل اللّيبية[3] لتلبيّة احتيّاجات الجبهة الشّرقية بالجزائر، وإمداد جيش التّحرير التونسي بكميّة من السّلاح والذّخيرة لمباشرة عمليّاته، وقد تضمّنت هذه الشّحنة العتاد الحربي التّالي:

[1] – محمد بن فرج بن عمّار السبوعي، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 36، الحامّة، 1993. (م.ع.ت.ح.و.ت).

[2] – شهادة المناضل بشير القاضي، المصدر السّابق، ص 176.

[3] – كان من المقرّر أن تنطلق هذه الشّحنة من مصر يوم 18 جانفي 1956، لكن موعد انطلاقها تأخّر إلى يوم 20 من نفس الشهر، ولم تصل إلى ليبيا إلا في يوم 21 فيفري، والسّبب راجع إلى سوء الأحوال الجوية. أنظر فتحي الديب، المصدر السّابق، ص ص 166. 167.

نوع الأسلحة	كميتها	الجهة المطلوب تزويدها بها
بنادق 7ر92	330	كلّها لتونس
بنادق 303 ر	236	منها 150 للجزائر والباقي لتونس
رشاش (لانكستر)	100	40 للجزائر والباقي لتونس
رشاش فاو 7ر92	23	كلها لتونس
رشاش فيكرز 303 ر	11	كلها للجزائر
مسدّس برتا 9 مللم	50	02 للجزائر والباقي لتونس
وصلات انيرجا ضدّ الدبابات	05	02 للجزائر والباقي لتونس
خزنة لزوم لانكستر	200	توزّع بواقع 02 خزنة لكل رشاش
شريط للفيكزز	40	كلها للجزائر
طلقة 303 ر	20.000	توزّع بالتّساوي بين الجزائر وتونس
طلقة 7ر92	20.000	توزّع بالتّساوي بين الجزائر وتونس
طلقة 9 مللم لانكستر	20.000	200 للجزائر والباقي لتونس
قنبلة يدوية	500	200 للجزائر والباقي لتونس
طلقة 9 مللم للمسدّس	600	كلها لتونس
قنبلة انيرجا ص/د	200	100 لتونس و100 للجزائر[1]

وخلال النّصف الثّاني من شهر مارس 1956، وصلت كمّية أخرى من الأسلحة والذّخيرة إلى الأراضي اللّيبية مخصّصة لتزويد جيش التّحرير التونسي بأكبر قدر من احتيّاجاته، مع تزويد جبهة الجزائر الشرقية بالأوراس وسوق أهراس بما تحتاجه من سلاح لدعم قدراتها النّضالية، وقد تضمّنت هذه الشّحنة العتاد الحربي التّالي:

[1] – فتحي الديب، المصدر السّابق، ص 167 .

العتاد الخاص بالجزائر			العتاد الخاص بتونس	
نوع السّلاح	كمّيته		نوع السّلاح	كمّيته
بنادق 303 ر	65		بنادق 7ر92	309
رشاش فيكرز متوسط 303 ر	10		بنادق 303 ر	21
رشاش لانكستر	30		رشاش لانكستر	59
قنبلة يدوية	216		رشاش فاو	16
خزنة لانكستر	60		قنبلة يدوية	648
طلقة 9 مللم	6000		مسدّس برتا 9 مللم	50
خزنة للفكيرز	20		قنبلة انيرجا ضدّ الدبابات	21
تمّ تسريب هذه الكمّية على شكل دفعتين خلال الفترة الممتدّة من 22 مارس إلى 25 مارس 1956.			وصلات انيرجا	05
			طلقة 7ر92	13.000
			طلقة 9 مللم للرشاش	37.000
			طلقة 9 مللم للمسدّسات	2000
			صناديق الدّيناميت	09
			تمّ تسريب هذه الكمية على شكل أربع دفعات خلال الفترة الممتدّة من 20 مارس إلى 06 أفريل 1956[1].	

ورغم اشتداد الرّقابة على الحدود، واعتراض القوّات الفرنسية وكذا رجال الحرس الوطني التونسي لعمليّات تهريب الأسلحة تجاه تونس والجزائر، إلا أنّ أغلب كمّيات هذه الأسلحة كانت تصل إلى الثوّار التونسيين والجزائريين، حيث عرفت الحدود اللّيبية التونسية نشاطا متزايدا لتهريب

[1] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 186 .

الأسلحة وإيصالها إلى أفراد جيش التّحرير التونسي وجيش التّحرير الجزائري[1]. كما زوّدت جبهتي الأوراس والقاعدة الشرقية بكمّيات هامّة من الأسلحة التي كانت تهرّب بالطّرق السّرية، سواء من طرف الجزائريين أو بالتّنسيق مع أنصار صالح بن يوسف[2]، خُصوصا عبر الجنوب التونسي الذي شكّل معبرا أساسيّا لتهريب الأسلحة المخصّصة لجبهة الجزائر بحكم انحصار المعارضة اليوسفية فيه[3].

هكذا يتّضح لنا أنّ تحالف الحركة اليوسفية مع الثورة الجزائرية، قد نسف أهداف فرنسا من جراء اتّفاقيات 03 جوان 1955، الرّامية إلى تهدئة الوضع بتونس ومنع التحام المقاومة التونسية بالمقاومة الجزائرية حتى يسهل عليها الأمر لملاحقة الثورة في الجزائر، كما أدّى هذا التّحالف إلى اتساع حركة قوافل السّلاح وتغذية الثورة ضدّ الاستعمار الفرنسي في كامل المنطقة .

[1] – محمد ودّوع، المرجع السّابق، ص 195 .

[2] – عبد الحميد عوادي، القاعدة الشرقية، دار الهدى، الجزائر، 1993، ص 80 .

[3] – الجندي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، ج1، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص 282 .

الفصل الرّابع

استراتيجية التّحالف البورقيبي الفرنسي في القضاء على اليوسفية وعزلها عن الثورة الجزائرية.

1- العلاقة بين الأطراف المعادية للحركة اليوسفية.

1-1- تحديد الأطراف المعادية للحركة اليوسفية.

1-2- التّحالف المصلحي بين أعداء الحركة اليوسفية.

2- استراتيجية الأطراف المتحالفة في القضاء على اليوسفيين وعزلهم عن الثورة الجزائرية.

1-1- الاستراتيجية المعتمدة في القضاء على الحركة اليوسفية.

1-2- الاستراتيجية المعتمدة في التصدّي للدّعم اليوسفي للثورة الجزائرية.

3- قراءة في موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية.

3-1- ثنائية النّجاح والفشل في نضال الحركة اليوسفية.

3-2- قراءة في علاقة اليوسفيين بالثورة الجزائرية.

1- العلاقة بين الأطراف المعاديّة للحركة اليوسفية.

شكّلت الحركة اليوسفية بجناحيها السيّاسي والعسكري خطرا حقيقيّا على مطامح وأهداف عدّة أطراف بتونس، الأمر الذي جعلها محلّ عداء مستمرّ من قبل هذه الأطراف. فمن هم أعداء الحركة اليوسفية؟، وكيف كانت العلاقة فيما بينهم أمام الانتشار الواسع للتيّار اليوسفي داخل تونس وخارجها؟.

1-1- تحديد الأطراف المعاديّة للحركة اليوسفية.

يعتبر زعيم الدّيوان السيّاسي في الحزب الدستوري التونسي السّيد الحبيب بورقيبة، واحدا من الأطراف المعاديّة للطّروحات اليوسفية، كونه كان يخشى نقض الاتّفاقيات الفرنسية التونسية، وهو ما يجعله يخسر كلّ القواعد التي كسبها سواء داخل الحكومة الفرنسية أو لدى الرّأي العام الفرنسي اللّذان منحاه ثقتهما الكاملة في السّهر على تطبيق الاتّفاقيات[1]. وإذا طعن الحزب أو الشعب في هذه الاتّفاقيات مثلما كان يُريده الأمين العام للحزب الدستوري التونسي السيّد صالح بن يوسف وأنصاره، فإنّ المسؤولين الفرنسيين لن يقفوا مستقبلا إلى جانب بورقيبة في نضاله من أجل تحقيق الاستقلال التّام[2] الذي أكّد من خلال خطاباته بأنّه لن يكون إلا بموافقة فرنسا، وفي كنف التّكافل بطريقة سلميّة، حيث قال في هذا الشّأن أثناء خطابه في منزل تميم يوم 30 نوفمبر 1955: «... وإنّنا بإمكاننا أن نحقّق مراحل أخرى دون إراقة الدّماء، وذلك بالاتّفاق مع فرنسا...»[3].

لقد رأى بورقيبة في موقفه هذا وسيلة لدحض كلّ الحجج التي من الممكن أن تتعلّل بها الحكومة الفرنسية في حالة ما إذا قرّرت يوما التّراجع عمّا التزمت بها تجاه البلاد التونسية، غير أنّه دخل بذلك في تناقض وفي خصوم مع صالح بن يوسف وأنصاره الذين فضّلوا مواصلة الكفاح المسلّح لتحقيق الاستقلال التّام عبر منبر هيئة الأمم المتّحدة[4]. وازداد عداوة للطّروحات اليوسفية خاصّة بعد

---

[1] – Tetrat Philippe, Histoire politique et culturelle de la France observateur (1950-1957), L'harmattan, Tome1 Paris, (s.l), p 159.

[2] – Omar Khlifi, Bizerte la guerre de Bourguiba, Ed M.C, Tunis, 2006, p16.

[3] – "خطاب بورقيبة في منزل تميم يوم 30 نوفمبر 1955"، جريدة العمل، العدد 986، 01 ديسمبر 1955، ص 03.

[4] – Mohammed sayeh, op.cit, p147.

ما كثّف بن يوسف من تنقّلاته واتّصالاته لمحاصرة السّلطة الجديدة في تونس من النّاحية الدبلوماسية، وتخطيطه للقيّام بعمليّات عسكرية داخل تونس انطلاقا من مصر[1]، وأكثر من ذلك فقد أصبح بورقيبة حسب ما ورد في الرّسائل التي كان يوجّهها بن يوسف إلى أنصاره بتونس، مُعرّض لمحاولات الاغتيّال من قبل اليوسفيين، إذ نقرأ ضمن إحدى هذه الرّسائل ما يلي: « إنّ السّاعة دقّت للتخلّص من الطّاغية بورقيبة الذي يحكم الشّعب بالحديد والنّار، ويرمي به في هاويّة الإلحاد والفجور وينهب أمواله ويعبث بمقدّساته، فمقاومة بورقيبة هي جهاد في سبيل الله لأنّه صديق الكفّار... »[2].

هكذا يتّضح لنا أنّ بورقيبة قد أصبح مهدّدا من طرف دعاة الحركة اليوسفية، الأمر الذي جعله من أكثر الأطراف معاداة لها خاصّة بعدما استطاع أن يجلب لصفّه العديد من الدستوريين ممن كانوا بالأمس في صفّ بن يوسف من أمثال المنجي سليم وعلي البلهوان والباهي الأدغم...[3]، فبالنّسبة للمنجي سليم الذي عمل كلّ ما بوسعه لتعطيل الاتّفاقيات وإفشالها، فإنّه أصبح من أكثر العناصر معاداة لأنصار الأمانة العامّة مباشرة بعد تولّيه لوزارة الدّاخلية في حكومة الاستقلال الدّاخلي لتونس[4]. ومثله أيضا انقلب المناضل علي البلهوان على أفكاره ومعانيه الدّاعية إلى التمسّك بوحدة المغرب العربي، حين عمل على استئجار العصابات التونسية لإفشال اجتماعات بن يوسف مثلما وقع في باجة، ليصبح شيخا لمدينة تونس بعد الاستقلال[5].

أما الباهي الأدغم الذي كان من أبرز رجالات بن يوسف من خلال معارضته لتسليم السلاح وتحريضه للطّلبة في باريس والمقاومين في طرابلس على مساندة بن يوسف، فإنّه أضحى بعد مؤتمر صفاقس الذي انعقد في 15 نوفمبر 1955 أمينا عاما للحزب الدستوري الجديد، معارضا بذلك

---

[1] – حامد الزّغل، جيل الثورة. ذكريات مناضل، دار سراس للنّشر والتوزيع، تونس 2001، ص 102، ص 13.

[2] – عبد الجليل بوقرّة، النّظام البورقيبي. الصّعود والانحدار (1956–1987).دراسة تاريخية، ط1، دار آفاق للنّشر والتّوزيع، تونس، 2012، ص 13.

[3] – حسب ما ذكره الباحث محمد والدي، فإنّ تأييد هؤلاء الدستوريين لبورقيبة لم يكن من موقع الاقتناع بشرعيّة أطروحاته، بقدر ما كان ناتج عن حرصهم على تقلّد مناصب مهمّة في النّظام الجديد. أنظر:

M'hamed Oualdi , op.cit, p 188.

[4] – Elie Cohen Hadria, op.cit , p 275.

[5] – علي البلهوان، نحن أمّة، إصدارات دار الحرية، شركة فنون الرّسم والنّشر، تونس، 1990، ص 223.

للطّروحات اليوسفية، وقد عبّر شارل سوماني عن هذه الظّاهرة بقوله: « إنها خلافات مذهبيّة وسيّاسية، تُخفي في الحقيقة صراعا محموما من أجل الثروة والسّلطة »[1].

وإلى جانب بورقيبة وغيره من الدستوريين الذين انحازوا إلى صفّه، عارضت الحكومة التونسية هي الأخرى التيّار اليوسفي الرّافض لاتّفاقيات 03 جوان 1955، كونها كانت تخشى على نفسها أن تسقط بسقوطها، خصوصا ونحن نعلم أنّ هذه الحكومة قد تأسّست على النّحو الذي ضبطته تلك الاتّفاقيات لأجل تنفيذ ما تعاهد عليه الطّرفان التونسي والفرنسي. وعليه فمن الطبّيعي أن ترى في الحركة اليوسفية خطرا على وجودها وأمنها واستقرارها، لاسيما وأنّ اليوسفية كانت تضغط على الرّأي العام الدّاخلي وعلى الباي قصد إزاحة هذه الحكومة من السّلطة[2]، وهو ما عبّر عنه رجالات الحكومة التونسية من خلال قراءاتهم لتحرّكات بن يوسف، إذ يقول المنجي سليم وزير الدّاخلية التونسي في هذا الشّأن: « لو كانت المعارضة التي يقوم بها الأستاذ صالح بن يوسف معارضة سيّاسية ترمي إلى تحقيق الاستقلال التّام، لما كنّا ضيّقنا عليه، غير أنّه يرمي من وراء حركته إلى إسقاط هذه الحكومة بجميع الوسائل، وهنا يقتضي منّا الواجب أن نصمد في وجهه»[3].

ومن جهته أيضا، عبّر الصّحفي البشير بن أحمد الجربي (من أنصار بورقيبة) عن نيّة بن يوسف في التعرّض للحكومة التونسية حين قال: « عندما يُصرّح صالح بن يوسف للصّحافة بأنّه يعتبر نفسه في حالة حرب مفتوحة ضدّ الحزب وضدّ الحكومة، ولما يعلن عن دخول مرحلة الاضطرابات والعصيان، فلا شكّ أنّه عازم على إجهاض التّجربة التي انطلقت من دونه وضدّ إرادته...، وسيجرّ التونسيين إلى قتل إخوانهم التونسيين...»[4].

هكذا رأت الحكومة التونسية أنّ صالح بن يوسف لم يكن يسعى لتحقيق الاستقلال التّام، بقدر ما كان يسعى إلى إسقاط كيانها كتنظيم سيّاسي يهدف إلى ضمان الأمن واستكمال حرّية

---

[1] – Charles Soumagne et autres, journal et écrit : Tunisie (1947-1957). éditeur : Nice : C.M.M.C. Collection: cahiers de la méditerranée Editions: publication gouvernementale française, 1979 , p 329.

[2] – عروسيّة التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 –1956)، المرجع السّابق، ص ص 359. 360.

[3] – "بيان المنجي سليم"، جريدة الصّباح، العدد 1259، 9 جانفي 1956، ص 2.

[4] – L'action du 16 Janvier 1956, p 02.

التونسيين، الأمر الذي جعلها تُعلن عن عدائها للحركة اليوسفية، متّخذة بذلك من تحرّكات بن يوسف وتصرّفاته كحجج ومبرّرات لتقويض دعائم هذه الحركة[1].

إضافة إلى ما سبق، كانت الحركة اليوسفية محلّ عداء من طرف الفرنسيين وساستهم، حيث لم لم تغفر فرنسا لصالح بن يوسف إقدامه على إرسال الشكوى التونسية إلى منظّمة الأمم المتّحدة في جانفي1952، ولم تتغاض عن معارضته لاتّفاقيات الحكم الذّاتي، لذلك كانت وراء رفته من الحزب في أكتوبر 1955 خاصّة بعدما استشعرت الخطر على مصيرها بتونس من موقفه تجاه الاستقلال التّكافلي (l'indépendance) مع فرنسا[2]، معتبرة إيّاه عدوّا لفرنسا وللديمقراطية التونسية في آن واحد، وهو ما نلمسه من خلال تصريح منداس فرانس حين قال: « لقد أقام السيّد صالح بن يوسف الدّليل منذ زمن طويل على أنّه لم يكن عدوّا تقليديّا لفرنسا فحسب، بل أنّه عدوّا للديمقراطية التونسيّة... »[3].

كما كانت الحركة اليوسفية تُركّز في عملها على تحقيق الاستقلال التّام عن طريق تشديد النّضال المسلّح ضدّ الجيوش الفرنسية على التّراب التونسي وإجلاء القواعد الفرنسية من تونس، الأمر الذي جعلها تصطدم مع مصالح فرنسا بتونس[4]. وأكثر من ذلك فقد سعت الحركة اليوسفية إلى التآمر على فرنسا من خلال الالتقاء مع أعدائها لإخراجها من الشّمال الإفريقي، حيث تحالفت مع جبهة التّحرير الجزائرية على مواصلة الكفاح إلى غاية تحقيق الاستقلال الشّامل، والتقت مع التيّار العروبي الذي كان يتزعّمه الرئيس المصري جمال عبد النّاصر، ومع مبادئ لجنة تحرير المغرب العربي الدّاعية إلى توحيد الجهود بين دول المغرب العربي تحت راية العروبة والإسلام لأجل تحقيق الاستقلال التّام لكافة أقطاره[5].

ومما لا شكّ فيه، أنّ هذه الاعتبارات لم تكن ترضي الامبريالية الفرنسية التي كانت تريد أن يبقى المغرب العربي هامشيّا تابعا لسيطرتها، الأمر الذي جعلها تُكنّ الحقد والعداء لبن يوسف وأنصاره

---

[1] – Sébastien Abis, L'affaire de Bizerte, Sud Edition, Tunis, 2004, p 38 .

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص ص 155. 157 (بتصرّف).

[3] – "تصريح الوزير منداس فرانس"، جريدة الصّباح، العدد 15332، 19 أفريل 1956، ص 2.

[4] – توفيق المديني، المرجع السّابق، ص 24.

[5] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 73.

من خلال اشتراكها مع بقيّة الأطراف المعادية لهم في تتبّع وملاحقة مقاومي الحركة اليوسفية والقضاء على بؤرهم[1].

2-2- التّحالف المصلحي بين أعداء الحركة اليوسفية.

لقد أدرك خصوم اليوسفية أهمّية التّحالف والتّعاون فيما بينهم قصد التّصدي للتيّار اليوسفي الذي عرف تطوّرا كبيرا بعدما تجاوز حدود البلاد التونسية ليمسّ بذلك الرّأي العامّ الدولي، من خلال تحالفه مع الثورة الجزائرية والحركة النّاصرية التي كان يقودها الرئيس المصري جمال عبد النّاصر[2]، وفي هذا الصّدد برز التّحالف واضحا للعيان بين كلّ من فرنسا وبورقيبة للقضاء على الحركة اليوسفية، كما وُظّف جهاز الدولة التونسي لخدمة هذا التّحالف[3].

إنّ دراسة التّحالف الحاصل بين بورقيبة وفرنسا ضدّ الحركة اليوسفية، تجعلنا نتساءل عن الطّرف الذي اختار الآخر. فهل بورقيبة هو الذي اختار فرنسا ضدّ بن يوسف وأتباعه؟، أم أنّ فرنسا هي التي فضّلت التّحالف مع بورقيبة ضدّ اليوسفيين؟. ثم ما الذي كان يُريده كل طرف من وراء تحالفه مع الطّرف الآخر؟.

لا شكّ أنّ كلا الطّرفين كانت له مصلحته الخاصّة من وراء تحالفه مع الطّرف الآخر، فبالنّسبة لفرنسا فإنها اختارت حماية مصالحها عندما وقفت في صفّ بورقيبة، أي في صفّ المدافعين على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي التي فرضتها هي (فرنسا) على المفاوضين التونسيين في جوان 1955، كما فضّلت التّعامل مع بورقيبة بعدما كانت ترى فيه "الشيطان" و"الوطني المتعصّب"[4]، فأخرجته من المنفى وقرّبته منها لأنها كانت تُدرك أنّه "لا تفاوض دون بورقيبة" باعتباره رئيس أهمّ حزب وطني في تونس، وله القدرة على إقناع جماهير حزبه وقيّاداته على القبول بالقرارات الحاسمة، خُصوصا وأنّه قد برهن على

---

[1] - توفيق المديني، المرجع السّابق، ص 25.

[2] - عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955 - 1956)، المرجع السّابق، ص 409.

[3] - عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 71.

[4] - Laurence de Cock, La France et Bourguiba (1954-1956), In actes du VIIIe colloque sur: histoire orale et relations Tunisio-Française de 1945 a 1962.la parole aux témoins, publications de (l'I.S.H.M.N), Tunis, 1988, p p 75. 85.

ذلك عندما استطاع إقناع قادة المقاومة بتسليم سلاحهم في أواخر ديسمبر1954[1]. كما كانت فرنسا تعرف كلّ التّفاصيل عن الشّخصيات الوطنية التونسية بما في ذلك أفكارهم السيّاسية وحياتهم الخاصّة، الأمر الذي جعلها تختار بورقيبة الذي قال عنه الدبلوماسي الأمريكي "روبار مارفي": « لم ألتق خارج فرنسا برجل أكثر فرنسيّة من بورقيبة في العالم العربي، ولم أجد أحدا عربيّا أقلّ عروبة منه »[2].

لقد اقتنعت فرنسا بوفاء وإخلاص بورقيبة في صداقته لها، وهو ما تأكّد من خلال تصريحاته الصّحفية المعبّرة عن ذلك، حيث اعترف أثناء لقائه مع الوزير الفرنسي "ألان سافاري" بحسن علاقته مع الفرنسيين قائلا :« ألست أنا أحد أبنائكم الرّوحيين؟، ألم أتكوّن معكم جنبا إلى جنب؟ »[3]. وفي مقابلة أخرى له مع الصّحفي "ألبار مارتال" يقول بورقيبة :«من مصلحة فرنسا أن تقبل التّخاطب مع حزب ومع رجال عصريّين لائكيّين كوّنتهم بنفسها يستلهمون آرائهم من عبقريّتها ومن ثقافتها ومبادئها التي علّمتهم إيّاها». وأكثر من ذلك، أكّد بورقيبة ضمان حضور الثّقافة واللّغة الفرنسية في دولة تونس المستقلّة عندما صرّح لصحيفة "فرانس سوار" قائلا: « سنُحدث مدارس إدارية أخرى ولا نمسّ التّراث الفرنسي بسوء...، ستبقى اللّغة الفرنسية في طليعة اللّغات الأجنبيّة بالطّبع، فهي اللّغة التي أتكلّم ولغة ولدي وليس في ذلك تضحيّة كبيرة نقدّمها لكم... »[4].

فعلى أساس هذه الضّمانات اختارت فرنسا التّحالف مع بورقيبة ضدّ غريمه بن يوسف، لاسيّما وأنّ بورقيبة كان يتمتّع بعلاقات قويّة مع العديد من رجال السيّاسة والإعلام الفرنسيين في تونس وفرنسا من أمثال الإداري الكبير بتونس والكاتب العام الشّرفي للحكومة "شارل صوماني"، والصحفي اليساري "جون روس"، ورجلي السيّاسة والدولة "ألان سفاري" و"منداس فرانس" وغيرهم[5].

وإذا كانت فرنسا قد راهنت على بورقيبة لتحقيق مطامحها بتونس، فإنّ هذا الأخير قد سعى هو الآخر إلى اختيّار فرنسا كحليف للوقوف ضدّ التيّار اليوسفي خاصّة بعدما أصيب بخيبة أمل،

---

[1] – M'hamed Oualdi, op.cit, p p 38. 39.

[2] – Jean Lacouture, op, cit. p 177.

[3] – الحبيب بورقيبة، تصريحات وأحاديث صحفية، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1963، ص 19.

[4] – نفسه، ص 51.

[5] – Jean Lacouture, op.cit, p 180.

حيث لم يتوقّع أن ينجح خصمه (بن يوسف) في سحب البساط الجماهيري من تحت قدميه، وأن تنهار شعبيته بهذه السّرعة بعد أن استقبل استقبال الأبطال في غرّة جوان 1955[1]، لذلك لم يكن أمامه من سبيل غير اللّجوء إلى الحكومة الفرنسية لمساعدته على حسم الصّراع لفائدته، باعتبار أنّ فرنسا كانت خلال تلك الفترة العنصر الحاسم لكسب أيّ معركة من معارك تونس المستقلة، بدليل ما ورد في اتّفاقيات 03جوان 1955 من فصول تُفيد بأنّ فرنسا لم تكن مستعدّة بعد للتّفريط في تونس، فعلى هذا الأساس تدخّلت فرنسا بكلّ ثقلها لتُساند الرّجل الذي اختارت أن تتفاوض معه وأن تُرجّح كفّته أمام خصومه[2].

ولما أثبتت قوة السّلاح أنها غير كافيّة في حسم الموقف لصالح بورقيبة، قدّمت له فرنسا سلاحا أكثر فعّالية تمثّل في الاستقلال التّام بموجب بروتوكول 20 مارس 1956، وهو ما عبّر عنه بوضوح رئيس الحكومة الفرنسية "إدغار فور" حين قال: « ... وقد أعطينا حكم تونس إلى الحبيب بورقيبة صديق فرنسا لتعزيز جانبه أمام غريمه صالح بن يوسف الذي يقود ثورة ضدّه وضدّنا، مُتحالفا مع الإرهابيين في الجزائر والكلونال عبد النّاصر الذي يتزّعم المدّ القومي العربي الذي سوف يمتدّ إلى كلّ الشّمال الإفريقي ويقضي على وُجودنا فيه، لذلك دعّمنا صديقنا بورقيبة ليكون السدّ المنيع ويقطع الطّريق على كل خطر من الشرق العربي »[3].

وبالتجاء بورقيبة إلى فرنسا للتغلّب على خصمه، فإنّه وفّر الغطاء الشّرعي الوطني للقوّات الفرنسية لكي تُصفّي حساباتها مع المقاومة اليوسفية التي كانت بصدد الالتحام مع الثورة الجزائرية[4]، خصوصا ونحن نعلم أنّ فرنسا قد توخّت من وراء تحالفها مع بورقيبة السّعي نحو تضييق الخناق على الثورة الجزائرية بقطع المدد الذي كان يأتيها عن طريق تونس[5]. ولأجل ذلك اضطرّت فرنسا إلى منح

---

[1] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 33.

[2] – عليّة العلاني، حقائق جديدة عن الأزمة اليوسفية البورقيبية، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 93– 94، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، ماي 1999، ص 141.

[3] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 34.

[4] – نفسه، ص 35.

[5] – محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 38.

الاستقلال التّام لتونس[1]، وهو ما اعترف به الفرنسيون أنفسهم، حيث أقرّ الوزير الفرنسي "ألان سافاري" بذلك حين صرّح في جلسة برلمانية خلال شهر جوان 1956 قائلا: «... وقد أُجبرت فرنسا على منح الاستقلال التّام لتونس والتحوّل بها من الاستقلال الذّاتي إلى الاستقلال الكلّي في أشهر قليلة، ويعود ذلك أساسا إلى الضّغط الكبير الذي مارسته المعارضة اليوسفية، ليس فقط على المستوى السياسيّ وإنما على مستوى المقاومة المسلّحة التي أفرزت عن عدد كبير من القتلى... »[2].

وإذا كانت فرنسا تهدف من وراء تحالفها مع بورقيبة إلى القضاء على المقاومة اليوسفية المتحالفة مع الثورة الجزائرية، مما يعني محاصرة هذه الأخيرة وقطع مصادر تمويلها، فإنّ بورقيبة قد عمل هو الآخر على تحقيق عدّة مكاسب من جرّاء هذا التّحالف، نذكر منها :

- تحقيق رغبته الملحّة المتمثّلة في الوصول إلى السّلطة عن طريق التّسوية المستعجلة للقضية التونسية بالارتماء في السيّاسة الفرنسية، ولو على حساب بعض الأهداف الوطنية، خشية من أن يسبقه صالح بن يوسف أو تتقدّم عنه زعامات ثورية جديدة لعارضة الحكم[3].
- القضاء على الحركة اليوسفية وتصفيّة مقاوميها من خلال سلسلة المحاكمات والاعتقالات والاغتيّالات.
- تأكيد عبقريته السيّاسية بما يمكّنه من السّيطرة على الطبقة السيّاسية في حزبه.
- العمل على القطيعة مع الطروحات الوحدوية، حيث كان يسعى على الدّوام إلى تهميش علاقة تونس بمحيطها العربي[4].

---

[1] – حسب ما ذكره المناضل أحمد المستيري، فإنّ المعارضة اليوسفية التي كان يتزعمّها صالح بن يوسف هي التي أثرت بشكل كبير على السّاسة الفرنسيين، وازداد تأثيرها أكثر خاصّة بعدما ربطت مصيرها – بل ومصير تونس – بثورة الجزائر، الأمر الذي دفع بالفرنسيين إلى التّنازل عن تونس لبورقيبة من خلال إمضائهم على بروتوكول الاستقلال التّام في 20 مارس 1956. أنظر: أحمد المستيري، شهادة للتّاريخ، ذكريات وتأمّلات وتعاليق حول فترة من التّاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940–1990) وثورة 2010–2011، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011، ص 90.

[2] – عميرة عليّة الصغير، مناقشات حول زمن بورقيبة، أعمال ندوة بمؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في يوم 19 مارس 2007، (مداخلة أفادني بها الباحث عميرة عليّة الصغير).

[3] – شهادة حسين التريكي، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[4] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 35.

- حرصه الكبير على بروزه بمظهر "السيّاسي المسؤول" الذي يعي ما يقوم به من أعمال[1].

وزيّادة على التّحالف بين فرنسا وبورقيبة، تمّ توظيف جهاز الدولة التونسي للقضاء على الحركة اليوسفية، حيث سنّت حكومة الطّاهر بن عمّار الثانية[2] مراسيم قاسيّة تتعلّق بالسّجن لمدّة 5 سنوات أو المؤبّد أو النّفي في حقّ المحرّضين على التآمر ضدّ أمن الدولة، وبالإعدام لكلّ شخص يحاول جمع عصابات أو تسليحها بهدف تغيير نظام الحكم[3]. كما أصدر مجلس الوزراء التونسي يوم 01 فيفري 1956 قرارا يقضي بحلّ المنظّمة الفعليّة المسمّاة بـ"الأمانة العامّة للحزب الدستوري" لأجل غلق كل المنافذ القانونية لمن تسوّل له نفسه من اليوسفيين مواصلة نشاطه تحت غطاء القانون[4]. هذا فضلا عن تلك المساعدات التي حُضي بها النّظام البورقيبي من طرف فرنسا، حيث وضعت هذه الأخيرة تحت تصرّف وزير الدّاخلية التونسي السيّد المنجي سليم عدّة فيالق من الجيش وقوّات الأمن الفرنسي، قصد مساعدته على ملاحقة ومتابعة المقاومين اليوسفيين الذين كانوا ينشطون بجانب الثوّار الجزائريين في عدّة مناطق من البلاد التونسية، وبصفة خاصّة على الحدود مع الجزائر[5].

إنّ ما يمكن ملاحظته هو أنّ التّحالف القائم بين فرنسا وبورقيبة قد عمل على سحب الطّابع السيّاسي عن المواجهات بين البورقيبيين واليوسفيين، وإضفاء الطّابع الأمني عليها من خلال إظهار اليوسفيين كقطّاع طرق وخارجين عن القانون، كما أدّى التّحالف في نهاية المطاف إلى حسم الصّراع عسكريا لفائدة بورقيبة، خصوصا بعدما تمّ توظيف جهاز الدّولة التونسي لخدمة ذلك التّحالف.

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 52.

[2] – تكوّنت حكومة الطّاهر بن عمّار في مطلع شهر أوت 1954، ثم أعيد تشكيلها مرّة ثانية على نحو جديد بعد دخول اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي حيّز التّنفيذ في 17 سبتمبر 1955. أنظر: عبد الكريم عزّيز، المرجع السّابق، ص ص 538. 541 .

[3] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 75.

[4] – نفسه، ص 78.

[5] – محمد مختار ناصري، المرجع السّابق، ص ص 215. 217. أنظر أيضا: سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 34.

2- استراتيجية الأطراف المتحالفة في القضاء على اليوسفيين وعزلهم عن الثورة الجزائرية.

2-1- الاستراتيجية المعتمدة في القضاء على الحركة اليوسفية.

كان الحبيب بورقيبة شديد الحرص على إقناع صالح بن يوسف منذ ما قبل عودة هذا الأخير إلى تونس في 13 سبتمبر 1955، بالعدول عن مواقفه تجاه الاتّفاقيات المبرمة مع فرنسا، حيث أوفد إليه بجنيف والقاهرة العديد من رموز الحزب والمنظّمات القوميّة للتوسّط بينهما ومحاولة إقناعه بصواب رأي الموقّعين عليها، بدليل أنّه لم يكن في مقدور تونس حينذاك أن تتحصّل على أحسن مما تحصّلت عليه، غير أنّ بن يوسف لم يقبل بذلك[1].

وبعد عودة بن يوسف إلى تونس واندلاع المواجهة بينه وبين بورقيبة في نطاق ما سُمّي بالحرب الكلامية والاصداع بالرّأي، حاول بعض الوطنيين التونسيين الصّادقين القيّام بمحاولات الصّلح بينهما[2]، ففي يوم 15 سبتمبر 1955 طالب كلّ من علي المعاوي وعلي بن عمران وحسونة القروي وعبد العزيز عمران والطيّب الشّريف، من الزّعيم بن يوسف أن يتّصل بنظيره الحبيب بورقيبة للتّباحث معه حول الاختلاف القائم بينهما مع جعل مصلحة البلاد فوق كل اعتبار، وبعد أخذ وردّ تمكّن هؤلاء المناضلين من ترتيب اللّقاء بين الزّعيمين[3].

لقد تحدّث المناضل علي المعاوي عن هذا اللّقاء الذي في مذكّراته قائلا: « وفي الموعد المحدّد، في حدود السّاعة الخامسة من عشية يوم الخميس 15 سبتمبر، كان الزّعيمان مع بعضهما البعض يتحادثان ويتناقشان ثم يتهدّدان ويتفرّقان...، وحرصا منّي على تسلسل الحديث في هذا الموضوع، فإنّني سأنقل ما دار بينهما من حوار ونقاش بناء على ما أفادني به الزّعيم صالح بن يوسف الذي قال لي بخصوص هذا اللّقاء: اتّجهت مباشرة إلى السّي لحبيب الذي كان واقفًا في انتظاري، فكان العناق المؤثّر ولم يغب البكاء أيضا، وبادرني بقوله: هكذا يا صالح تخلّيني وحدي عند الحاجة...، فالتفت إليه لتوضيح ما اشتملت عليه الاتّفاقيات من مآخذ وتكبيل خطير لإرادة تونس على مدى عشرات السّنين من التحرّر والانعتاق، ثم قال لي: أنت تعرف يا السّي صالح بأنّ لي كريدي عند الشعب

---

[1] – محمد الصيّاح، المصدر السّابق، ص 114.

[2] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 184.

[3] – علي المعاوي، ذكريات وخواطر. سلسلة مذكّرات، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، منوبة، 2007، ص 588.

الفرنسي وتعرف أسلوبي في النّضال، أضرب وروح، فقلت له: المسألة تعقّدت كثيرًا وليس لها من حلّ سوى الرّجوع إلى تحكيم الشعب، ثم طلبت منه العودة للحديث في الموضوع خلال موعد آخر، فاستوى قائما وقال لي: ما تنساش يا صالح باش تنشر كلمة في الجرائد وتتراجع فيها على نعت الاتّفاقيات بخطوة للوراء، وإلا ماك تعرف كيف أنشر كلمة فوق الجرائد في حقك وأكتب تحتها إمضائي، عندئذ تشنّجت أعصابي وقلت له: والله والله يا السّي الحبيب إلا ما نفضحك أمام الشعب، ونمزقك أنت والاتّفاقيات متاعك، وقفلت خارجا »[1].

إنّ قراءة متأنّية في مضمون الحوار الذي دار بين الزّعيمين بورقيبة وبن يوسف، أثناء اللّقاء الذي جمعهما يوم 15 سبتمبر1955، تُبيّن لنا مدى اتّساع الهوّة وتباين الآراء بينهما نتيجة تمسّك كلّ واحد منهما بمواقفه الخاصّة، كما تدلّنا بوضوح على فشل بورقيبة في إقناع بن يوسف بالعدول عن آرائه، الأمر الذي دفع بورقيبة إلى إتّباع سيّاسة التّرغيب مع بن يوسف وأنصاره في محاولة منه لاحتواء اليوسفيين[2].

وفي هذا الصّدد تمت مساومة بن يوسف بتشكيل ورئاسة الحكومة الجديدة في تونس مقابل تخلّيه عن المعارضة، غير أنّه رفض ذلك حين كشف عن سيّاسة بورقيبة الإغرائية أثناء خطابه بالعاصمة يوم 16 أكتوبر 1955 قائلا: «... وقد وقع إغرائي على أن أتراجع عن موقفي الذي أعلنته من مصر ومن جنيف...، هذا الموقف الذي يتمثّل في معارضتي للاتّفاقيات التي فُرضت على الشعب التونسي فرضًا، وهي التي لازلتُ مصرّا على رأيي بأنّها تمثّل خطوة إلى الوراء...، ومن أجل ذلك عرضوا عليّ أن أقبل بأن أكون المشكّل للوزارة الجديدة، فرفضت هذه المساومة في حقّ الشّعب لأنّ هذا الحقّ قد سلّم منه المتفاوضون تسعين بالمائة إلى الأعداء.... »[3].

وإذا كانت سيّاسة بورقيبة الإغرائية قد فشلت في إقناع صالح بن يوسف بالعدول عن مواقفه، فإنها نجحت من جانب آخر في احتواء بعض المقاومين التونسيين ممّن كانوا في صفّ المعارضة التي تزعّمها بن يوسف، وهذا بعدما أقرّ الدّيوان السيّاسي للحزب الدستوري التونسي ضرورة إخراج هؤلاء

---

[1] – علي المعاوي، المصدر السّابق، ص ص 590. 592. (بتصرّف).

[2] – محمد الصيّاح، المصدر السّابق، ص 115.

[3] – "خطاب بن يوسف بالعاصمة "، جريدة البلاغ، العدد 141، 17 أكتوبر 1955، ص 1.

المقاومين من واقع التّهميش الذي يعيشونه عن طريق رفع منحتهم إلى 10.000 فرنك بعدما كانت لا تتجاوز 5000 فرنك[1]، ومنحهم رخص للتّجارة كتجارة التّبغ وأخرى خاصّة بسيّارات الأجرة، كما تمّ توزيع مساحات من الأراضي على هؤلاء المقاومين وبيعت لهم قطع أخرى بأثمان رمزيّة، هذا فضلا عن إدماج عدد كبير منهم داخل قوّات الحكومة التونسية لا لشيء سوى لأجل إفراغ الحركة اليوسفية من قواعدها عبر وسائل الإغراء المختلفة[2]، إذ لا تخلو هذه الإجراءات من خلفيّات سيّاسية، وهو ما نلمسه من خلال تصريح وزير الدّاخلية التونسي السيّد المنجي سليم بمناسبة توزيع بعض الأراضي الزّراعية على قبيلة الهمامة يوم 21 جانفي 1956 حين قال: « ... فليس بالهتافات ولا بالتّصفيق تثبت بأنّ هذه الخطوة إلى الأمام، وإنّما بالإنجازات التي تلمسونها أنتم بأنفسكم هنا وهناك، وفي كافّة أنحاء المملكة... »[3].

إنّ هذه السيّاسّة الإغرائية التي اعتمد عليها الدّيوان السيّاسي للحزب الدستوري التونسي، هي التي جعلت بعض اليوسفيين ينصاغون لأوامر بورقيبة، وهو ما أكّده المناضل حسين التريكي في شهادته التّاريخية التي تُفيد بتخلّي بعض الدستوريين عن صالح بن يوسف بعدما قبلوا إغراءات بورقيبة المتمثّلة في الأموال والمناصب الإدارية، إذ يقول في هذا الشّأن :«...أمّا الرّشيد إدريس الذي كان يقول لنا أعطوني مسدّسا كي أذهب وأقتل به بورقيبة، فإنّه قد غيّر من رأيه بعدما منحه بورقيبة 500 ألف فرنك وسمح له بإدارة العمل، ومثله أيضا تراجع الباهي الأدغم الذي كان من أكبر المعارضين للاتّفاقيات التونسية الفرنسية عن مواقفه بعدما عرض عليه بورقيبة الكتابة العامّة للحزب »[4].

وإلى جانب سيّاسة الإغراء التي اعتمدتها البورقيبية في احتواء اليوسفيين، فقد عمد الديوان السيّاسي للحزب الدستوري التونسي والحكومة التونسية، إلى ممارسة سيّاسة الضّغط على اليوسفيين

---

[1] – سمير البكّوش، نظرة استقرائية للواقع السيّاسي والأمني على التّخوم التونسية الجزائرية (1954–1958).الكاف نموذجًا، أعمال ندوة قسم التّاريخ خلال يومي 15، 16 أفريل 2005 حول: "الشّمال الغربي ذاكرة جهة"، دار نهى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، صفاقس، 2009، ص 261.

[2] – عروسية التّركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955–1956)، المرجع السّابق، ص 361.

[3] – "تصريح المنجي سليم بالهمامة"، جريدة العمل، العدد 89، 22 جانفي 1956، ص 1.

[4] – شهادة حسين التريكي، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

قصد تخلّيهم عن الطّروحات التي كان يروّج لها صالح بن يوسف[1]. وفي هذا الصدّد عملت الحكومة التونسية على حرمان الفلاحين غير التّابعين للدّيوان السيّاسي من ميّاه الريّ ومن القروض التّمويلية لتنمية مشاريعهم الفلاحيّة، كما سعت إلى عزل العناصر غير المرغوب فيها من هياكل الإدارة التونسية مع الحدّ من مشاركتها في الحياة السيّاسية العامّة[2]. وأكثر من ذلك فقد وصل الأمر ببعض أعضاء الدّيوان السيّاسي إلى التّهديد بحلّ الجامعات والشُّعب اليوسفية، من ذلك مثلا تهديد المناضل علالة البلهوان بحلّ جامعة تونس في 03 نوفمبر 1955 إن لم تُعلن معارضتها لبن يوسف[3]، هذا فضلا عن استخدام الدّعاية الإعلاميّة المغرضة للتّقليل من شأن اليوسفيين بعدما أصبحوا يُنعتون بمزّقي وحدة الأمّة ومُعرقلي مسيرة التحرّر[4].

هكذا يتّضح لنا أنّ بورقيبة قد وظّف عدّة أساليب لاحتواء المعارضة التي كان يتزعّمها صالح بن يوسف، فبعد فشل اللّقاءات التوفيقية التي تمت بينهما، لجأ بورقيبة إلى سيّاسة التّرغيب التي يبدو أنّ نجاحه فيها كان نسبي إلى أبعد الحدود، كما تم الاعتماد على أسلوب الضّغط على اليوسفيين لأجل إقناعهم بالتخلّي عن المعارضة التي أصبحت تعيق حسب البورقيبيين مسيرة التحرّر الوطني، غير أنّ بورقيبة وأنصاره لم يوفّقوا في محاولاتهم التي كانت تهدف إلى احتواء اليوسفيين بدليل تطوّر التيّار اليوسفي وتصاعد تأثيره على المستويين الدّاخلي والخارجي، خُصوصا ونحن نعلم أنّ اليوسفيين قد كوّنوا مع نهاية 1955 عصابات مسلّحة يقودها الطّاهر لسود وعبد اللّطيف زهير والنّاصر الوصيف...، التي كانت تنشط بالتّعاون مع وحدات جيش التّحرير الجزائري ضدّ رموز الاستعمار وضدّ خصومهم من البورقيبيين[5] .

وأمام هذا الوضع اضطرّ بورقيبة إلى تجنيد جميع إمكانيّاته لتصفيّة المعارضة اليوسفية بكلّ عنف وشراسة، باعتبار أنّها لم تعد تعترض على شخص بورقيبة فحسب، بل تعترض على النّظام البورقيبي

---

[1] – سمير البكّوش، المرجع السّابق، ص 262.

[2] – I.S.H.M.N, bobine S387, carton 2H152, DN°1 :(Physionomie de la presse arabe et Tunisienne, Albalagh Aljadid du 28 janvier 1956), P206.

[3] – "تصريح المناضل علي البلهوان"، جريدة البلاغ، العدد 123، 04 نوفمبر 1955، ص 2.

[4] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 4.

[5] – عز الدّين معزة، المرجع السّابق، ص 342.

وعلى مشاريعه الاجتماعيّة والثقافية في تونس[1]، حيث أذن لأنصاره بتكوين مليشيّات مسلّحة شبه عسكرية (paramilitaire)، سمّيت بـ"لجان الرّعاية" لتتبّع اليوسفيين ومحاولة اجتثاث المعارضة لصالح الدّيوان السيّاسي[2].

وحسب ما ذكره الأستاذ عميرة عليّة الصغير، فإنّ هذه اللّجان قد بدأت في التشكّل بعد مؤتمر صفاقس المنعقد في 15 نوفمبر 1955، ثم تضاعف عددها وتعزّز نشاطها مع مطلع سنة 1956، أي مع تشديد الخناق على المعارضة والإصرار على اجتثاث المقاومة المسلّحة التي كانت تنشط تحت راية الأمانة العامة[3].

وقد تكوّنت هذه اللّجان من المدنيين المسلّحين بأسلحة نارية أو بيضاء، وضمّت في صفوفها عددا كبيرا من صبايحية الوجق والمقاومين القدامى الذين أبدوا إخلاصهم للدّيوان السيّاسي بعدما اختارتهم الجامعات الدستورية وفق مقياس الشجاعة والإخلاص[4]، كما أُوكلت قيّادتها لبعض الدستوريين مثل حسين بوزيّان بقفصة وعمر شاشية بالوطن القبلي وبعض قدماء المقاومين "الفلاقة"[5] من أمثال محجوب بن علي بالشمال وحسن عبد العزيز الورداني بالسّاحل وحسن العيّادي بتونس العاصمة وضواحيها والعجيمي بن مبروك بسهول القيروان والسّاسي الأسود بجهة الحامّة وقابس[6]. وكانت (اللّجان) تأخذ أوامرها من وزير الدّاخلية التونسي السيّد المنجي سليم ومن الدّيوان السيّاسي، إلى أن تمّ إعطاءها الصّبغة القانونية بموجب القرار الذي أعلنه الوزير الأكبر "الطّاهر بن عمّار" في 31

---

[1] – عبد الجليل بوقرّة، المرجع السّابق، ص 13.

[2] – محمد المختار ناصري، المرجع السّابق، ص 216. أنظر أيضا: عبد الجليل بوقرّة، المرجع السّابق، ص 13.

[3] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 54.

[4] – خليفة بوشاش غابري، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 13، المكناسي، 25-11-1992. أنظر أيضا: محمد الهادي بن صالح عباسية، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 112 ، تونس، 16 ماي 1994. (م.ع.ت.ح.و.ت).

[5] – ذكر الأستاذ عميرة عليّة الصغير –بناء على ما صرّح به الكثير من المستجوبين– أنّ انخراط قدماء المقاومين في صفّ بورقيبة لملاحقة المعارضين، كان بهدف مواصلة جهادهم وتتمّة رسالتهم الوطنية، غير أنّ الذي لم يذكره هؤلاء المقاومون الذين جُنّدوا لتتبّع رفاقهم بالأمس–حسب الأستاذ عميرة عليّة الصغير– هو دافع الحاجة المادّية وواقع البؤس والبطالة الذي كان عليه أغلبهم، حيث فضّلوا صفّ بورقيبة آملين في الإدماج بسلك الأمن أو الجيش لضمان مستقبلهم. أنظر: عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 54.

[6] – عبد الوهاب السّندي، تسجيل شفوي، رقم التّسجيل 101، قفصة، 30 ديسمبر 1993. (م.ع.ت.ح.و.ت).

مارس 1956، حيث أصبحت منذ ذلك الحين مكلّفة بمهمّة الحفاظ على الأمن والبحث عن مقترفي الجرائم والجنح[1]، ولم يوضع حدّ لنشاطها إلا في 06 جويلية 1956 بعد انتهاء خطر المعارضة اليوسفية، واستلام النّظام الجديد سلطات الأمن في 18 أفريل 1956 وبعث الجيش الوطني في 24 جوان من نفس السنة[2].

وللإشارة فقد لقيّت هذه اللّجان دعما كافيّا من طرف السّلطات الاستعمارية الفرنسية، كما تُركَت لها حريّة التصرّف في التّعامل مع اليوسفيين بتصفيّتهم وتعذيبهم حتى القتل، أو التّعامل معهم بعنف وقسوة بعد رميهم في مختلف المراكز والمحتشدات التي خُصّصت لإيقاف اليوسفيين وتعذيبهم[3]، مثل سُباط الظّلام بالعاصمة تحت إشراف حسن العيّادي، وسُباط مقرّ دار الحزب بالقصبة تحت قيّادة المشرف حسين بوزيّان، وسُباط بني خلاد بقيّادة عمر شاشية[4]، هذا الأخير الذي اعترف في شهادته بتحويل زاوية سيدي بن عيسى في بني خلاد إلى محتشد فعلي وحقيقي لإيقاف وتعذيب اليوسفيين دون أن يُقرّ بالتعدّيات المنسوبة إليه باعتبار أنّ الأوامر كانت تأتيه من بورقيبة والطيّب المهيري[5].

كما كانت هذه اللّجان تقوم باعتداءات شبه يوميّة على مقرّات الأمانة العامّة والاتحاد العام للفلاحة التونسية، إذ أحصى الأستاذ عميرة عليّة الصغير حوالي 29 اعتداء خطير لهذه اللّجان خلال الفترة الممتدّة من أوّل جانفي إلى منتصف فيفري 1956، نذكر منها على سبيل المثال: تخريب شعبة الأمانة العامّة بالختمين في 08 جانفي 1956، وإطلاق النّار على نادي الأمانة العامّة بسيدي سعيد في 10 جانفي 1956، ومهاجمة الاتحاد الجهوي للفلاحة في 13 جانفي 1956، وتفجير قنبلة بالقرب من المقر المركزي للأمانة العامّة بنهج الجزيرة ليلة 21 جانفي 1956[6].

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 53.

[2] – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعًا (1954–1975)، المرجع السّابق، ص 184.

[3] – أحمد المستيري، المصدر السّابق، ص 82.

[4] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 152.

[5] – شهادة المناضل عمر شاشية، شهادة منشورة ضمن أعمال المؤتمر حول: نهاية حكم بورقيبة والقيّادات السيّاسيّة العربية بين الصّعود والانحدار في 13 ديسمبر 2003 بمؤسّسة التميمي، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2005، ص 518.

[6] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص ص 63. 65. (بتصرّف).

ولم تكتف هذه اللّجان بتحطيم المقرّات التّابعة لليوسفيين فقط، بل عملت على متابعة رجالات بن يوسف واغتيّالهم كلّما سمحت لها الظّروف بذلك، وضمن هذا السيّاق تمّ إطلاق عيّارات ناريّة على "محمّد بن عمّار" المصوّر المصاحب لتحركّات ونشاطات زعيم المعارضة اليوسفية يوم 20 نوفمبر 1955، ليستشهد على إثر ذلك يوم 24 من نفس الشهر، كما تمّ اغتيّال المناضل "علي بن إسماعيل العيوني" سائق صالح بن يوسف بالحاضرة يوم 22 نوفمبر 1955، ومثلهما أيضا تعرّضا للاغتيّال كل من المناضلين "الحاج علي بن خضر" رئيس شعبة حامّة بن زيد للأمانة العامّة والكاتب العام للاتحاد الجهوي للفلاحة في 20 جانفي 1956، و"علي بن عبد السّلام بن خليفة" رئيس شعبة الأمانة العامّة بجمّال في 25 جانفي من نفس السنة[1].

هكذا يتّضح لنا أنّ اليوسفيين كانوا ضحيّة عنف من طرف خُصومهم البورقيبيين المتحالفين مع جهاز الدولة وسلطات الاستعمار الفرنسي، الأمر الذي دفعهم إلى مجابهة القوّة بالقوّة[2]، حيث اقترفوا هم كذلك جرائم قتل في حقّ من أسموهم "خونة وأعداء"، وقاموا باغتيّال عدّة عناصر من أنصار الدّيوان السيّاسي من أمثال، الحبيب الدّقي في 12 ديسمبر 1955 والهادي بن عبد السّلام ببُّو بجمّال في 27 جانفي 1956 والحسين بوزيّان بقفصة في 26 مارس 1956[3]، كما قاموا بتنظيم عدّة محاولات لاغتيّال خصمهم الحبيب بورقيبة قبل وبعد وصوله إلى رئاسة الجمهورية بتونس[4].

ونتيجة لهذا الوضع ارتفعت حصيلة القتلى في صفوف الطّرفين لتصل خلال شهر مارس 1956 إلى 182 قتيلا في صفوف اليوسفيين، مقابل 26 قتيلا في صفوف التّحالف البورقيبي الفرنسي، ثم تراجعت الحصيلة نسبيّا خلال شهر أفريل لتستقرّ في حدود 49 قتيلا يوسفيا و5 قتلى في صفوف

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 68.

[2] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية. (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص 186.

[3] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص ص 70. 71.

[4] – عمّار السّوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية. (من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية)، المرجع السّابق، ص ص 186. 187.

التّحالف، لكنّها ارتفعت من جديد خلال شهر ماي الذي كان أكثر دمويّة بعدما تمكّنت قوّات التّحالف من قتل 242 ثائرًا في صفوف اليوسفيين في حين لم تتكبّد من الخسائر سوى 23 قتيلا[1].

ودون الاستطراد في ذكر تفاصيل أحداث العنف والمواجهات التي كانت تتمّ بين الطّرفين، يمكننا القول أنّ تلك الصّدامات كادت أن تؤدّي بتونس إلى حرب أهليّة حقيقية يمكن أن تتّسع إلى منطقة المغرب العربي كلّها، خاصّة بعد دخول مجموعات جزائرية لحلبة الصّراع إلى جانب صالح بن يوسف، وتحالف بورقيبة مع القوّات الفرنسيّة. وإزاء هذا التطوّر السّريع للأحداث بتونس، صار من العسير لأيّ كان اتخاذ موقف الحيّاد أو التريّث، إذ يقول المناضل أحمد المستيري رئيس ديوان المنجي سليم في هذا الشّأن: «... لقد بات الوضع يُنذر بإقحام تونس في حرب ضروس تشمل منطقة المغرب العربي بأسرها، حيث لم يستبعد صالح بن يوسف من خلال تصريحاته الصّحفية ذلك الافتراض، معتقدًا في ذلك بأنّ هذا الاحتمال هو المآل الوحيد لتخليص تونس نهائيّا من الاستعمار الفرنسي...، أمّا بالنّسبة لنا نحن قادة وإطارات ومناضلين قاعديين، فإنّنا أصبحنا نشعر بقلق متزايد لما يبلغنا من تجاوزات في حقّ أتباع صالح بن يوسف أو من اشتبه فيهم ذلك...»[2].

إضافة إلى ما سبق، سعى بورقيبة إلى توظيف القضاء سيّاسيّا واستثنائيّا ضمن استراتيجية اجتثاث الحركة اليوسفية والقضاء عليها، حيث تمّ إحداث "المحكمة الجنائية الخاصّة" بأمر عليّ مؤرّخ في 28 جانفي 1956، كما تمّ إحداث محكمة القضاء العليا[3] أو المحكمة الجنائيّة العليا المعروفة بـ"المحكمة الشّعبية"[4] بأمر آخر مؤرّخ في 19 أفريل 1956 للنّظر في القضايا ذات الصّبغة السيّاسيّة، مثل

---

[1] – S.A.H.T, Série 2H, Carton 2H312, Bobine S505, p p 46 . 49.

[2] – أحمد المستيري، المصدر السّابق، ص 81.

[3] – يبدو أنّ صاحب الفتوى القضائية لإحداث هذه المحكمة السيّاسية، هو القاضي "محمد الوصيف" الرئيس الأوّل لمحكمة التّعقيب. أنظر: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص ص 165. 165.

[4] – أطلق عليها اسم المحكمة الشّعبية قصد إعطاء صورة شرعيّة لعمليّات القمع والتّصفيّات التي تقوم بها. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي. فكرة وواقعًا (1954.1975)، المرجع السّابق، ص 185.

التّحريض بأيّ وسيلة على جنايات القتل وإضرام النّار عمدًا وهدم المباني والاعتداء على أمن الدّولة، وبصورة عامّة تنظر المحكمة في كلّ الاعتداءات الواقعة على مصالح الوطن العليا[1].

وإذا عدنا إلى المناخ الذي أحدثت فيه المحكمة العليا المتميّز بالتوتّر والعنف المتبادل بين أنصار الزّعيمين بورقيبة وبن يوسف، فإنّنا نقول أنّ هذه المحكمة قد وُضعت على المقاس لتصفيّة المعارضة اليوسفية، بعد أن وفرت كل الأطر القانونية للقضاء عليها في أسرع الأوقات تمهيدا لإرساء الدولة الجديدة[2]، ذلك أنها ضمّت في تركيبتها عناصر معروفة بولائها للشقّ البورقيبي من أمثال: محمد فرحات كرئيس، والسّادة الحبيب بن محمد والنّاصر المرزوقي ومحمود زهيوة وصالح عيّاش ومحمد الري وبلحسين جراد كحكام شعبيين، والسيّدان محمد بن للونة وعمر شاشية وكيلين للدولة، ولجنة تحقيق متألّفة من السّادة دبية كرئيس ومحمد الشّريف وعلي الزلاوي ومحمد بن رمضان ومفتاح السميري كأعضاء[3]. كما أنّ أحكامها كانت استثنائيّة بكلّ المقاييس، إذ لا يمكن الطّعن فيها لا بالاستئناف ولا بالتّعقيب، وأكثر من ذلك فإنّ تنفيذها كان يقع في الحين دون تأجيل أو تأخير[4].

ويمكننا الاستدلال على هذا الطّرح الذي يُفيد بإحداث المحكمة الشّعبية لأجل تصفيّة اليوسفية، من خلال تصريح الزّعيم بورقيبة إذ يقول: « لقد تم بعث المحكمة الشّعبية لتقتصّ بحزم من القتلة الإرهابيّين مقترفي الجرائم البشعة، ولكي تقع محاكمتهم في أسرع وقت ممكن، وبروح شعبية متحمّسة، فلا تقصر مهامّها على الجزئيّات التي لا طائل من ورائها، لأنّ مهمّتها تتمثّل أساسا في حفظ الدولة النّاشئة وإزاحة الأشرار من طريقها...، وحمايتها ممّن في قلوبهم مرض...»[5].

---

[1] – محمد ضيف الله، المحاكمات السيّاسية في تونس في عهد بورقيبة (1956–1987).ضمن القضاء والتّشريع في تونس البورقيبية والبلاد العربية، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2004، ص ص 159. 178.

[2] – عميرة عليّة الصغير وآخرون، المحاكمات السيّاسيّة في تونس (1956– 2011)، ج1، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2014، ص 09.

[3] – محمد ضيف الله، المرجع السّابق، ص 170.

[4] – عميرة عليّة الصغير وآخرون، المرجع السّابق، ص 10.

[5] – "المجلس التأسيسي يدرس أمس مسألتي: سلطات المجلس وتكوين المحكمة العليا"، جريدة الصباح، العدد 1346، 26 أفريل 1956، ص 4.

على كلّ استمرت المحكمة في عملها مدّة ثلاث سنوات ونصف تقريبًا، ولم يقع حلّها إلا في شهر أكتوبر 1959، حيث شملت أحكامها مع بداية الاستقلال مئات اليوسفيين، إذ حكمت خلال الفترة الممتدّة من ماي إلى سبتمبر 1956 على حوالي 212 مقاوم يوسفي[1]، وخلال الفترة الممتدّة من مطلع سنة 1957 إلى غاية أكتوبر 1959 على حوالي 323 ثائر يوسفي[2]، كما أصدرت في حقّ اليوسفيين إلى غاية أكتوبر 1959 : 53 حكمًا بالإعدام (نفذت أغلبها)، وكثير من الأحكام بالأعمال الشّاقة لفترات مختلفة وصل عدد منها إلى مدى الحياة[3]، هذا فضلا عن حكمها مرّتين بالإعدام غيّابيّا على زعيم المعارضة اليوسفية صالح بن يوسف الأولى في جانفي 1957 والثانية في ديسمبر 1958[4].

وإذا كانت موجة القمع التي استهدفت اليوسفيين قد حوّلت قيّادتهم إلى المنفى (طرابلس، الجزائر، القاهرة)، فإنّ النّظام البورقيبي ظلّ مُصرّا على تصفيّة جيوب الحركة اليوسفية خاصّة بعدما استقرّ زعيمها بن يوسف في القاهرة خلال الفترة الممتدّة من 1956 إلى 1961، أين عمل رفقة إخوانه الجزائريين في مكتب المغرب العربي لأجل تحقيق الاستقلال لكافة أقطار المغرب[5]. وازداد النّظام البورقيبي قناعة بضرورة القضاء على الحركة اليوسفية خاصّة بعد فشل لقاء بورقيبة بغريمه بن يوسف في "زيوريخ" بسويسرا سنة 1961[6]، وبعد الهزيمة النّكراء التي تكبّدتها تونس أثناء معركة بنزرت في جويلية 1961[7]. فمنذ ذلك الحين أصبح بورقيبة يعتبر أنّ بقاء بن يوسف على قيد الحياة من شأنه أن يكشف

---

[1] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 79.

[2] – محمد ضيف الله، المرجع السّابق، ص ص 174. 176. (بتصرّف)

[3] – عميرة علية الصّغير وآخرون، المرجع السّابق، ص 14.

[4] – محمّد بلقاسم، وحدة المغرب العربي. فكرة وواقعا (1954–1975)، المرجع السّابق، ص 185.

[5] – محمد حربي، حياة تحدّ وصمود، مذكّرات سيّاسية (1945– 1962)، المصدر السّابق، ص 360.

[6] – في سنة 1961 وقع لقاء بين الزّعيمين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف في مدينة زيوريخ بسويسرا، حيث تزامن تواجد بن يوسف هناك بتوقّف بورقيبة فيها وهو متّجه إلى فرنسا للقاء ديغول، وقد تمّ هذا اللّقاء بترتيب أحد رجال السّلطة السويسرية بعدما قبل هذا الأخير شرط بن يوسف المتمثّل في ضمان حياته بتوفير الشرطة وتفتيش مقر اللّقاء، غير أن هذا اللّقاء انتهى بالفشل. أنظر: عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص ص 242. 243.

[7] – وقعت معركة بنزرت في صبيحة يوم 20 جويلية 1961، حين نفّدت القوّات الفرنسية اعتداءاتها على مدينة بنزرت التونسية، فألقت الطائرات الفرنسية بوابل قنابلها المدمّرة والحارقة ضدّ المدنيين الأبريّاء ببنزرت والقرى المجاورة لها، الأمر الذي أدّى إلى سقوط

يكشف السّتار عن مسؤوليّة بورقيبة عمّا حدث في بنزرت، لذلك كانت هذه المعركة فرصة سانحة لبورقيبة كي يمرّر حدث اغتيّال غريمه بن يوسف في زمن الرّأي العام بالدّاخل والخارج، موجّها انشغاله واهتمامه لجريمة بنزرت[1].

ونظرا لأهمية هذا الحدث –اغتيّال بن يوسف– وارتباطه الوثيق بموضوع بحثنا[2]، فإنّنا سنحرص على سرد تفاصيله مثلما وصفته أرملة بن يوسف السيّدة "صوفية زهير"، إذ تقول في هذا الشّأن: «في أوت 1961 قرّر زوجي السّفر إلى (كوناكري) عاصمة غينيا[3]، وذلك عبر (فرانكفورت) للمشاركة في مؤتمر دولي هام، وطلب منّي مرافقته فسافرنا إلى ألمانيا، حيث مكثنا وقتا قصيرا، وفي يوم 12 أوت كنّا في مدينة (قيسْبَادن) نستعدّ للسّفر، وبالمطار تلقّى زوجي مكالمة تلفونية عاجلة من بعض التونسيين، قالوا له: إنّهم يريدون مقابلته على الفور في مدينة (فرانكفورت)، وأعطوه اسم فندق معيّن كمكان للقائه، فكان جواب صالح بأنّه على أهبة السّفر إلى (كوناكري) ويخشى أن تفوته الطّائرة إذا غادر المطار، غير أنّ التونسيين ألحّوا عليه بالحضور ولو لمدّة خمس دقائق فقط، فتردّد قليلا ثم قَبِلَ وقال لي: لا داعي لأن تذهبي معي، وطلب منّي الانتظار في مقهى أمام الفندق...، ذهب صالح لمقابلة المجموعة وبقيت في انتظاره، ولما طال غيّابه استغربت لذلك، وكنت أخشى أن تقلع الطّائرة وتفوتنا الرّحلة بالرّغم من حرصه على السّفر لحضور المؤتمر، هنا أخذت حقيبته التي تركها معي وتوجّهت إلى الفندق، فسألت عن التّونسيين الذين ضربوا له موعدًا هناك، فقال لي الموظّفون: لا يوجد تونسيّون في

الآلاف من الضّحايا التونسيين. أنظر: الطّاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم. شهادة على العصر، مطبعة علامات، تونس، (دون تاريخ)، ص 72.

[1] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشراطي، المرجع السّابق، ص ص 244.

[2] – لقد ذكر المناضل الهادي البكوش في حواره مع مدير قناة الجزيرة الوثائقية السيّد أحمد منصور، أنّ إصرار بن يوسف على مواصلة الكفاح المسلّح بالتّنسيق مع إخوانه الجزائريين بعد التّوقيع على اتّفاقية الحكم الذّاتي في تونس، كان من بين الأسباب الهامّة التي أدّت إلى اغتيّاله على يد خصومه من البورقيبيين. أنظر: شهادة الهادي البكوش، اغتيّال بن يوسف جريمة دولة، ج3، ضمن برنامج "شاهد على العصر" (حصة تلفزيونية)، إعداد وتقديم أحمد منصور مدير قناة الجزيرة الوثائقيّة، 2008.

[3] – حسب ما ذكره المناضل محمد الصّالح كعفار، فإنّ سفر بن يوسف إلى كوناكري كان بدعوة من الرئيس الغيني "أحمد سكوتوري"، قصد حضور المؤتمر التّمهيدي لدول عدم الانحيّاز الذي سينعقد بغينيا تمهيدًا لمؤتمر بلغراد بيوغسلافيا في سبتمبر 1961. أنظر: شهادة محمد الصالح كعفار، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

الفندق!، فزادت حيرتي...، بعد ذلك غاب أحد موظّفي الاستقبال دقيقة ثم رجع وقال لي: هذا مفتاح الغرفة...، اذهبي وتأكّدي بنفسك...،كنت حائرة وخائفة ومضطربة...، اصطحبت معي واحدًا من العرب (لبناني) إلى الغرفة، ولما دخلت وقع نظري على زوجي وهو جالس على كرسي والدّم ينزف بغزارة من رأسه الذي اخترقته رصاصة واحدة من الوراء إلى الأمام ثم ارتطمت بالجدار، وجدتها فحملتها بنفسي إلى البوليس...، لقد وجدنا صالح في غيبوبة كاملة، وبعد نقله إلى المستشفى أجريت له عمليّة جراحيّة لإنقاذه...، أمّا أنا (صوفية زهير) فقد كنت حينها في مركز الشرطة الألمانية أدلي بشهادتي، وفجأة دخلت عليّ إمرة أوفدها المستشفى فعانقتني وقبّلتني وقالت لي: الصّبر يا سيّدتي، لقد مات!، وبعد عشرة أيّام تمّ نقل جثمان بن يوسف إلى مصر أين شُيّدت له مراسيم دفن رسميّة في مقبرة الشهداء بأمر من جمال عبد النّاصر... »[1].

وبناء على ما ذكره الأستاذ عمّار السّوفي، فإنّ الزّعيم بورقيبة قد اعترف رسميّا باغتيّال غريمه بن يوسف يوم 12 أوت 1961، ضمن خطاب له يوم 15 ديسمبر 1973[2]، إلا أنّ الطّاهر بلخوجة يرى بأنّه لا أحد يستطيع أن يجزم القول بأنّ بورقيبة هو الذي أعطى الأمر باغتيّال بن يوسف، معتبرًا بذلك حادث الاغتيّال تجاوز مفرط من حاشيّة بورقيبة[3]، أما المناضل الهادي البكوش، فإنّه يعتبر اغتيّال بن يوسف بمثابة جريمة دولة شاركت فيها الدولة التونسية بأسرها، فهذه الأخيرة ما كان لها أن تغتال بن يوسف باعتبار أنّ لها من الوسائل الأمنية والإمكانيّات القضائية ما يجنّبها من مثل هذه التّجاوزات، فالدولة خلافا لمعارضيها الخواص أسمى من أن تلتجئ إلى سلوك مناف للقانون[4]. ومثله أيضًا يعتبر المناضل محمد المصمودي حادثة الاغتيّال نقطة سوداء في تاريخ بورقيبة[5].

عند هذا العرض يمكننا القول أنّ المشهد التّاريخي لتونس خلال الفترة الممتدّة من عودة بن يوسف إلى تونس في 13 سبتمبر 1955 وإلى غاية اغتيّاله بألمانيا في أوت 1961، هو مشهد عنف

---

[1] – بن الحاج يحي الجيلاني، المرجع السّابق، ص ص 33. 36. (بتصرّف).

[2] – إبراهيم طوبال، المصدر السّابق، ص 49.

[3] – الطّاهر بلخوجة، المصدر السّابق، ص 188.

[4] – الهادي البكوش، اغتيّال بن يوسف جريمة دولة، المصدر السّابق.

[5] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشراطي، المرجع السّابق، ص 246.

وتقاتل ومحاكمات وسجون واتّهامات وترهيب وإرهاب واغتيّالات وإعدامات...[1]، وبعبارة أدقّ هو مشهد حرب أهلية أو ما شابهها، كما يبدو واضحًا لدارسي هذه الفترة أنّ ميزان القوى العسكري قد حسم أخيرًا لصالح التّحالف الحاصل بين بورقيبة وفرنسا، وليس لصالح المقاومة الثانية التي قادها بن يوسف في تحالف مع ثوّار الجزائر[2].

2-2- الاستراتيجية المعتمدة في التصدّي للدّعم اليوسفي للثورة الجزائرية.

لم تكتف قوّات التّحالف البورقيبي الفرنسي بتتبّع اليوسفيين وتصفيّتهم، بل عملت ضمن استراتيجية قضائها على الحركة اليوسفية على إفشال التّنسيق الحاصل بين مقاومي اليوسفية وثوّار الجزائر من أجل الحفاظ على مصالحها الخاصّة، وذلك عن طريق قطع سبل التّواصل والتصدّي لإمكانيّات التّضامن والدّعم القائمة فيما بينهم، من خلال اتخاذ جملة من الإجراءات والتّدابير اللازمة لذلك.

وفي هذا السيّاق، قامت حكومة بورقيبة التي كانت كثيرا ما كانت تتظاهر خلال تلك الفترة بمساندتها للشعب الجزائري المكافح، وتسلك في الواقع سلوكًا هو أقرب إلى الخيّانة والغدر بتجنيد بعض العصابات التونسية التي يقودها عدد من المقاومين التونسيين ممن شاركوا في الثورة الأولى (1952-1954)، لتتولى مهمّة مُطاردة القوافل التي كانت تحمل السّلاح إلى الجزائر تحت إشراف ثوّار الجزائر المتحالفين مع أنصار بن يوسف، ومن أهم هذه العصابات نذكر:

- عصابة القائد "السّاسي الأسود" التي تمكّنت من حجز قافلتين اثنتين من الأسلحة المهرّبة إلى الجزائر عبر تونس بعد معارك داميّة سقط فيها عدد كبير من الجزائريين والتونسيين المتعاونين معهم، الذين كانوا يُرافقون تلك القوافل من أجل توفير الحماية لها[3]، حيث تحدث المناضل "الحاج محمّد بن فرج بن عمّار السبوعي" عن تعرّض مجموعات السّاسي الأسود لقوافل التّسليح، حين أشار إلى مشاركتها بجانب القوّات الفرنسيّة في حادثة الاشتباك التي وقعت مع حُرّاس إحدى قوافل التّهريب بالقرب من قرية "بن غيلوف" بجهة الحامّة في 06 أفريل 1956، أين تمكّنت القوّات الفرنسية المدعومة

[1] - عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 79.

[2] - محمد المختار ناصري، المرجع السّابق، ص 217.

[3] - الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 163.

ببعض العناصر الإضافيّة من مجموعة السّاسي الأسود من حجز كلّ الأسلحة التي كانت تقلّها الجمال (عددها 06) مع قتل اثنين من حرّاسها وأسر اثنين آخرين بعد فرار البقيّة[1].

– عصابة القائد "الحسين بوزيّان" الذي كان يُشرف على بعض المجموعات المكلّفة بحراسة الطّرق المؤدّية إلى الجزائر والقبض على قوافل الأسلحة التي كانت تقطعها، حيث تمكّنت المجموعات التّابعة له بمساعدة قوّات الجيش الفرنسي من حجز كمّية هائلة من الأسلحة الموجهة للجزائر، الأمر الذي أدّى إلى مقتل هذا القائد على يد المقاومين التونسيين المتعاونين مع الثوّار الجزائريين.

– عصابة القائد "محجوب بن علي" التي اختصّت بمطاردة الجزائريين الذي كانوا يلجؤون إلى الأراضي الجزائرية في بعض الأحيان، حيث يتصدّى لهم المحجوب بن علي بإذن من حكومة بورقيبة لمقاتلتهم بجانب الجيوش الفرنسيّة[2].

ومن جهتها أيضًا، قامت السّلطات الاستعمارية مدعومة من طرف النّظام البورقيبي، بإعادة توزيع قوّاتها في المناطق الاستراتيجية بتونس[3]، حيث كثّفت من حراسة التّراب العسكري[4]، ونصبت الكمائن للإيقاع بعصابات التّهريب والاستيلاء على الأسلحة المهرّبة[5]، ولأجل إنجاح هذه المهمّة رصد الجنرال "بواي دي لاتور" جملة من التّجهيزات الأساسيّة لذلك، فخصّص ملياري فرنك فرنسي لفتح معابر الطّرقات والمسالك وإقامة أبراج المراقبة وقواعد الطّيران في المناطق الصّعبة، لأجل تمكين الوحدات الفرنسيّة من التحرّك السّريع بين جبال الوسط والجنوب بما يمكّنها من مطاردة العصابات المسلّحة المشتركة بين ثوّار تونس والجزائر والتصدّي لحركة القوافل المختصّة في نقل وتهريب السّلاح

---

[1]– شهادة المناضل "الحاج محمد بن فرج بن عمّار السبوعي"، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص ص 163. 164.

[3] – I.S.H.M.N, bobine S377, carton 2H138, D n° :2, (réorganisation des troupes française en Tunisie), 15 février 1956.

[4] – تُشير بعض المصادر إلى النّشاط المكثّف الذي كانت تقوم به سلطات الاستعمار الفرنسي في مراقبة التراب العسكري بتونس، من ذلك مثلا أنّ سلاح الجوّ الفرنسي قد أقلع من قواعده المنتصبة في البلاد التونسية خلال الفترة الممتدة من 27 جانفي إلى 02 فيفري 1956 أي في ظرف أسبوع، ما يزيد عن 62 مرّة في مهام حربيّة استطلاعيّة. أنظر .

Le petit matin, 19 février 1956, p 02.

[5] – I.S.H.M.N, bobine s505, carton 2H312, D n° :2, (R. du Dec1955- 25 avril 1957) .

لدعم الثوّار[1]. هذا فضلا عن الخدمات اللوجيستية التي كان يقدّمها المقاومون القدامى من أتباع الدّيوان السيّاسي الذين تمرّسوا بهذه المواقع أثناء الثورة الأولى للسّلطات الاستعمارية في هذا المجال[2].

ونتيجة لهذه الاستراتيجية التي اتّبعتها السّلطات الاستعمارية بالتّعاون مع أنصار الدّيوان السيّاسي، تمكّنت قوّات الجيش الفرنسي من الإطاحة بعدّة قوافل لنقل وتهريب الأسلحة على كامل الشريط الحدودي الشرقي مع ليبيا والغربي مع الجزائر[3]. إذ تشير تقارير الأمن العسكري الصّادرة عن فصائل قوّات الجيش الفرنسي إلى عدّة عمليّات ناجحة له (الجيش) في هذا المجال، منبّهة (التّقارير) إلى ازديّاد تحرّكات الثوّار اليوسفيين والجزائريين في مجال تهريب السّلاح. ومن أهم عمليّات الإطاحة بقوافل تهريب السّلاح نذكر:

- التصدّي لقافلة تهريب الأسلحة بمنطقة "أولاد علي مفدّة" جنوب غربي الفرنانة في 26 أوت 1955، بعد الإطاحة بمجموعة الثوّار المكلّفة بنقل أسلحة هذه القافلة وإيصالها إلى الجزائر، وذلك عن طريق إيقاف عنصر من هؤلاء الثوّار أثناء اجتيّازه للحدود، هذا العنصر الذي مكّن قوّات الجيش الفرنسي من التعرّف على بقيّة الثوّار التونسيين والجزائريين المرابطين بالمنطقة[4].

- إلقاء القبض على قافلة لتهريب السّلاح بمنطقة رأس الوادي قرب الحامّة في 16 أبريل 1956، حيث ذكر التّقرير الصّادر عن جندرمة قابس الممضى من طرف الضّابط "جون باربيي" أنه: « وقع القبض على الثّائر "حسين بن مهدي بن علي" ضمن قافلة لتهريب الأسلحة مؤلّفة من ستّة جمال، وبعد اشتباك المطاردين مع الثوّار اليوسفيين والجزائريين المرافقين للقافلة، تمكّن هؤلاء الثوّار من الفرار بينما وقع "حسين" في الأسر، كما تمّ قتل اثنان من الحامّة والاستيلاء على كميّات كبيرة من الأسلحة والذخيرة التي كانت محمّلة على ظهور الجمال »[5].

---

[1] - Boyer De La Tour, op.cit, p94.

[2] - عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، المرجع السّابق، ص 365.

[3] - عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته.من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 180.

[4] - S.H.A.T, série 2H, carton 2H310, D n° :01,(rapport secret rédigé le 26 aout 1955), N.F

[5] - عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعيّاته، المرجع السّابق، ص 180.

– قيّام الجيش الفرنسي بقطع الطّريق أمام قافلة لتهريب السّلاح بضواحي بن قردان يومي 28 و29 جوان 1956، حيث تمكّنت القوّات الفرنسيّة من إلقاء القبض على مجموعتان تونسيّتان وثلاثة عناصر من الثوّار الجزائريين المكلّفين بحماية تلك القافلة، الأمر الذي مكّنها (القوّات) من الاستيلاء على ما كانت تقلّه الجِمال من أسلحة وذخيرة[1].

إنّ هذه الإجراءات التي أقدمت عليها قوات التّحالف الفرنسي البورقيبي، وإن كانت في حقيقة الأمر قد مكّنتها من الاستيلاء على كميّات هامّة من الأسلحة أثناء تعرّضها لقوافل التّسليح، فإنّها لم تثن عناصر جيش التّحرير التونسي والمناضلين السيّاسيين في المعارضة اليوسفية عن مواصلة التّعاون مع الثورة الجزائرية والتّنسيق مع أفراد جيش التّحرير الجزائري[2]، وهو ما أكّده المقاوم الطّاهر لسود حين تطرّق في شهادته إلى الحصار المفروض على المجموعات التونسية الجزائرية قائلاً: «... أصبحت مجموعات الثوّار التونسيين والجزائريين المرابطة في تونس بين المطرقة والسّندان، فبالإضافة إلى أعدائها التقليديين (الفرنسيون)، كان عليها مواجهة البورقيبيين والمرتدّين (الذين كانوا في صفوف المقاومة وانسلخوا عليها ليصبحوا قادة لجان الرّعاية)، ورغم ذلك فقد ظلّ الثوّار صامدين متمسّكين بمبادئ الكفاح المشترك...»[3].

وأمام هذا الوضع اضطرّت الحكومة التونسيّة إلى تنفيذ خطّة جديدة لعزل المقاومين اليوسفيين عن الثورة الجزائريّة، حيث بدأت تمارس سيّاسة الضّغط على الجانب الجزائري لكي يتخلّى عن عناصر جيش التّحرير التونسي أو يسلّمهم للحكومة التونسية، غير أنّ الجزائريين رفضوا التّعامل مع هذا الطرح جملة وتفصيلا، الأمر الذي دفع حكومة تونس إلى خلق بعض المتاعب والمشاكل في صفوف قادة الثورة الجزائريّة، حيث أتت بعناصر من داخل الجزائر وأوغرت في صدورهم حقدًا على إخوانهم الآخرين، فبدأ الاتجاه المساير للحكومة التونسية داخل الثورة الجزائرية يتّهم الجانب الآخر بأنّه يسير في فلك القاهرة[4] .

---

[1] – I.S.H.M.N, bobine S506, carton 2H313, D n° :01, (Note renseignement du 30 juin 1956), N.F.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 170.

[3] – الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[4] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 171.

وبعد اختطاف أحمد بن بلّة ورفاقه الأربعة في أكتوبر 1956، استغلّت الحكومة التونسيّة هذا الحدث في تصفيّة العناصر الرّافضة للاتجاه البورقيبي في الثورة الجزائريّة معتبرة إيّاهم عملاء القاهرة[1]، حيث قامت بتزويد عمارة بوقلاز –أحد مسؤولي جبهة التّحرير الوطني– بالأسلحة للمشاركة في محاربة أنصار بن يوسف من الجزائريين والتونسيين على السّواء[2]، وترتّب عن ذلك أن حدثت تصفيّات رهيبة في التيّار الوحدوي العروبي، حيث اغتيل السّعيد عبد الحي وعبّاس لغرور اللّذان لم يعترفا بقرارات الصّومام ونتائجه في ظروف غامضة، كما تمّ إعدام لزهر الشريطي ومحمد علي والباهي شوشان وعلي الشكيري بعد أن تمّت محاكمتهم يوم 27 جويلية 1957[3].

وعن هذه التّصفيّات التي تمت في صفوف الوطنيين الجزائريين المؤيّدين للمعارضة اليوسفية في تونس، يقول المجاهد محمّد زروال: «... إنّه من العدل والإنصاف أن نقول بأنّ الكثير من المجاهدين والمناضلين الجزائريين، قد تعرّضوا للسّجن والتّعذيب على أيدي بعض الأطراف من السّلطات التونسيّة، خاصّة في عهد الخلاف السيّاسي الذي كان ناشبًا بين الحكومة التونسية والمعارضة التي كان يقودها المرحوم صالح بن يوسف، باعتبار أنّ الجزائريين كانوا يؤيّدون تلك المعارضة ...، نعم لقد دفع الجزائريّون ضريبة باهظة الثّمن نتيجة لهذا الخلاف الذي وقف فيه البعض منهم موقفا يذهب مذهب المساندة التي كانت تؤمّن في ذلك الوقت بوجوب تحرير المغرب العربي في إطار جيش مكوّن من شعوب البلدان الثلاثة (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)... »[4].

كما أكّد المجاهد محمد زروال تورّط السّلطات التونسية في تصفيّة العناصر المعارضة لقرارات مؤتمر الصومام حين قال: « وبعد مؤتمر الصومام وجدت الحكومة التونسية نفسها مضطرّة لنُصرة مؤيّدي قرارات المؤتمر ونتائجه ممّن أيّدوا سيّاستها المرحليّة، وذلك عن طريق مساعدتهم للوقوف ضدّ

---

[1] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 100.

[2] – محفوظ قدّاش، وتحرّرت الجزائر، دار الأمة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 200.

[3] – محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954–1975)، المرجع السّابق، ص 168.

[4] – محمد زروال، دور المنطقة السّادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية مع دراسة تحليلية للقيّادات العسكرية العليا لجيش التّحرير الوطني في الحدود الشرقية والعلاقات الجزائرية التونسية مدعومة بوثائق لم تنشر، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 321. 322.

معارضيهم في بعض النّتائج، فكانت الحكومة التونسية تلقي القبض على معارضي هذا المؤتمر لأنهم يؤيّدون معارضيها من التونسيين (من أنصار بن يوسف) »[1].

وزيّادة على ما سبق ذكره، قامت حكومة بورقيبة في إطار سعيها للقضاء على التّعاون القائم بين اليوسفيين وثوّار الجزائر، بتقديم شكوى رسميّة لقيّادة الثورة الجزائرية في الدّاخل، تُفيدهم فيها بتضايق السّلطات التونسية من الفوضى والمشاكل التي كان يثيرها الثوّار الجزائريون المتعاونون مع اليوسفيين فوق التّراب التونسي، حيث طلبت الحكومة التونسيّة من قيّادة جبهة التّحرير الوطني في الدّاخل، ضرورة إيفاد مسؤولٍ ممثّل عنها لتسويّة الوضع بتونس، واستجابةً لذلك كلّف عبّان رمضان المناضل حامد روابحية بالسّفر إلى تونس لمعاينة الوضع هناك[2]، أين تمّ له الاتّصال بالوزيرين التونسيين الباهي الأدغم والطيب المهيري، هذان الأخيران اللّذان اشتكيا له تعامل الجزائريين مع المعارضة وشرحا له ما ينتظره المسؤولون التونسيّون من قيّادة الثورة، ملخّصان له ذلك في أمرين رئيسيين هما:

- أن يتخذ الثوّار الجزائريون الشريط الحدودي التونسي قاعدةً خلفيّة للاستراحة، وألا يحوّلونه إلى ساحة قتال مع الفرنسيين.
- أن يلتزموا الحيّاد بخصوص الخلاف الدّائر بين أنصار بورقيبة وأنصار بن يوسف[3].

إنّ قراءة متأنيّة في طلبات الوزيرين التونسيين، تجعلنا نقرّ بإتباع حكومة بورقيبة لسيّاسة التقرّب من مسؤولي الثورة الجزائرية قصد ثنيهم عن التّحالف مع المعارضة اليوسفية، وهو ما نلمسه أيضا من خلال تلك الاجتماعات التي كانت تتّم في القاهرة بين المسؤولين التونسيين والأمين دبّاغين المكلّف بالإشراف على البعثة الخارجية والسيّد أحمد توفيق المدني، والتي عبّر خلالها ممثّلي الحكومة

---

[1] – نفسه، ص 323.

[2] – اتّصل المناضل حامد روابحية بالمسؤول العسكري عبد الحي الأوراسي (المسؤول عن تمرير الأسلحة بتونس والمعارض لأنصار بورقيبة)، وقدّمه للمسؤولين التونسيين على أن يكون المتعامل الرسمي مع الحكومة التونسية، غير أنّ هذه الأخيرة ظلّت تشتكي مرارا وتكرارا من تعاون عبد الحيّ مع المعارضة، وهو ما جعل عبّان رمضان يكلّف روابحية وآيت أحسن بتمثيل جبهة التّحرير الوطني في تونس، أنظر: محمد عبّاس، روّاد الوطنية .شهادة 28 شخصية وطنية، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2005، ص ص 246. 248.

[3] – عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السّبيل للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 257.

التونسية عن استعداد حكومتهم للتّعامل مع الجزائريين وتقديم مساعداتها لهم مقابل تخلّيهم عن التّعامل مع أنصار بن يوسف الذين كانوا يخوضون حرب العصابات في جنوب تونس[1].

وإذا كان الأمين دبّاغين قد اقتنع بأنّ التّعامل مع أنصار بن يوسف قد أصبح قضيّة خاسرة بعد أن سيطرت الحكومة التونسية على الوضع الدّاخلي في تونس، فإنّ هذا الطّرح قد تقرّر رسميّا خلال اجتماع البعثة الخارجيّة لجبهة التّحرير الوطني في أوت 1956، أين تم التّأكيد على ضرورة التّعامل مع الحكومة التونسية بصفة رسميّة[2]، خاصّة بعدما أبدت هذه الأخيرة استعدادًا تامّا لدعم الثورة الجزائرية[3]، وهو ما تجسّد ميدانيّا من خلال التّوقيع على اتّفاقية التّسليح بين الطّرفين الجزائري والتونسي أثناء اللّقاء الذي جمع بينهما بالقاهرة في 22 جانفي 1957[4]، وهي الاتّفاقية التي نصّت على ما يلي:

– تتعهّد الحكومة التونسيّة بنقل الأسلحة الجزائرية التي تصلها عبر الحدود من ممثّلي جبهة التّحرير الوطني، كما تتعهّد بتسليمها لمن تعيّنه الجبهة لهذه المهمّة.

– تكون اللّجنة التي تشرف على هذه المهمّة تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلّفة من ممثلين عن الديوان السيّاسي التونسي وممثلين عن جبهة التّحرير الوطني.

– تتعهّد هذه الهيئة المشتركة بأن لا تتسرّب إلى البلاد التونسية أيّ قطعة سلاح، أو أي جزء من الذّخيرة المخصّصة لصالح الجزائر.

– لا تتمّ عملية النّقل هذه إلا بين الجزائريين المفوّضين من قبل جبهة التّحرير الوطني والتونسيين المفوّضين من قبل الديوان السيّاسي التونسي دون أيّ مشاركة خارجيّة عنها.

---

[1] – محمد حربي، جبهة التّحرير الوطني. الأسطورة والواقع. الجزائر(1954، 1962)، المصدر السّابق، ص 160.

[2] – عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، المرجع السّابق، ص ص 258. 259.

[3] – كلّفت الحكومة التونسية كل من وزير الدّاخلية الطيب المهيري والمناضل أحمد التليلي بملف التّعاون مع الثورة الجزائرية، مقابل التزام الجزائريين بعدم التعرّض للفرنسيين في التّراب التونسي أنظر:

S.H.A.T, série 2H, carton 2H318, bobine S523, D n° :01,(renseignement du 06 juin 1956), N.F

[4] – حضر اللّقاء كل من أحمد توفيق المدني والأمين دباغين ممثّلين عن جبهة التّحرير الوطني، والصّادق مقدّم والطيب سليم ممثّلين عن الحكومة التونسية. أنظر: عبد الحفيظ موسم، الدّعم المادي والعسكري التونسي للثورة الجزائرية (1954–1962)، مجلّة الذاكرة الوطنية، العدد 24، المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، الرباط، 2015، ص 120.

– المسائل الفنية المتعلّقة بتنفيذ هذا الاتّفاق بصفة سريعة وعمليّة، تتولاها لجنة مسؤولة مشتركة مؤلّفة من عضو يعيّنه الديوان السيّاسي وعضو آخر تعيّنه جبهة التّحرير الوطني.

– تبدأ اللّجنة عملها عند مصادقة الرئيس الحبيب بورقيبة على هذا النّص النّهائي بعد رجوع الوفد التونسي للعاصمة التونسية[1].

هكذا يتّضح لنا من خلال قراءة مضمون هذه الاتّفاقية، أنّ الحكومة التونسيّة قد نجحت في فك ارتباط الجزائريين بمقاومي الحركة اليوسفية، باعتبار أنّها فرضت على الجزائريين ضرورة التّعامل مع التونسيين المفوّضين من قبل الديوان السيّاسي وفقط، دون مشاركة الأطراف الأخرى، وبذلك تكون الحكومة التونسية قد سحبت البساط من تحت أقدام مناوئيها من اليوسفيين حين تعهّدت بنقل وتهريب الأسلحة الخاصّة بالجزائريين. وعليه يمكننا القول أنّ الحركة اليوسفية قد تعرّضت للتصفيّة بشكل رهيب من طرف البورقيبيين، هؤلاء الذين سخّروا جهازي الحزب والدولة بعد التّحالف مع فرنسا للقضاء عليها وعزلها عن حلفائها من الثوّار الجزائريين.

3– قراءة في موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية.

3–1– ثنائية النّجاح والفشل في نضال الحركة اليوسفية.

لقد انطلقت الحركة اليوسفية بمعارضة منفردة من قبل صالح بن يوسف لاتّفاقيات 03 جوان 1955، دون أن تشكّل في بداية أمرها خطرًا كبيرًا على مصالح الفرنسيين بتونس، إذ يقول عنها المقيم العام الفرنسي "بواي دي لاتور": « إنّها لم تفقد الفرنسيين شيئًا على شرط ألا تمنح فرنسا لبقيّة أقطار شمال إفريقيا أكثر ممّا منحته لتونس التي تعدّ الأكثر تقدّما في هذا المجال »[2]. وكانت غاية هذه المعارضة تتمثّل بالأساس في إلغاء الاتّفاقيات والاعتراف بالاستقلال التّام، من أجل أن تصبح تونس دولة حرّة مستقلّة، مسؤولة عن اختيّاراتها السيّاسيّة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعن علاقاتها الدولية[3].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكّرات)، ج3، ط2، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 278. 279.

[2] – Boyer de la tour, op.cit,p122.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 16.

ولتحقيق هذه الغايات، اعتمد صالح بن يوسف على استراتيجية المزاوجة بين العمل السيّاسي والعسكري، حيث نجح من خلال نضاله السيّاسي المناهض للاتّفاقيات الفرنسية التونسية والقائم على الدّعاية اليوسفية، في توسيع دائرة المعارضة التي تجاوزت شخصه لتستقطب قسمًا كبيرًا من المجتمع التونسي دون الاقتصار على فئة أو طبقة معيّنة[1]. واستطاع بذلك أن يكوّن حركة منظّمة ترتكز على تنظيم سيّاسي قائم على ترتيب سلمي لمجموعة من الشُّعب المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد التّابعة لجامعات جهوية منضويّة تحت لواء الأمانة العامّة المركزية بتونس التي يترأسها الزّعيم بن يوسف والأمين العام النّاطق باسمها المناضل "حسين التريكي"، حيث تولّت هذه الهياكل السيّاسيّة مهمّة الدّعاية وتأطير قواعد الحركة اليوسفية[2].

كما نجح بن يوسف في بعث عدد من المجموعات (العصابات) المسلّحة لمباشرة العمل العسكري في الجبال والأحراش والمدن التونسية، مشكّلا بذلك جناحا عسكريّا للحركة اليوسفية، ثم تطوّرت هذه المجموعات من حيث التّنظيم العسكري خاصّة بعدما تمّ الإعلان عن تأسيس جيش التّحرير الوطني التونسي، حيث أصبحت تتلقّى الأوامر والتّعليمات من قيّادة جيش التّحرير التونسي، التي هي في الآن نفسه قيّادة جيش تحرير شمال إفريقيا، وذلك عبر لجان فرعيّة مكلّفة بدور الوساطة بين قادة المجموعات والقيّادة العامّة المتواجدة خارج البلاد بالتراب اللّيبي[3]، واستطاعت بذلك أن تتعرّض لأنصار الديوان السيّاسي قصد ثنيهم عن الولاء لحكومة الطّاهر بن عمّار التي تسهر على تطبيق الاتّفاقيات، كما تمكنّت من تزويد المقاومة المسلّحة الجارية بالشّمال الإفريقي بكمّيات كبيرة من الأسلحة والذّخيرة[4].

هكذا يتّضح لنا أنّ الحركة اليوسفية أصبحت عبارة عن حركة "معارضة متينة التّنظيم"، الأمر الذي مكّنها من تحقيق غاياتها المتمثّلة في إلغاء الاتّفاقيات الفرنسية التونسية وتحقيق الاستقلال التّام، حيث نجحت اليوسفية في إرغام الديوان السيّاسي والحكومة التونسية على المطالبة بتجاوز الاتّفاقيات

---

[1] – الهادي البكوش، المصدر السّابق، ص ص 189. 190.

[2] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 501.

[3] – عبد القادر السّمعلي، المصدر السّابق، ص 407.

[4] – عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955–1956)، المرجع السّابق، ص 416.

وعدم الوقوف عندها، وهو ما أقرّ به المجلس الملّي[1] للحزب الدستوري الجديد المنعقد في جانفي 1956، حين أكّد أعضاؤه بالإجماع أنّ الاتفاقيات الفرنسية التونسية المبرمة في 03 جوان 1955 هي اتّفاقيات منقوصة تجاوزتها الأحداث، وبالتّالي لابدّ من تعديلها لاستقرار النّظام التونسي وعدم إثارة الفوضى والعنف داخل تونس[2].

لقد نجحت الحركة اليوسفية أيضًا في إثارة مخاوف فرنسا من تنامي التيّار اليوسفي المعارض بتونس، الذي قد يصل إلى السّيطرة على المجلس القومي التأسيسي[3] عبر انتخابات 25 مارس 1956، بما يمكّن المجلس القومي من الإعلان عن إلغاء الاتفاقيات الفرنسية التونسية، باعتباره جهازًا تمثيليًّا للشعب التونسي[4]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى خشيت فرنسا من تطوّر التّحالف بين اليوسفية والثورة الجزائرية، وبين جيش التّحرير التونسي وجيش التّحرير الجزائري، ممّا قد يؤدي إلى قيّام حرب شاملة بمستعمراتها في شمال إفريقيا وهي غير قادرة على مجابهتها، الأمر الذي جعلها تُسارع إلى دعم الشقّ البورقيبي عن طريق منح الاستقلال التّام لتونس بموجب بروتوكول 20 مارس 1956[5]، وهو ما أفصح عنه المسؤولون في الحكومة الفرنسية حين عبّروا أمام البرلمان الفرنسي في جوان 1956، عن غاية فرنسا من وراء منح الاستقلال لتونس، مؤكّدين أنّ فرنسا وقّعت على وثيقة استقلال تونس لإيقاف الثورة بها، وقطع محاولات التحامها مع الثورة الجزائرية. كما أنّها (فرنسا) سعت إلى دعم الشقّ البورقيبي على حساب التيّار اليوسفي لإيقاف

---

[1] – ركن من أركان الحزب الدستوري الجديد، يتركب من أفراد الديوان السياسي ومن نوّاب عن الشعب الدستورية بتونس الذين لا يتجاوز عددهم الثلاثين نائبا (يقع انتخابهم سنويّا)، يجتمع مرة واحدة كلّ ثلاثة أشهر للنّظر في سير أعمال الحزب ومراقبة الديوان السيّاسي. أنظر: عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955–1956)، المرجع السّابق، ص 97.

[2] – عبد الكريم عزيز، المرجع السّابق، ص ص 392. 393.

[3] – مجلس تأسيسي منتخب مكوّن من 98 عضو، انتخب بعد 05 أيام من إعلان الجمهورية في تونس، وتتمثل مهمّته الرئيسية في إقرار الدستور التونسي. أنظر عبد الجليل بوقرة، المرجع السّابق، ص 17.

[4] – عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955– 1956)، المرجع السّابق، ص 419.

[5] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 33.

المدّ القومي العربي تجاه إفريقيا الشمالية[1]، باعتبار أنّ بورقيبة كان من المعارضين لدخول تونس في الجامعة العربية، إذ يقول في هذا الشأن: « لو كان لتونس أن تختار بين الحلف الأطلسي وجامعة الدول العربية وفي حال ما يكون هذا الأمر بيدي، فإنّها ستختار الحلف الأطلسي»[2].

عند هذا العرض يمكننا القول أنّ الحركة اليوسفية بجناحيها السيّاسي والعسكري قد نجحت إلى حدّ ما في تحقيق هدفيها، باعتبار أنّها قد فرضت على فرنسا ضرورة التّعامل مع الطّرف البورقيبي الذي تبنّى مطالب الحركة اليوسفية لاسيما "مطلب الاستقلال التّام"، غير أنّ هذا النّجاح بقي نسبيّا بدليل أنّ الاستقلال الذي تحصّلت عليه تونس بموجب بروتوكول 20 مارس 1956، هو استقلال في نطاق "التّكافل" مع فرنسا، لذلك اضطرّت الأمانة العامّة للحزب الدستوري الجديد إلى التّحذير من خطورة لفظ "التّكافل" على مستقبل سيّادة تونس[3]، كما اعتبرته اللّجنة التنفيذية للحزب الدستوري "ضغطا خطيرا مرادفا للتّبعية ذات الاتجاه الواحد، عندما يضبط علاقات دولة ضعيفة بشعب قوي"[4]، في حين استبعد الحبيب بورقيبة إمكانيّة تأثير التّكافل بين تونس وفرنسا على مستقبل السيّادة التونسية، حين قال:« لا تنفروا من التّكافل ولا تظنّوا أنّه يمسّ بسيّادتنا»[5].

فعلى الرّغم من الدّور الهام للحركة اليوسفية في دفع فرنسا إلى الاعتراف باستقلال تونس بموجب بروتوكول مارس 1956، إلا أنّ هذه الحركة لم تتمكّن من فرض خطّها السيّاسي المتمثّل في حلّ القضية التونسية عبر هيئة الأمم المتّحدة، طبقا لمبدأ "حقّ الشعوب في تقرير مصيرها"، حيث فشلت في فرض نفسها على فرنسا في إطار التّفاوض الثّنائي وحملها على الاستجابة لطموحات الشعب التونسي بالشّكل الذي يجنّبه الاستقلال في نطاق التّكافل مع فرنسا، الذي يراه بن يوسف كارثة على تونس وعلى الثورة الجزائرية[6]، وتركت بذلك المجال مفتوحا أمام البورقيبية التي سعت بإرادة منها أو

---

[1] – Charles André Julien, op.cit,p59.

[2] – لطفي حجي، بورقيبة والإسلام. الزّعامة والإمامة، دار الجنوب للنّشر، تونس، 2004، ص 74.

[3] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 157.

[4] – "بيان اللّجنة التّنفيذية للحزب الدستوري"، جريدة الاستقلال، العدد 1321، 30 مارس 1956، ص 2.

[5] – الحبيب بورقيبة، خطب، ج1، المصدر السّابق، ص 81.

[6] – عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، المرجع السّابق، ص 423

بعدم إرادتها إلى فرض خطّها السيّاسي المنادي بالتّعاون والتّكافل مع فرنسا على أساس الاختيّار الحر والفائدة المشتركة للبلدين، بحجّة أنه لا توجد في عالم اليوم أمّة من الأمم على اختلاف الملل والنّحل تستطيع أن تعيش بمعزل عن بقيّة الأمم الأخرى[1] .

وزيّادة على ما سبق ذكره، فإنّ الحركة اليوسفية لم يكن لها في حقيقة الأمر تصوّر واضح أو برنامج مسطّر لدولة تونس ما بعد الاستقلال، صحيح أنّ اليوسفية قد جمعت قسم كبير من المجتمع التونسي حول شعار مواصلة الكفاح لأجل تحقيق الاستقلال التّام، غير أنّ مشروع تونس ما بعد الاستقلال بقي أمرًا غامضًا في كرّاساتها[2]. فهل يتعلّق الأمر حسب اليوسفية بالانفصال عن النّظام اللّيبرالي والسّير في طريق الاشتراكية أم العكس؟. وهل تُفضّل اليوسفية التّعامل مع الغرب الأوروبي أم أنها تسعى إلى قطع الطّريق أمام التبعيّة له؟.

أسئلة كثيرة لم تتّضح معالمها ضمن مسيرة النّضال للحركة اليوسفية، لذلك تبدوا لنا وكأنها لم تخرج عن دائرة الحركة الوطنية التونسية ذات الطّابع الإصلاحي عمومًا، حيث كانت عازمة على فرض الاستقلال التّام والتخلّص من الاستعمار الفرنسي والتبعيّة المباشرة للغرب، دون أن تعدّ برنامجًا واضحُ المعالم لتونس المستقلّة[3]. ولعل هذه إحدى أهم نقاط ضعف الحركة اليوسفية، إذ بقيّت حبيسة الحزب الدستوري التونسي عشيّة التّوقيع على بروتوكول الاستقلال التونسي، كما استسلمت أغلب قيّادتها العسكرية وحدثت ردّة كبيرة في صفوف أنصارها بعد تحقيق الاستقلال، بحجة أنّ الأهداف التي كانت تسعى إليها اليوسفية قد تحقّقت بتحقيق الاستقلال التّام[4].

وممّا لا شك فيه، أنّ طغيان الهاجس الوطني لدى أنصار الحركة اليوسفية طيلة مرحلة كفاحها التحرّري الكبرى (أفريل 1955، جويلية 1956)، هو الذي جعل اليوسفية تتصرّف بكلّ طاقاتها نحو تحقيق الاستقلال، حيث ساد الاعتقاد وسط أنصارها بأنّ الاستقلال هو مفتاح لحلّ كلّ المشاكل

---

[1] – الحبيب بورقيبة، خطب، ج1، المصدر السّابق، ص 210.

[2] – Charles Soumagne Et Autres, op.cit, p352.

[3] – Ibid., p355.

[4] – حفيظ طبّابي، البناء الوطني وتحدّيّات الاستقلال، ط1، الدّار التونسية للكتاب، تونس، 2011، ص 145.

الأخرى، وعليه تأجّلت مناقشة محتوى هذا الاستقلال، كما تأجّلت معه مهمّة تقديم برنامج أو تصوّر بديل لما كانت تطرحه النّخبة ذات الثقافة المزدوجة لبناء تونس المستقلة، فأصبحت الحركة اليوسفية نتيجة لذلك عاجزة عن التحوّل إلى قوة سيّاسيّة منظّمة وفاعلة خلال المرحلة التي عقبت الاستقلال. وظلّت عبارة عن حركة لبلورة المخاوف والتّعبير عن الإخفاقات، وهي في نهاية المطاف حركة رفض أكثر منها حركة بناء، فالالتقاء كان أساسًا حول رفض هيمنة بورقيبة وما يحمله من مشاريع لتونس المستقلّة، كما أنّ العجز عن تقديم البديل كان نابع أساسًا من طبيعة هذه الحركة المحافظة التي تميل بدرجة كبيرة إلى المقاومة السّلبية القائمة على محافظة الفلاحين على الأرض ومحافظة الزيتونيين على هويّة البلاد ومحافظة الباي على العرش كرمز للسيّادة التونسية، فهي بذلك حركة تلتفت إلى الماضي أكثر ممّا تنظر إلى المستقبل[1].

ولم تكن طبيعة الحركة اليوسفية وفقدانها لبرنامج واضح المعالم لتونس المستقلّة عوامل كافيّة لفشلها، بل هنالك أسباب أخرى حاسمة في تحديد مصيرها، تتمثل بالدّرجة الأولى في سعي بورقيبة إلى كسب الأوراق الرّابحة إلى صفّه واستخدامها لصالحه، فبفضل تحالفه مع الاتحاد العام التونسي للشغل كسب بورقيبة المعركة السيّاسيّة التي حسم أمرها في مؤتمر صفاقس (نوفمبر 1955) الذي انتهى إلى تبنّي مواقف الحركة اليوسفية وتجريدها في الوقت ذاته من جميع أسلحتها السيّاسيّة[2]، وبرفضه القطيعة مع فرنسا كسب بورقيبة المعركة العسكرية بفعل إبادة القوّات الفرنسية لكلّ من حمل السّلاح ضدّ الاتفاقيات الفرنسية التونسية[3]، وبفضل آلة القمع الرّهيبة التي كوّنها بورقيبة من "لجان اليقظة" و"المحكمة الشعبية"، وتسخير كلّ أجهزة الحزب ودواليب الدولة ضدّ كلّ من عارض النّظام الجديد، كسب بورقيبة بقيّة المعارك الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على حساب الحركة اليوسفية في تونس[4].

3-2- قراءة في علاقة اليوسفيين بالثورة الجزائرية.

---

[1] – واردة المنجي، المرجع السّابق، ص 562.

[2] – نفسه، ص 563.

[3] – سالم الحدّاد، الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام، المرجع السّابق، ص 34.

[4] – عبد الجليل بوقرة، المرجع السّابق، ص 14.

إنّ الدّارس لعلاقة اليوسفيين بالثورة الجزائرية، سيقف بدون شكّ على عدّة مظاهر لتنسيق وتوحيد الكفاح بين مقاومي اليوسفية وثوّار الجزائر، فعلى الرّغم من أنّ صالح بن يوسف لم يكن له دور واضح في الكفاح المسلّح قبل ميلاد الحركة اليوسفية، إلا أنّ العديد من قادة الحزب الدستوري الحرّ خصوصًا العاملين منهم في لجنة تحرير المغرب العربي، قد بدوا متمسّكين بالخيار الثوري إيمانا منهم بضرورة توحيد المعركة ضدّ العدوّ المشترك، حيث لم يكونوا مرتاحين لفصل القضية التونسية عن القضية الجزائرية ولا لمنحى المفاوضات، وتجنّبا منهم لحدوث أيّ انشقاق داخل الحزب، فإنهم قبلوا بمبدأ تسليم الأسلحة كرهًا[1]. وقد عبّر الكثير منهم عن قناعته النّضالية بوحدة المعركة مع الثوّار الجزائريين، وهو ما نلمسه من خلال نصّ الرّسالة التي بعث بها المقاوم التونسي مراد بوخريص إلى الرشيد إدريس يؤكّد له فيها هذا التوجّه قائلا: «... هذا وقد جاء بعد ذلك الحدث العظيم، فثارت الجزائر الباسلة في أوّل نوفمبر وتوحّد الكفاح المسلّح في كامل شمال إفريقيا، وهرع عدد من الوطنيين التونسيين للقتال بجانب إخوانهم الجزائريين منذ اليوم الثاني من نوفمبر 1954...»[2].

هكذا يتّضح لنا وجود تنسيق فعلي (ميداني) بين أنصار الكفاح المسلّح في تونس والجزائر، خلال المرحلة التي سبقت التّوقيع على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس في جوان 1955. إن دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على وجود بوادر لمشروع وحدة المعركة ضدّ الاستعمار الفرنسي بين الوطنيين التونسيين والجزائريين قبل ظهور الحركة اليوسفية، غير أنّ دعائم هذا المشروع لم تتوطّد إلا بعدما تمّ التّوقيع على الاتّفاقيّات الفرنسية التونسية في صائفة 1955، حيث ظهرت الحركة اليوسفية التي أعلن زعيمها بن يوسف عن رفضه القاطع لمضمون الاتفاقيات معتبرًا إيّاها خطوة إلى الوراء وخيّانة لشهداء الوطن ومجاهدي الجزائر والمغرب[3]، كما هدّد بن يوسف بالعودة إلى الكفاح المسلّح من جديد، بعدما قدّم مقترحاته التي تتجاوز حدود الاستقلال الذّاتي لتؤكّد على السيّادة التّامة لتونس في نطاقها العربي الإسلامي[4].

---

[1]– عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية (1954–1956)، مجلّة المصادر، العدد 19، القرص المضغوط الصّادر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010.

[2] – إدريس الرشيد، في طريق الجمهورية (مذكّرات)، المصدر السّابق، ص 330.

[3] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 22.

[4] – عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية، المرجع السّابق.

فعلى هذا الأساس، يمكننا التّأكيد أنّ بن يوسف قد أعلن صراحة عن اندماجه في مشروع الكفاح المغاربي الشمولي عقب التّوقيع على اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي لتونس[1]، حيث طالب خلال شهر أكتوبر 1955 بتكوين جبهة مغاربية متّحدة لمقاومة الغزاة الفرنسيين، كما دعا مقاومي اليوسفية إلى مشاركة الجزائريين في كفاحهم ضدّ الاستعمار الفرنسي لأجل تحرير المغرب العربي، الذي يعتبره عنصر مهمّ لتحرير الأمّة العربيّة، إذ يقول في هذا الشّأن: « إن تونس جزء لا يتجزّأ من الأمة العربية وهي كذلك جزء من الأمة الإسلامية، وإنّ قدرها يملي عليها الوقوف إلى جانب أشقّائها في الجزائر»[2].

إنّ خطابات بن يوسف الدّاعية لمساندة الجزائريين في نضالهم التحرّري ضدّ الاستعمار الفرنسي، هي التي ساهمت في دفع بعض الثوّار التونسيين ممّن رفضوا الحكم الذّاتي بتونس إلى تنسيق النّضال مع الجزائريين من أجل توحيد المعركة ومواصلة الثورة التحريرية في الأقطار الثلاثة، خصوصًا ونحن نعلم أنّ الثورة الجزائرية قد أكّدت منذ الوهلة الأولى لاندلاعها على بعدها المغاربي وتمسّكها بمبادئ الكفاح المشترك التي تبنّاها الوطنيون المغاربة منذ تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة سنة 1948[3]. وللدّارس في علاقات اليوسفيين بالثورة الجزائرية أن يتساءل عن الأسباب الحقيقية التي جعلت صالح بن يوسف يُراهن على الثورة الجزائرية. فما الذي كان يسعى إليه بن يوسف من وراء دعوته إلى تنسيق النّضال مع الجزائريين؟. هل كان يُريد بالفعل توحيد الكفاح لتحقيق الاستقلال التّام في نطاق مغاربي موحّد مثلما كانت تدلّ عليه خطاباته؟، أم أنّ له مآرب أخرى لم تتضّح معالمها في تلك الخطابات؟.

إنّ قراءة مستعجلة لهذه الأسئلة تجعلنا نشعر بموقع التّناقض، لذلك يجب علينا ضرورة التحلّي بالموضوعية في الإجابة عليها انطلاقًا من المادّة العلميّة التي توصّلنا إليها، إذ قادتنا دراستنا للحركة اليوسفية وعلاقتها بالثورة التّحريرية الجزائرية إلى التّأكيد على تضامن وتآزر مقاومي اليوسفية مع الثوّار الجزائريين، خاصّة بعدما أخذت العلاقات بينهما بعدًا تنظيميّا بتوجيه من قيّادة الثورة وصالح بن

[1] – نفسه.

[2] – السّعيد الصّافي، بورقيبة سيرة شبه محرمّة، المرجع السّابق، ص 198.

[3] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 68.

يوسف[1]، وممّا لا شكّ فيه أنّ سعي اليوسفيين إلى تنسيق النّضال مع قادة الثورة الجزائرية خلال المرحلة الممتدّة من جوان 1955 إلى مارس 1956، كان يهدف بالدّرجة الأولى إلى تجسيد مشروع الكفاح المسلّح المشترك لأجل تحقيق الاستقلال التّام لكافّة أقطار المغرب العربي ضمن نطاق الوحدة العربية الإسلامية[2]، وهو ما نلمسه من خلال ما كان يصرّح به قادة الحركة اليوسفية، إذ يقول بن يوسف زعيم المعارضة في هذا الشّأن: «... اعلموا أنّ استئناف الكفاح أمر ضروري لتحرير أقطار المغرب العربي من الاستعمار، وأنّ القبول بالاستقلال الدّاخلي هو خيّانة كبرى لإخواننا في الجزائر ومرّاكش، وهو خذلان لإخواننا في إفريقيا وآسيا من العرب والمسلمين الذين يقفون مساندين لكفاحنا صحبة شعوب دوّل عدم الانحياز، التي اجتمعت وفودها بباندونغ مُبديّة استعدادها التّام في الوقوف إلى جانب كفاح شعوب شمال إفريقيا...»[3].

ومن جهته أيضًا، عبّر المقاوم الطّاهر لسود القائد الميداني للثورة الثانية، في رسالته إلى الثوّار الجزائريين عن رغبته وقناعته التّامة في مواصلة الكفاح لتحرير أقطار الشّمال الإفريقي من سيطرة وعبودية الاستعمار، إذ نقرأ في نصّ رسالته ما يلي: « ... إنّني أتعهّد على مواصلة القتال طالما ظلّت شعوبنا مستعبدة من طرف الاستعمار، وطالما ظلّت فرنسا مسيطرة على شمال إفريقيا...، وسيوحدنا الدين والاجتهاد من البداية إلى غاية تحرير كامل شمال إفريقيا من الاستعمار... »[4].

إضافة إلى ما سبق، فقد كشف الأستاذ يوسف الرويسي في بيان وزّعه على مختلف الصّحف العربية عن مدى ارتباط الحركة اليوسفيّة بغيرها من حركات التحرّر التي تسعى إلى التخلّص من الاستعمار وأذنابه في كافة أقطار الوطن العربي، مؤكّدا في نصّ البيان على استمرار الكفاح بجانب الجزائريين إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام، إذ يقول عن ذلك: «... إنّ حركتنا تنسجم تمامًا مع حركات التحرّر في العالم العربي بما في ذلك فلسطين والجزائر...، لذلك سيستمرّ كفاحنا إلى حين طرد

---

[1] – عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية (1954-1956)، المرجع السّابق.

[2] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 81 .

[3] – عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 123.

[4] – عمّار بن سلطان وآخرون، المرجع السّابق، ص 37.

فرنسا من كامل المغرب العربي...»[1]. ومثله أيضا عبّر المناضل حسين التريكي عن رفضه للاستقلال الأحادي في بلدان الشّمال الإفريقي، داعيّا الشعب العربي في تونس ومراكش إلى مواصلة الكفاح ومساندة الثورة الجزائرية إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام والحقيقي لكافّة بلدان المغرب العربي[2].

إنّ هذه المواقف الصّادرة عن صالح بن يوسف وغيره من الوطنيين التونسيين (اليوسفيين) المؤيّدين له من أمثال: الطّاهر لسود، يوسف الرويسي، حسين التريكي...، هي التي تدلّنا بوضوح على قناعاتهم الرّاسخة بضرورة توحيد المعركة مع الجزائريين للتخلّص التّام من سيطرة المستعمر الفرنسي على الشّمال الإفريقي[3]. ويمكننا الاستشهاد على هذا الطّرح من خلال ذلك التّفاعل الميداني الذي حدث بين الوطنيين التونسيين المؤيدين للطّروحات اليوسفية والثوّار الجزائريين، حيث كان لاندلاع الثورة الجزائرية ورفض مشروع الاستقلال الذّاتي لتونس من طرف المعارضة اليوسفية، دور بارز في تشجيع عدد من الثوريين التونسيين على العودة من جديد إلى الكفاح المسلّح بالتّنسيق مع الثوّار الجزائريين لتحقيق الاستقلال التّام[4]، كما برز التّنسيق واضحًا بين الطّرفين من خلال اندماج جيش التّحرير الوطني التونسي بصفة رسميّة في جيش تحرير المغرب العربي بهدف دعم مساعيه لتحقيق الاستقلال التّام لكافّة أقطار المغرب[5] .

هكذا يتّضح لنا أنّ مطلب الاستقلال التّام، قد دفع مقاومي الثورة الثانية في تونس (1955-1956) إلى تنسيق جهودهم مع قادة الثورة الجزائرية. غير أنّ المتتبع لأحداث المقاومة اليوسفية سوف يتّضح له أيضًا، أنّ أغلب القيّادات اليوسفية قد تراجعت عن الكفاح المسلّح الذي دعا إليه بن يوسف بعد التّوقيع على بروتوكول الاستقلال التونسي في 20 مارس 1956، وفي حقيقة الأمر فإنّ هذا التّراجع لم يتّم مباشرة بعد الإعلان عن الاستقلال، وإنّما تأخّر إلى أواخر ربيع وأوائل صيف 1956، مما

---

[1] – "بيان الأستاذ يوسف الرويسي"، جريدة الزهرة، العدد 15351 ، 08 ماي 1956، ص 2.

[2] – محمد شطيبي، المرجع السّابق، ص 91.

[3] – عبد الجليل التميمي، القناعات والثوابت المغاربية في مسيرة المناضل الكبير يوسف الرويسي، مجلّة الذاكرة الوطنية، عدد خاصّ، المرجع السّابق، ص 140

[4] – رضا ميموني، المرجع السّابق، ص 68.

[5] – فتحي الديب، المصدر السّابق، ص 173. أنظر أيضا: الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 132.

يدلّ على تردّد هؤلاء المقاومين بين البقاء على الولاء لبن يوسف وتلبية نداء الحكومة التونسية بتسليم السّلاح والوعد بالأمان[1].

وإذا كان أشهر المقاومين اليوسفيين قد فضّلوا التخلّي عن بن يوسف، فإنّ ذلك راجع حسب ما أدلوا به من شهادات إلى رغبته الملحّة في القضاء على النّظام البورقيبي، خاصّة بعدما كشف بن يوسف عن نيّته في ذلك من خلال البيان الصّادر عن الأمانة العامّة في 8 أفريل 1956 الذي جاء فيه: «... هكذا تنجلي مشروعيّة مواصلة الكفاح لتحطيم ذلك التّعاقد وتحطيم من سوف يشرفون عليه من المسؤولين التونسيين...، هكذا يؤول كفاحنا في نهاية الأمر إلى تطهير الشعب التونسي من هذه العناصر المجرمة التي ابتلي بها...»[2].

وفي هذا السيّاق يفسّر القائد الميداني للمقاومة اليوسفية الطّاهر لسود، تخلّيه عن الولاء لبن يوسف إذ يقول: « بعد الإعلان عن الاستقلال التّام تحقّقت غايتي، فتركت العمل المسلّح خاصّة بعدما أصبحت غاية بن يوسف هي القضاء على الديوان السيّاسي وعلى بورقيبة»[3]. ومثله أيضًا أشار المناضل حسين التريكي إلى الخلاف الذي حصل بينه وبين بن يوسف بسبب رغبة هذا الأخير في القضاء على بورقيبة ومعارضته لنظام الاستقلال، إذ يقول التريكي في هذا الشّأن: « لقد أصبح بن يوسف مُصرّا على رأيه المتمثّل في القضاء على بورقيبة، وذلك بالرّغم من حصولنا على الاستقلال التّام، وهذا هو جوهر الخلاف الذي وقع بيننا...، ولازلت أذكر تصرّفه معي حين طلبت منه أثناء اجتماعنا بنزل ودّان بطرابلس، أن تعلن المعارضة عن ابتهاجها بالاستقلال، وتشكر بورقيبة على تحطيمه لاتّفاقيات الحكم الذّاتي، حيث ردّ عليّ بوقاحة قائلا: "غلبتك المنستيرية أمتاعك"، في إماءة منه لكوني أصيل المنستير مثل بورقيبة...»[4].

فمن خلال نصّ بيان الأمانة العامّة، وبناء على شهادات قادة المقاومة اليوسفية، يمكننا القول أنّ دعوة بن يوسف لمواصلة الكفاح المسلّح بعد الاستقلال التونسي المعلن عنه في 20 مارس

[1] – عبد القادر السّمعلي، المصدر السّابق، ص 419.

[2] – الطّاهر عبد الله، المرجع السّابق، ص 166.

[3] – الطّاهر لسود، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

[4] – حسين التريكي، تسجيل شفوي، المصدر السّابق.

1956، لم تكن تهدف إلى تحقيق الاستقلال التّام لأقطار المغرب بقدر ما كانت تهدف إلى الإطاحة بنظام الاستقلال البورقيبي، وهو ما نلمسه من خلال نصّ الرّسالة التي بعث بها بن يوسف إلى قيّادته بالدّاخل في 17 سبتمبر 1956، والتي جاء فيها ما يلي: « يجب علينا فصل البلاد التونسية عن حظيرة فرنسا، وذلك بتحطيم النّظام البورقيبي القائم، لأنّه نظام تبتث عداوته للدّين وللشعب والوطن على حدّ سواء»[1].

وحسب ما ذكره الأستاذ عميرة عليّة الصغير، فإنّ غاية صالح بن يوسف من المقاومة المسلّحة لم تكن تقتصر على الاعتراف بالاستقلال التّام للبلاد وخروج الجيوش الفرنسية منها أو دعم الثورة الجزائرية فحسب، بل كانت تهدف أيضًا إلى القضاء على النّظام البورقيبي الذي وصفه بن يوسف بالاستبداد والعداء للعروبة والإسلام[2]، ومثله أيضا يرى الباحث مصباحي حسونة في دعوة بن يوسف لمواصلة الكفاح بالتّنسيق مع قادة الثورة الجزائرية فرصة مناسبة له لكي يحصل على تأييدهم ضدّ نظام بورقيبة بما يمكّنه من تأليب الجماهير التونسية ضدّه[3].

عند هذا العرض يمكننا القول أنّ دعوة صالح بن يوسف إلى مواصلة الكفاح المسلّح خلال المرحلة الكبرى من تاريخ الحركة اليوسفية الواقعة بين صائفتي 1955و1956، كانت تهدف بالدّرجة الأولى إلى تحقيق الاستقلال التّام. وبحكم التقاء الحركة اليوسفيّة واشتراكها مع الثورة الجزائرية حول نفس الهدف (الاستقلال)، برز التّنسيق واضحًا بين مقاومي اليوسفية وثوّار الجزائر على الصّعيدين السيّاسي والعسكري طيلة الفترة الممتدة من جوان 1955 إلى غاية التّوقيع على بروتوكول الاستقلال التونسي في 20 مارس 1956. وابتداءً من هذا التّاريخ فإنّ دعوة بن يوسف إلى استئناف الكفاح لم تعد تهدف في حقيقتها إلى دعم الثورة الجزائرية بقدر ما أصبحت تهدف إلى الإطاحة بالنّظام البورقيبي للوصول إلى السّلطة، خصوصًا بعدما استحوذ بورقيبة وأتباعه على دواليب الحكم، غير أنّ بن يوسف لم ينجح في مطامحه باعتبار أنّ بورقيبة كان قد أحكم قبضته على البلاد بتركيز نظام رئاسي مركّز في

[1] – كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، المصدر السّابق، ص 60.

[2] – عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص 22.

[3] – حسونة مصباحي، رحلة في زمن بورقيبة، ط1، دار آفاق– برسبكتيف للنّشر والتّوزيع، تونس، 2011، ص 94.

شخصه (رئيسا للحكومة ووزيرا للدفاع والشؤون الخارجية)، كما عمل على سلب مطالب الحركة اليوسفية حين أصبح يركّز على مطالب الجلاء وضرورة الوحدة مع دول المغرب العربي.

الخاتمة

يعتبر موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، من أهمّ المواضيع التي تكشف لنا عن جوانب مهمّة من العلاقات الجزائرية التونسية خلال مرحلة حاسمة من التّاريخ الوطني المعاصر، ألا وهي مرحلة الثورة الجزائرية 1954-1962 التي حُظيت باهتمام واسع في الأوساط المغاربية بصفة عامّة، باعتبار أنّها قد تركت منذ الوهلة الأولى لاندلاعها وطوال السّنوات المتعاقبة، انعكاسات كثيرة على تطوّر الأوضاع في بلدان المغرب العربي، بفضل توجّهاتها المغاربيّة المعلنة صراحة من خلال مواثيقها.

فبحكم صلات التّقارب، ومبادئ الشعور بالوحدة القائمة بين الشعبين الجزائري والتونسي، تجسّد التّضامن واضحًا بينهما طيلة الفترة الاستعمارية، وتعمّقت مظاهره أكثر فأكثر خلال مرحلة الثورة التّحريرية الجزائرية. وإذا كان بورقيبة وغيره من أنصار الدّيوان السيّاسي للحزب الحر الدستوري التونسي، قد قبلوا بالاستقلال الذّاتي لتونس سنة 1955، فإنّ الأمين العام للحزب الدستوري التونسي "صالح بن يوسف"، قد أعلن عن رفضه القاطع لاتّفاقيات الحكم الذّاتي في تونس عشيّة التّوقيع عليها، معتبرًا إيّاها خطوة إلى الوراء وخيّانة كبرى للشّهداء ولمجاهدي الجزائر والمغرب.

ولم يكتف بن يوسف بالإعلان عن رفضه لمبدأ الحكم الذّاتي بتونس فحسب، بل شرع في توضيح كلّ التّجاوزات التي تضمّنتها تلك الاتّفاقيات، من خلال تصريحاته الصّحفية وخطاباته اليومية التي مكّنته من كسب شرائح كبرى في المجتمع التونسي، على غرار جماعة الدستور القديم ومنظمة صوت الطالب الزيتوني والاتحاد العام للفلاحة التونسية وبعض المقاومين القدماء من أمثال الطّاهر لسود والطيب الزلاق والطّاهر بن الأخضر الغريبي...، مُشكّلا بذلك الحركة اليوسفية كحركة معارضة للاستقلال الدّاخلي ولسيّاسة بورقيبة في التّعامل مع سلطات الاستعمار الفرنسي.

امتدّ التيّار اليوسفي ليشمل كامل المجال التونسي، مع وُجود تباين في شدّة تركّزه من جهة إلى أخرى، كما ضمّت الحركة اليوسفية في صفوفها عدّة قوى اجتماعية وسيّاسية، ممّن اقتنعت بضرورة مواصلة الكفاح المسلّح في تونس إلى غاية تحقيق الاستقلال التّام لكافّة أقطار المغرب العربي، باعتبار أنّ تونس جزء لا يتجزّأ من الأمّة العربيّة الإسلاميّة، والتقت بذلك في نفق واحد مع الثورة التحريرية الجزائرية التي أكّدت منذ الوهلة الأولى لاندلاعها على مبدأ الكفاح المسلّح كوسيلة للتحرّر من نير الاستعمار، وتحقيق الوحدة الإفريقية داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

فعلى هذا الأساس برز التّنسيق واضحا بين المقاومين اليوسفيين وثوّار الجزائر، إذ قادتنا دراستنا لموضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، إلى التوصّل لمجموعة من الخلاصات والاستنتاجات التي نوردها في النّقاط التّالية:

– إنّ رفض الحكم الذّاتي في تونس، وتمسّك الحركة اليوسفية بمطلب الاستقلال التّام، هو الذي دفع قيّادتها إلى تنسيق جهود النّضال مع قادة الثورة الجزائرية لأجل توحيد الكفاح المسلّح ومواصلة مسيرة التحرّر من الاستعمار الفرنسي، وهو ما تجسّد ميدانيّا على الصّعيدين السيّاسي والعسكري.

– لقد تمّ التّنسيق سيّاسيّا بين قادة كل من الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، من خلال مجموعة من اللّقاءات والاتّفاقيات التي كانت تتمّ بينهما بهدف التّعارف والتّعاون لإعادة إحياء جبهة الكفاح المسلّح بتونس لدعم الثورة الجزائرية، مثل اللّقاء الذي جمع بينهم خلال شهر أفريل 1955 بالقاهرة، والذي انتهى إلى تكوين لجنة تنسيق تجمع بين صالح بن يوسف وأحمد بن بلّة لتنسيق الكفاح المسلّح طبقا للخطّة العامّة لتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة. كما تمّ التّوقيع خلال شهر جانفي 1956، على اتّفاق بين الأمانة العامّة للحزب الدستوري الحر الجديد وممثّلي جبهة التّحرير الوطني بهدف ضبط وتنظيم سبل وآليّات التّعاون بين اليوسفيين والثوّار الجزائريين.

– إنّ اللّقاءات والاتّفاقيات التي كانت تتمّ بين قيّادة كلّ من الحركة اليوسفية والثورة التّحريرية الجزائرية، هي التي أثمرت عن ذلك التّضامن الفعلي والميداني للمقاومين اليوسفيين مع الثورة الجزائرية على الصّعيد العسكري، وهو ما يتّضح لنا من خلال التحاقهم بصفوفها ومشاركتهم الميدانيّة في عمليّات نقل وتهريب السّلاح إلى الجزائر، هذا فضلا عن تشكيل عدّة فرق عسكرية مشتركة بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري، وهي الفرق التي خاضت عدّة عمليّات عسكرية ناجحة ضدّ قوّات الاحتلال الفرنسي على المناطق الحدودية بين تونس والجزائر.

– كان للحركة اليوسفية فضل كبير في فتح النّضال السيّاسي بتونس على آفاق وتوجّهات جديدة، كوحدة المغرب العربي والقوميّة العربيّة، وفي السيّاق ذاته يمكننا القول أنّ الحركة اليوسفية قد ساهمت إلى جانب الثورة الجزائرية في إنماء الشّعور العفوي الموجود بين الجماهير الشّعبية بانتسابها إلى أمّة عربيّة إسلاميّة تتجاوز حدودها حدود البلاد التونسية، وتحويله إلى وعي سيّاسي بالقوميّة العربيّة بمضمونها الوحدوي من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

– يعتبر تحالف الحركة اليوسفية مع الثورة التحريرية الجزائرية وتنسيق النّضال بينهما سيّاسيا وعسكريا، عامل جوهري ورئيسي في إقناع فرنسا بضرورة منح الاستقلال التّام لتونس، وهذا راجع إلى معطيين أساسيين هما:

1) تيقّن فرنسا بأنّ مصالحها ومصالح رعاياها من الفرنسيين بتونس، قد أصبحت مهدّدة بصفة حقيقية خاصّة مع انتشار حالة اللاأمن والفوضى والاعتداءات على المعمرين الفرنسيين، كما أنّ المقاومة اليوسفية قد وضعت في استراتيجيتها محاربة هؤلاء المعمرين واستهدافهم، فخاضت بذلك عدّة معارك تدخّل فيها الجيش الفرنسي بما لم يتدخّل به في السّابق.

2) رأت فرنسا في الحركة اليوسفية خطرا حقيقيّا على وُجودها في الجزائر، باعتبار أنّ استراتيجية جيش التّحرير الوطني التونسي كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى التّلاحم مع جيش التّحرير الوطني الجزائري ضدّ العدوّ المشترك، هذا فضلا على أنّ مقاومي اليوسفية كانوا يمثلون همزة وصل حيوية من الحدود مع ليبيا إلى الحدود مع الجزائر لإمداد الثورة الجزائرية بالسّلاح.

– إذا كانت المعارضة اليوسفية التي نشطت خلال الفترة الممتدّة من نهاية 1955 إلى صائفة 1956 بالتّنسيق مع الثوّار الجزائريين، قد ساهمت بالفعل في إخضاع فرنسا لمطالب الوطنيين التونسيين المتمثلة في إتمام الاعتراف بسيّادتهم على وطنهم وتحقيق الاستقلال التّام، فإنّها فقدت مقابل ذلك حقوقها للنّظر في مستقبل تونس السيّاسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، حين تعرّضت للتّصفية بشكل رهيب من طرف النّظام البورقيبي الذي منح صلاحيّات واسعة للأمن التونسي قصد تتبّع اليوسفيين وتصفيّتهم.

– كانت مبادئ الحركة اليوسفية المتمثلة في رفض الحكم الذاتي والتمسّك بالخيار العسكري كوسيلة لتحقيق الاستقلال التّام لتونس ضمن نطاقها المغاربي العربي، إحدى أهم العوامل التي دفعت الزّعيم بورقيبة إلى التّحالف مع فرنسا للقضاء عليها (اليوسفية)، موظّفا في ذلك جهاز الدولة التونسي (القضاء، قوّات الأمن التونسي...) لتتبّع اليوسفيين وتصفيتهم.

– إذا كان بورقيبة قد تمكّن بعد تحالفه مع فرنسا من هزيمة اليوسفيين، والتخلّص نهائيّا من خصومه بعد وقوف النّظام البورقيبي فعليّا وعمليّا مع الثورة الجزائرية، فإنّ فرنسا قد استطاعت هي الأخرى أن تتجاوز بفضل تحالفها مع بورقيبة كلّ المخاطر التي كانت تحدق بها من جرّاء تحالف اليوسفيين مع ثوّار الجزائر، لا سيما وأنها نجحت في دفع بورقيبة إلى معركة حقيقية للاقتتال بين التونسيين، خسر

فيها الحزب نخبة من خيرة مناضليه في وقت كان من اللازم فيه على بورقيبة أن يوظّف قدراته وإمكاناته لأجل تحقيق وحدة الدستوريين التونسيين.

– لقد ساهمت المعارضة اليوسفية في دفع القيّادة البورقيبية –قناعة أو تحسّبا لسحب البساط من تحت أقدام خُصومها من اليوسفيين– إلى دعم الثورة الجزائرية ورفع شعارات التّضامن المغاربي، غير أنّ هذه الهبّة المسلّحة قد أتت متأخّرة نسبيّا، لأنّها تعارضت مع مصالح فئات جديدة كانت متعجّلة ومصرّة على تركيز سلطتها وإزاحة منافسيها حتى ولو تحالفت مع عدوّ الأمس، كما أنها كانت تهدّد بصورة حيوية استراتيجية الجيش الفرنسي في إطفاء نار الثورة التي تشتعل في الجزائر.

على كلّ، يمكننا القول في جملة واحدة، بأنّ تجربة الكفاح المشترك التي خاضها مقاومو اليوسفية وثوّار الجزائر جنبا إلى جنب، وإن كانت مدّتها الزّمنية قصيرة، إلا أنها أكّدت بعمق على حتمية التّرابط والمصير الواحد المشترك بين أبناء البلدين، حيث استفادت الثورة التحريرية الجزائرية من خدمات اليوسفيين بعدما تنكّر بورقيبة لمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي وقبِل بالاستقلال الدّاخلي لتونس، ومن جهتها أيضا استفادت الحركة اليوسفية من خلال تحالفها مع قادة الثورة الجزائرية في تعزيز مكانتها أمام السيّاسة البورقيبية التي كانت تسعى إلى إقناع التونسيين بالحكم الذّاتي. وأكثر من ذلك فإنّ تحالف اليوسفيين مع الثوّار الجزائريين قد ساهم بشكل كبير في دفع فرنسا إلى الاعتراف بالاستقلال التّام لتونس في 20 مارس 1956. لذلك لا بدّ أن نكون أوفياء لشهداء البلدين وللحقيقة التّاريخية، عندما نؤكّد أنّ التّفاعل الذي حصل بين الوطنيين الثوريين في تونس والجزائر خلال هذه المرحلة، كان لصالح الشعبين التونسي والجزائري معًا.

الملاحق

الملحق رقم 01

العناصر المغاربية التي اختارها الأمير عبد الكريم الخطابي للتدرّب بالأكاديمية العسكرية ببغداد[1]

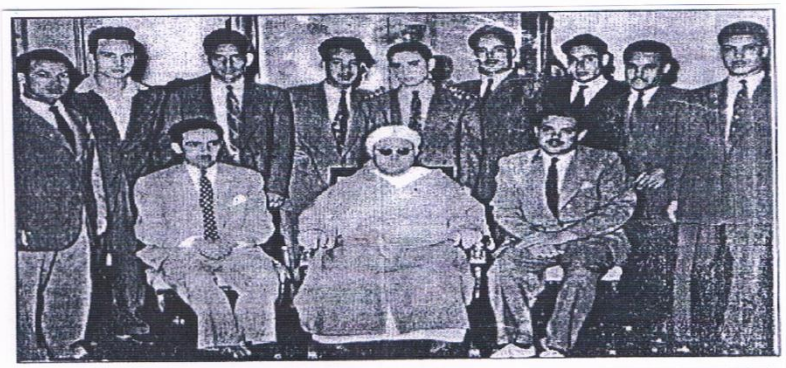

العناصر المغاربية التي اختارها الأمير عبد الكريم الخطابي
للتدرّب بالأكاديمية العسكرية ببغداد

من اليسار وقوفا :
1. محمد الفزاري (المغرب)
2. تركي شياطة (الجزائر)
3. عبد الله العبعاب (بن قردان – تونس)
4. محمد العلوي (المغرب)
5. كاتب بلجنة تحرير المغرب العربي
6. الورياشي (المغرب)
7. سلام محمد (المغرب)
8. الكاتب الخاص للأمير محمد الخطابي
9. أحمد جبارة (المهدية – تونس)

جلوسا : الأمير محمد الخطابي

يتوسّط مناضلين بمكتب المغرب العربي قبل السفر إلى العراق
(أفريل 1950)

1- عمّار السوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعياته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 178.

الملحق رقم 02

الاتّفاقية العامّة بين تونس وفرنسا

(الاستقلال الدّاخلي: 03 جوان 1955)[1].

تعليق:

« اتّفاقية الاستقلال الدّاخلي ثم الاستقلال التّام، لم تفصل بينهما إلا عشرة أشهر، تحققت الحكمة السيّاسية التي عرفت كيف تستغل الظّروف الدّاخلية والخارجية لاستعادة السيّادة التونسية المفقودة كاملة غير منقوصة، والتخلّص النّهائي من الاستعمار التوطيني ».

الفصل الأول: إنّ الاتّفاقيات الحالية تكون كلا واحدا وهي تقرّ بين تونس وفرنسا تعاونا هما عازمتان على توثيقه وتنميّته في جميع الميادين.

ولهذا الغرض تشترك الحكومتان في العمل ضمن هيئات التّعاون المشتركة المنصوص عليها في الاتّفاقيات الحالية وضمن الهيئات الأخرى التي قد يقع تأسيسها إن ظهرت فائدة أثناء المشاورات بينهما.

الفصل الثاني: يبقى العمل جاريّا بالمعاهدة المبرمة في 12 ماي 1881 في القصر السعيد، وبالاتّفاقيات المبرمة منذ ذلك التّاريخ بين الجمهورية الفرنسية وجلالة باي تونس، أمّا المادّة الأولى من اتّفاقية المرسى فقد نسخت.

الفصل الثالث: تعترف الحكومتان بأولوية الاتّفاقيات والمعاهدات الدولية على القانون الدّاخلي.

الفصل الرابع: منذ التّاريخ الذي تتم فيه المصادقة على هذه الاتفاقيات تعترف فرنسا وتعلن الاستقلال الدّاخلي لتونس الذي لا يكون له من الحدود والتحديد، إلا ما تنصّ عليه هذه الاتفاقيات، والاتّفاقيات الجاري بها العمل الآن باعتبار أنّ من المتّفق عليه هو أن شؤون الدفاع والسيّاسة الخارجية تبقى على حالتها الرّاهنة، ويبقى العمل بها جاريّا كما كان ذلك إلى يومنا هذا.

الفصل الخامس: تعترف تونس لجميع الذين يعيشون فوق أرضها بالتمتّع بحقوقهم وضمانات أشخاصهم، وهي الحقوق المنصوص عليها في وثيقة حقوق الإنسان.

وتبعا لذلك فهي تلتزم من ناحيّة بأن تتّخذ جميع التّدابير الفعليّة والقانونية التي تضمن بها للأجانب في نطاق التّشريع الدّاخلي حرية نشاطهم الثقافي والديني والاقتصادي والشخصي أو الاجتماعي، وتلتزم من ناحية أخرى – طبقا لتقاليدها- بالمساواة التّامة بين مواطنيها مهما كانت جنسيتهم أو اعتقادهم الديني، خاصّة فيما يتعلّق بالحقوق المدنية والحرّيات الشخصية والعامة والاقتصادية والدينية والمهنية أو الاجتماعية أو الحقوق الجماعية المعترف بها بصورة عامة عند الدول العصرية.

وفيما يتعلق بالرعايا الفرنسيين فإنّ الاتّفاقيات المؤرّخة بهذا اليوم عن وضعيّة الأشخاص تدقق الحقوق التي تضمنها لهم البلاد التونسية.

الفصل السّادس: طبقا لهذه الاتّفاقيات فإنّ كلا من فرنسا وتونس تعترفان لمواطني الدولة الأجانب فيهما.

ففي روح المقدمة، تتّفق الدولتان على دارسة المبدأ أو الشكليّات التي تنمي لمواطني كل من الدولتين في الدولة الأخرى وسائل الاستقرار وممارسة الحقوق المدنية.

الفصل السابع: اللّغة العربية هي اللّغة الوطنية الرّسمية للبلاد التونسية، واللغة الفرنسية لا تعتبر أجنبية في تونس، والاتّفاقيات الحالية تتكفّل بتحديد نظامها.

الفصل الثامن: تلتزم الحكومة الفرنسية بأن تستشير جلالة الباي في مفاوضاتها الدولية التي تخصّ تونس وحدها والمصالح التونسية، وبأن تحيطه علما بجميع المفاوضات الأخرى الدولية التي تهم البلاد التونسية.

والمعاهدات التي يجب أن تطبّقها البلاد التونسية لهذا الغرض، تُسلم إلى جلالة الباي من طرف الحكومة الفرنسية.

وطبقا للفصل السّادس من هذه الاتّفاقيات فإنّ الدولة التونسية تتخذ- في نطاق استقلالها الدّاخلي- التّدابير الضّرورية التي تخصّ المعاهدات الخاصّة بتونس، قابلة للتّطبيق كما تضمن تنفيذها.

الفصل التاسع: تقدّم الحكومة الفرنسية ترشيح البلاد التونسية للعضوية في المنظّمات الدولية التي ليست فيها عضوا، وذلك عندما تتّفق الدولتان معا على ذلك.

والوفد التونسي الذي يشارك في المنظّمات العالمية ينسجم مع الوفد الفرنسي لتحقيق موقف مشترك يتماشى مع مصالح البلدين.

الفصل العاشر: تعترفان الدولتان بالتّضامن الكامل في ميادين الدفاع والأمن للمحافظة على مصالحهما الخاصّة ، وفي هذا الميدان فإنّهما لا تستطيعان – إلا باتّفاقهما معا- أن تغيّرا أحكامهما الشّرعية والتّنظيمية الجاري بها العمل الآن، وكذلك التّراتيب التي تطبّق بها الإدارة التونسية تدابير الدفاع والأمن.

وخاصة فيما يتعلق بمادّة الإحصاء والتّعبئة والتّلاحم، فإنّ التّشريع التونسي الجاري به العمل لا يمكن أن يتغيّر إلا باتّفاق مشترك بين الطّرفين.

الحكومة التونسية تلتزم – بطلب من فرنسا – بأن تحقّق في البلاد التونسية تطبيق ما يقتضيه التّنظيم العام للدفاع والأمن اللذين تقوم بهما فرنسا في نطاق مسؤوليّاتها الخاصّة ومسؤولياتها في الدفاع عن العالم الحر، ولهذه الغاية ستتألف لجنة عليا يترأسها الوزير الأول، تحضرها السلطات العليا الفرنسية والتونسية التي يهمّها الأمر، وخاصّة ضابط عام من القوّات المسلّحة يمثل مهمّة وزير الدفاع لجلالة الباي.

والمصاريف التي تقتضيها الجندية من الأعمال الممتزجة، تكون على كاهل الحكومة الفرنسية.

الفصل الحادي عشر: المندوب السّامي المبعوث من رئيس الجمهورية لدى جلالة الباي، يتمتّع بجميع السّلطات المعترف بها لحكومة الجمهورية في الاتّفاقيات والمعاهدات الجاري بها العمل، وهو الواسطة في العلاقات بين الحكومة الفرنسية والسّلطات التونسية في جميع المسائل المشتركة بين البلدين، والمندوب السّامي مكلّف بحماية وتمثيل الحقوق والمصالح التّابعة للفرنسيين في البلاد التونسية، ويحضر في العمل وزير مفوّض يخلفه في حالة تغيّبه أو حدوث ما يعوقه.

الفصل الثاني عشر: تُعيّن الحكومة الفرنسية – بعد إعلام الحكومة التونسية – وفدا للمندوب السّامي في كل دائرة من الدّوائر الحاليّة للمراقبات المدنية.

ثم تنظم بعد ذلك هذه الوفود في قوائم أوسع لكي تقوم بتوزيع عددهم حسب تطوّر مهامهم، وهؤلاء الموظّفون يمارسون الوظائف المعترف لهم بها في هذه الاتّفاقيات، والتي يفوّضها لهم المندوب السّامي.

الفصل الثالث عشر: المندوب السّامي والموظّفون السّامون التابعون له وكذلك مندوبوه في الدّاخلية الذين تقدم أسماءهم إلى الحكومة التونسية، يتمتّعون كلهم بحصانة عامة.

وهذه الحصانة تمتد إلى مجال ومكاتب المندوب السّامي ووفوده، وكذلك إلى مراسلاتهم.

والأعضاء الذين يحملون الجنسية الفرنسية من مستخدمي الإدارة الفرنسية، وأعضاء القوات المسلّحة الموضوعين تحت السلطة الفرنسية، يتمتّعون بإعفاء جزئي من الضّرائب التي يقع تفصيلها في نطاق التّدابير المنصوص عليها في الفصل 32 من الاتّفاقية الاقتصادية والمالية.

الأحكام الخاصّة بالنهوض بهذه الاتّفاقية وبتسويّة الخلافات.

الفصل الرّابع عشر: ولتحقيق نهوض متناسق بهذه الاتّفاقيات، اتخذت الأحكام التّالية باتّفاق مشترك:

أ) بمناسبة كل تحويل للمسؤوليّات أو للسّلط أو لمشمولات الأنظار عن العمل بهذه الاتّفاقيات، تتبادل الحكومتان عن طريق المندوب السّامي لفرنسا، المعلومات في خصوص المشاريع التّشريعية أو النّظامية أو غيرها من تدابير التّطبيق التي تهمّ تحقيق التّحويل المذكور.

ب) سيبحث المندوب السّامي لفرنسا باسم الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية باسم جلالة الباي معا، عن حلّ للمسائل التي ستطرح في هذا الخصوص، ويستطيعان كلّما برزت أهمّية القضيّة أن يكلّفا باتّفاق مشترك الموظفين أو غيرهم من الخبراء بإعداد التّدابير اللازمة.

الفصل الخامس عشر: بما لهما من رغبة في التّسوية، تسوية بالتّراضي للنزاعات التي قد تنجم بينهما، تعترف الحكومتان بفائدة التّشاور فيما بينهما، كلّما طرأت صعوبة بمناسبة تطبيق هذه الاتّفاقيات.

الفصل السّادس عشر: يؤسّس مجلس تحكيمي فرنسي تونسي:

1- تتم تسميّة أعضاء المجلس التّحكيمي لمدّة ستّ سنوات:

أ) يسمى ثلاث أعضاء رسميين وعضوان بالنّيابة من جنسية تونسية ومن طرف الحكومة الفرنسية بالنّسبة للفرنسيين، ومن طرف الحكومة التونسية بالنّسبة للتونسيين، ويتم هذا الاختيار من جانب كل حكومة من الحكومتين، حسب قائمة لشخصيات توضع من طرفها وتكون قد تحصّلت على موافقة الحكومة الأخرى.

وفي صورة ما إذا حصل عائق لعضو قار، ينبغي أن يكون النّائب الذي يقوم مقامه من جنسيته.

ب) يسمى عضو يقع اختياره بدون اعتبار لجنسيته باتّفاق مشترك من طرف الحكومتين.

2- ينتخب الأعضاء القارون للمجلس التحكيمي المذكور بالفقرة (1) أعلاه، ومن بينهم الرّئيس وكاهيّة الرّئيس اللّذين يتحتّم عليهما أن يكونا من جنسيّتين مختلفتين، وسيضطلع هذان العضوان المنتخبان بالرّئاسة وكاهية الرئاسة كل عامين بالتّناوب مدّة ستّ سنوات، التي تستغرقها وظيفتهم، ويتواصل نظام التّداول بين الرّئيس وكاهيّة الرّئيس بقطع النّظر عن توالي فترات الست سنوات التي يسمى أعضاء المجلس التّحكيمي لمدّتها.

هذا وللتكوين الأول للمجلس التحكيمي، يتم اختيّار الرّئيس وكاهية الرّئيس باتّفاق مشترك من طرف الحكومتين بمجرّد التّوقيع على هذه الاتّفاقيات، ويتناوبان في وظيفتهما بالنّسبة لفترة الستّ سنوات الأولى كما وقع ذكره في المقطع أعلاه.

وفي صورة تسليم أو وفاة الرّئيس وكاهيّة الرّئيس، أو عضو آخر من المجلس قبل انتهاء المدّة، يخلفه في كنف نفس الشّروط التي انتخب فيها السّلف، ويتمم التّفويض حتى نهاية الأجل، وينبغي أن يكون النّائب من جنسيّة سلفه، إلا في خصوص العضو الذي ذكر في الفقرة –أ– أعلاه.

3– يدعى العضو المذكور في الفقرة –أ– أعلاه للمشاركة في مداولات المجلس التّحكيمي، عندما تتناصف الأصوات في هذا المجلس على إثر مداولة أوليّة.

وفي هذه الصّورة فإنّ أجل الأربعة أشهر المذكورة في المقطع الثالث من الفصل 18، والمخصّص للبت في مجلس التّحكيم، يمدّد إن اقتضت الحاجة بالزّمن الضروري، لكي تفصل مدّة ثلاثين يوما على الأقل اليوم الذي يشارك فيه العضو المذكور في الفقرة– أ– ب– في مداولات المجلس للمرّة الأولى من اليوم الذي يصدر فيه المجلس حكمه.

ويطبّق نفس التّدبير ولأجل شهرين الخاصّ بتأجيل استئناف الدعوى، في صورة ما إذا تساوت أصوات المجلس على إثر مداولة أولية حول التّمديد الطارئ لأجل الشّهرين، ودعي العضو المذكور في الفقرة– أ–ب للمشاركة في مداولة المجلس في هذه النّقطة.

الفصل السّابع عشر: يمكن أن يرفع للمجلس التّحكيمي بطلب من إحدى الحكومتين، كل نزاع حول تأويل وتطبيق هذه الاتّفاقيات، وكذلك جميع الاتّفاقيات التي تقرّر الحكومتان منح المجلس حقّ النّظر فيها.

وتستطيع كل حكومة من الحكومتين أن ترفع دعوى لدى المجلس ضدّ كل خرق لهذه الاتّفاقيات يحصل من تدبير تشريعي أو قرار إداري أو قانوني أو من سلوك فعلي أو إمساك، ينبغي أن يتم رفع الدعوى في ظرف الثلاثين يوما الكاملة التي تلي نشر التّدابير المدعى عليها أو إعلانها.

وفي صورة صدور سلوك فعلي أو إمساك، تكون بداية الأجل من تاريخ الدّعوة الموجهة من طرف إحدى الحكومتين للأخرى، لجعل حدّ لهذا السّلوك أو الإمساك أو لتعويض ما قد يترتّب عنها من نتائج.

وعلى كلّ، فإنّ أجل الثلاثين يوما الكاملة المذكورة أعلاه، يصبح أجل عشرين يوما إذا كانت المسألة تخصّ تدبيرا تشريعيّا أو قرارا إداريّا ذا صبغة عامّة.

الفصل الثامن عشر: يحيط رئيس المجلس التّحكيمي المرفوع له الطلب من طرف إحدى الحكومتين، الحكومة الأخرى علما في الحين بهذا الطلب.

يترتّب عن الإخبار بهذا الطّلب توقيف التّطبيق للتّدبير المتنازع فيه من القرار الذي رفعت في شأنه هذه الدعوى، ولذلك في كلّ مرّة يستأنف فيها طلب مستعجل لهذا الغرض، وينتهي هذا التّوقيف بعد مضي شهرين على تاريخ الإخبار بالطلب إن لم يقرّر المجلس شيئا خلاف ذلك، ويبت المجلس مبدئيا في مدّة أربعة أشهر من التّاريخ الذي رفعت إليه فيه الدعوى، وهذا الأجل يصبح نافذ المفعول عندما يشفع بتدبير تشريعي أو بقرار إداري ذي صبغة عامّة، ويستطيع المجلس في جميع الحالات أن يستدعي بطلب من أحد الطّرفين الطّرف الآخر لاتخاذ التّدابير التي يراها المجلس صالحة.

الفصل التّاسع عشر: وللمجلس التّحكيمي قبل البت في صميم النّزاع تكليف شخص أو عدة أشخاص ينتخبون من بين أعضائه، أو لا ينتخبون بمهمّة التّحقيق عن حقيقة وصبغة الأمور المذكورة من قبل أحد الطرفين.

وتلتزم كل حكومة بأن توفّر للمحقّقين جميع التّسهيلات للقيّام بمهمّتهم.

الفصل العشرون : عندما يلاحظ المجلس التّحكيمي أنّه وقع خرق لهذه الاتّفاقيات، يتّخذ قرارا يفرض على الحكومتين اللتين تلتزمان بصورة علنية باحترامه.

ويستطيع اقتراح التدابير التي يجب اتخاذها لإرجاع الحقّ وإعطاء غرامات إن اقتضت الأحوال.

الفصل الواحد والعشرون: إنّ حضور أربعة أعضاء من المجلس على الأقل فرنسيين، أمر ضروري لشرعيّة المداولات، المداولات تكون سرية وتتخذ القرارات بالأغلبيّة البسيطة للأصوات.

الفصل الثاني والعشرون : يوقع الرّئيس على قرار المجلس التّحكيمي المشتمل على جميع الحيثيات ويقرأ نصّه في جلسة عامة وهذا قرار وجوبي وحاسم.

الفصل الثالث والعشرون : يعيّن مقرّ المجلس التّحكيمي بباريس، ويستطيع المجلس أن يقرّر عقد جلساته في تونس إن رأى ذلك.

يضع المجلس التّحكيمي قوانينه وإجراءاته، وتكون لغة العمل التي يستعملها المجلس هي اللغة الفرنسية وتنشر قراراته باللّغتين العربية والفرنسية.

الأحكام النّهائية

الفصل الرابع والعشرون : تجري استشارات مبدئيا مرّة كل عام بين الحكومتين لدراسة المسائل ذات المصلحة المشتركة.

الفصل الخامس والعشرون : إنّ هذه الاتّفاقيات تقع المصادقة عليها من طرف رئيس الجمهورية وجلالة باي تونس، وتدخل حيّز التّنفيذ في الساعة التي يقع فيها تبادل وثائق المصادقة التي تقع في باريس.

واعتمادا على هذا وقّع المفوضون هذه الاتّفاقية العامّة، وختموها بخواتمهم وكتب في باريس يوم 03 جوان 1955 في نسختين أصليّتين.

1- "نصّ الاتّفاقية العامة بين تونس وفرنسا"، جريدة الصّباح، المصدر السّابق.

الملحق رقم 03

بيان الأستاذ صالح بن يوسف
الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي
حول المصادقة على الاتّفاقيات التونسية – الفرنسية
القاهرة في 12/7/ 1955[1].

وأخيرا صادقت الجمعيّة الوطنية الفرنسية على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية، بأغلبيّة لم يعهد لها نظير في تاريخ الجمهورية الرّابعة حتى في بعض المناقشات التي أصبحت تاريخية وكانت تتناول مستقبل فرنسا ومصيرها.

ذلك أنّ حكومة (المسيو إدقار فور) استطاعت أن تحصل من المفاوضين التونسيين على تنازلات فادحة، جعلت الحكم الذّاتي المعلن عنه من قبل فرنسا خاليّا من مقوّماته الأساسيّة، وأدخلت البلاد في نظام وحدة فرنسية– تونسية، يؤمّل المستعمرون الذين رضوا في آخر لحظة بالاتّفاقيات أن تفشل إزاءها كلّ حركة وطنية تستهدف استقلال بلادنا استقلالا كاملا.

إنّ فرنسا ستظلّ لمدّة غير محدّدة تتحكّم في مصيرنا، إذ تعترف لها الاتّفاقيات بحق إدارة شؤوننا الخارجيّة، وتولّي شؤون الدفاع بصورة مطلقة في بلادنا، تصرفّا مطلقا كلّما دعا إلى ذلك قيّام فرنسا بمسؤوليّاتها الدّولية أو الخاصّة، أمّا الأمن وهو من المقوّمات الأساسيّة لسيّادة أيّة دولة فإنّه سيظّل لمدّة طويلة خارجا عن نفوذه الحكومة، وسوف لا يتمّ توحيد القضاء إلاّ بعد مدّة طويلة مجحفة.

وفي الميدان الاقتصادي والمالي، فإنّ الاتّفاقيّات تقرّ بصورة نهائيّة جميع ما اغتصبه الاستعمار الفرنسي من الثَروة الوطنية، سواء بالنّسبة للأراضي الزراعيّة أو المناجم، أو غيرها.

وستكون نهضة الاقتصاد التّونسي بصفة دائمة تحت رحمة رأس مال الفرنسي، وبذلك يصبح من العبث أن يتغنى بعض التونسيين بقرب خلاصهم من السّيطرة الاقتصاديّة الأجنبية.

عن المؤسّستين الرّئيسيتين للنّظام المقبل الذي سمّيي مخادعة، بالحكم الذاتي، هما "حكومة صوريّة" وبرلمان عديم الصّلاحيات، سيصبحان وُكلاء يُديرون النّظام الاستعماري الذي فرض على تونس منذ 74 عاما.

والآن، قد تمّت المصادقة على الاتّفاقيات، ونُشرت نصوصها، لن يستطيع أحد أن يُقْنَعَ الشّعب التُّونسي بأَنّها تُعَدُّ مرحلة جريئة نحو استقلالنا التّام، والحقيقة أنّها عبارة عن إضفاء الصّبغة الشرعية على نظام استعماري أوشك على الانهيار.

وخلافا لما سبق أن أكّده الرّئيس الحبيب بورقيبة، فإنّ البرلمان الفرنسي عندما صادق على الاتّفاقيات بأغلبيّة تقرب من الإجماع، إنّما عزّز بذلك السّيطرة الاستعمارية الفرنسية على بلادنا.

وإنّي إذ أُصر على معارضتي لهذه الاتّفاقيات، والتّشهير بها على رؤُوس الملأ، ليس ذلك توقعًا لسوء تطبيقها من جانب الفرنسيين، بل لأني أعتبرها في ذاتها خطرًا يهدّد كيان الأمة التونسية، قد يكون من الصَّعب درؤه أو تلافيه.

1- "بيان الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي حول المصادقة على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 04

تصريح صالح بن يوسف في "باندونغ"

إثر ظهور اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي[1].

" إنّ الشّعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقّعها بورقيبة وجماعته مع فرنسا (...)، إنّ الاتّفاقيات تنصّ على أنّ فرنسا لها الحقّ وحدها في التصرّف في مصيرنا الخارجي والدفاعي، وأنّ الدولة التونسية تلتزم بأن تسخّر لفرنسا البلاد وأهلها وثروتها إذا ما احتاجت فرنسا لذلك، بموجب اتّفاقياتها الدولية، كالدّخول في حرب طاحنة لا ناقة لنا فيها ولا جمل، إنّ الشعب التونسي يردّ اليوم بعنف على الدّعاية المنظّمة والموجّهة التي قام بها الوزراء المفاوضون التونسيون في سائر أنحاء البلاد التونسية لاغتصاب موافقة الشعب، ولو موافقة ضعيفة على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية.

وفي هذه السّاعة الخطيرة من تاريخنا الوطني، أوجّه نداءً أخيرًا إلى حكومتنا وإلى أعضاء وفد التّفاوض التونسي ليتحمّلوا مسؤوليّاتهم، إنّ سلامة الوطن يجب أن تقدّم على كلّ اعتبار سواء كان مبعثه التدبير في الخطّة أو الانتهازية السيّاسية، إنّ الاتّفاقيات كما نشرتها الإقامة العامّة الفرنسية بتونس في 8 و9 ماي، يجب ألا يوقع عليها ولو بالأحرف الأولى، فإنّ أيّ وطني تونسي مهما علا لا ينبغي له أن يتجاوز الإرادة الوطنية، إنّ الشعب التونسي يرفض تلك الاتّفاقيات، وفرضها على الشعب معناه إعلان الحرب عليه، وإني واثق من أن المفاوضين التونسيين سيعيدون النّظر في مواقفهم بناء على ذلك الاعتبار".

1- عمّار السّوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 260.

الملحق رقم 05

مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف

بجامع الزيتونة يوم 07 أكتوبر 1955[1]

" أيّها الإخوة المؤمنون، أحيّيكم من هذا المسجد الإسلامي العظيم الذي كان ولا يزال يشعّ منه نور الإسلام الخالد، ومن هذا المحراب التّاريخي الذي ينطق كلّه مجدًا وعروبةً وإسلامًا.

أحيّيكم تحيّة الإسلام الخالدة، تحيّة أحملها لكم من أعماق قلبي، قد حمّلني إيّاها إخوانكم العرب والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، من مصر إلى ليبيا إلى الشام إلى بغداد إلى أفغانستان إلى باندونغ، إلى يثرب مدينة الرّسول الأعظم عليه ألف صلاة وسلام (...)، إنّ أولئك الإخوان العرب والمسلمين الذين يبلغ عددهم 400 مليون، يهيبون بكم أن تكافحوا (...)،أن تضحّوا بكلّ عزيز وغال لتحرير هذه الأرض التونسية تحريرا كاملا شاملا، وتحرير المغرب العربي كلّه من ربقة الاستعمار الفرنسي البغيض، وحتى تبقى أرض المغرب العربي أرضا عربية مسلمة لا يدنسها شبح الاستعمار، يهيبون بكم أن تشدّوا بعضكم بعضا كالبنيان المرصوص، وتقفوا صفّا واحدًا مترامياً لتحطيم هذه الاتّفاقيات التي اعترفت للاستعمار بما لم تعترف به معاهدة باردو سنة 1881، وهي المعاهدة التي أبقت لتونس شؤون السيّاسة الخارجيّة، والأمن والجيش وكذلك الشؤون الاقتصادية (...)، أمّا الاتّفاقيات الأخيرة فقد جرّدتنا صراحة من السيّادة الخارجية والأمن والجيش وأبقت اقتصادنا تحت رحمة فرنسا.

إنّ الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها تحت رحمة فرنسا (...)، إنّ الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها في أيد أجنبية (...)، إن هو إلا استقلال زائف وخدعة استعمارية ".

1- "مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف بجامع الزيتونة"، جريدة الصباح، العدد 1161، المصدر السّابق.

الملحق رقم 06

تصريح الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف
على إثر قرار الرفت من الحزب[1]

" طالعت بالصّحف التونسية الصّادرة بتاريخ 13 أكتوبر 1955، قرارا من الدّيوان السيّاسي ممضى من الرّئيس الحبيب بورقيبة، يقضي بتجريد الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي من الأمانة العامّة للحزب، ومن عضوية الحزب وإني بوصفي الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي عامّة، أعلن أنّ القرار المذكور لم يكن صادرا عن ذي أهلية أو صلاحيّة حسب قوانين حزبنا، ولذا فإنيّ أعلن بطلانه من أساسه، مؤكّدا استمراري على مباشرة مسؤوليّاتي الحزبية وعملي السيّاسي الذي يتّفق وحده والمبادئ الوطنية المقدسة، تلك المبادئ التي طالما أعلنها وأكّدها حزبنا العتيد، وإنيّ في ذلك أعتبر نفسي مازلت ولن أزال الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي. وفّقنا الله جميعا لما فيه خير البلاد والعباد...".

صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري التونسي

1- "خطاب معالي الزعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي بعد قرار الرفت"، جريدة الصباح، العدد 1167، المصدر السّابق.

الملحق رقم 07

خريطة توضّح تركز الشعب اليوسفية عبر المجال التونسي[1]

1- محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 40.

الملحق رقم 08

خريطة توضّح توزّع الحركة المسلّحة اليوسفية عبر المجال التونسي[1]

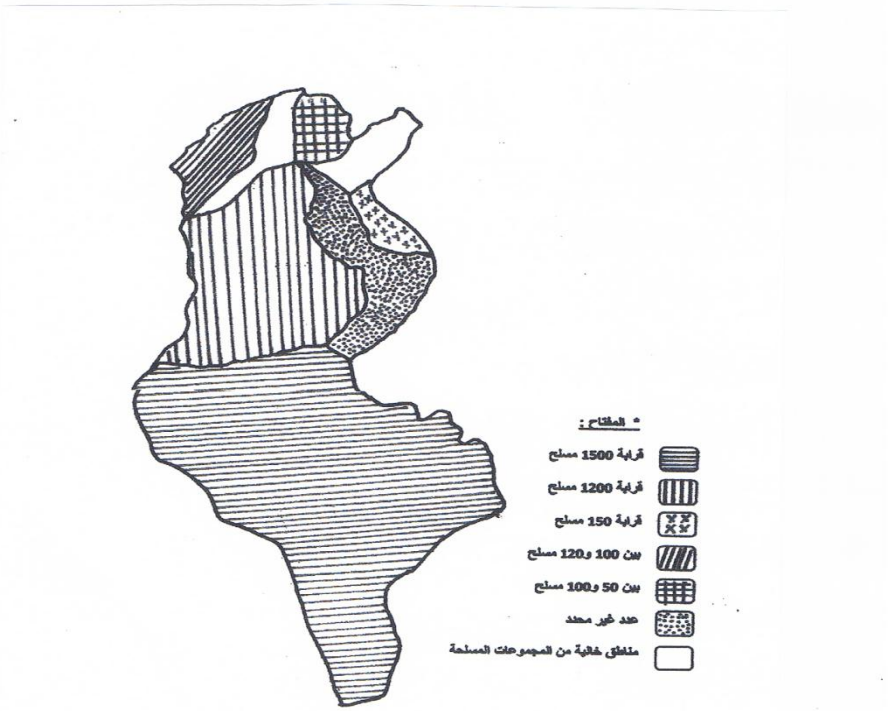

1- محسن الخميري، المرجع السّابق، ص 68.

الملحق رقم 09

خطاب صالح بن يوسف عن الاتفاقيات وعن قضيتي المغرب والجزائر[1]

الزعيم الاستاذ صالح بن يوسف يلقي خطابا

توجيهيا جامعا يتحدث فيه عن الاتفاقيات، وعن قضيتي المغرب والجزائر

محذرا ابناء الجزائر من الوقوع في فخ التفرقة وعن قرارات مؤتمر بادونغ

وعن اقرار حرية الراي في البلاد التونسية (٢)

9-10-55

تنشر فيما يلي بقية خطاب الزعيم بن يوسف الذي القاه في جامع الزيتونة المعمور :

ايها الاخوان

من هذا المحراب التاريخي العظيم ادعوكم واقول لكم ان التاريخ لا ينتظرنا وان احداثا تاريخية هامة حدثت وبجانبنا وشمالنا وامامنا وقد يجوز ان لا تتكرر تلك الاحداث ولا ننتظر نا ارجوكم ان تكفوا عن الاستجداء والطرب للامال الجسام التي اصبحتم تعلقون اليها في هذا العهد الجديد عهد البناء والتشييد فللنضال انفسنا ثم يكون البناء والتشييد ؟

ارجوكم مخلصا ان تعقدوا العزم وتصمموا على العمل ومواصلة الكفاح الذي توقف وما ذلك الا لان فرنسا كما عهدتها وجدت بغيها وكان ذلك الوعد قد اعتبرناه جميعا مرحلة في سبيل اهدافنا السامية ولكن فرنسا لما تكشف مهدها وامضجعت منا ذلك الغبي الموعود به حتى اصبح اسما بلا مسمى وحتى كان اخواننا المغاربة ـ عدام الله ـ ربما توبطوا او اغتروا او اغتاظوا واصبحنا مقيدين بهذه الاتفاقيات لكن هذا التقييد لا يلزم الشعب التونسي ولا الحزب الحر الدستوري التونسي اذا لان الحزب الحر الدستوري الى الان ولان التنظيمات القومية كمنظمات تتكون من تشكيلات والحزب الحر الدستوري كمنظمة تتكون من تشكيلات دستورية كبرى ـ ليس فيها ترخيص قد اقرنا شبيه بالاتفاقيات فالحزب والمنظمات والشعب التونسي كله هو الان في حل بان يلغي ويرفض هاته الاتفاقيات وان يواصلوا العمل لتحقيق الاهداف التي من اجلها استشهد اخواننا بالالاف والتي من اجلها يستشهد اخواننا بالجزائر ومراكش اليوم ولنتحالف العمل مع اخواننا في المغرب والجزائر لنصل الى مرفأ الامن و نحقق اهدافنا السامية

نصيحة للجزائريين

واني من هذا المحراب اتوجه الى اخواننا الجزائريين واقول لهم :

انتبهوا لكل ما يراد بكم من تقسيم في الصفوف وتفريق للوحدة فكانت السلط الاستعمارية تحاول أن توجد فرقة وشحناء بين بني مزاب وبقية ابناء الجزائر حتى اصبح البعض من الجزائريين يعير اخوانه من بني مزاب العداء وخصوصا لمجرد اختلاف في المذاهب فاحذروا كل الحذر من التفرقة والمناورات التي تبثها الشركات الاستعمارية التي تريد ان تستعمد على الشركات التي يستغلها بنو مزاب

فانا من هذا المحراب اتوجه لهم قبيلة : ان القوة ليست في المدافع والبنادق

وتحن اذا ننتقد ونستنكر ، نرفض الاتفاقيات التونسية الفرنسية

(البقية على الصفحة الرابعة)

1- "الأستاذ صالح بن يوسف يلقي خطابا توجيهيّا جامعا يتحدث فيه عن الاتّفاقيات وعن قضيتي المغرب والجزائر"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 10

تصريح صالح بن يوسف

حول منهج الجزب الدستوري في الحاضر والمستقبل[1]

128 — 1-11-55 — الصباح — 2

الصفحة الرابعة

منهج الحزب الدستوري في الحاضر والمستقبل

(بقية المنشور على الصفحة الاولى)

الوطنية نفسها . وانه ليوسفني حقا ان ارى شعوب العالم تتحرر بحق بينما نرى مبادلات الاستقلال الداخلي المزعوم تدوم عاما او اكثر فلا يسق صبح من الحرمانات واللابسات اللفظية للترويج بها على ضحاياء العزائم القومية واضحاب المراحل الوهمية للحرية والاستقلال

انه ليس من حق احد ان يتحكم في مصير الشعب التونسي غير الشعب التونسي نفسه ولقد قال ذلك الشعب بجميع طبقاته كلمته بان ما يسمى بالاتفاقيات التونسية الفرنسية للاستقلال الداخلي ان هو الا خلقة استعمارية وضعت حول عنق الشعب التونسي ليبقى لا قدر الله ضحية ذليلا يجري وراء اسياده وفي ارباقهم الى الابد .

ولكن هيهات ان يتم ذلك وفي التونسيين من يجهر بالحق فيقولها للاستعمار وليشرذمة الديوان السياسي اخباءه بصوت اسمع الدنيا كلها ... لا ، لا ، مئات (لا ، لا ،) فلا تتوهموا ايها المضللون باطلكم حقا ولا تظنوا ظلمكم الاثم عدلا . ان الشعب التونسي شعب عربي مسلم وانه يرفض رفضا باتا ، لا رجوع فيه ، تبعيته الدائمة لغير المجموعة العربية الاسلامية وانه اخذ قراره النهائي لاسترجاع السيادة التامة والاستقلال الكامل مؤيد المخلصين المستعمرين وهو يدعو الى تحقيق ذلك ، بجميع السبل السلمية مع الطرف المقابل وعن مفاوضات ليست لها قواعد ملموة وملتبسة بل عن قاعدة واحدة وواحدة فحسب الاوهي الاستقلال التام بما في ذلك سيادتنا الخارجية وسيادتنا في الدفاع الوطني وستاعدها في الاقتصاد ، على ان نراعي في تطاق ميثاق الامم المتحدة بعض المعاملات والاعتبارات التي لا تتعارض وكيان استقلالنا وحريتنا وسوف تكون آخر من يعتبر ان حلول الصف هي الحلول الضرورية التي لا مناص منها لانها تؤمن ان في الشعب الفرنسي قيما عالية وبخيا واعية تحمينا على حقن الدماء وعلى جعل حد للتلاعب اللفظي الذي دام اربعا وسبعين سنة وآل اخيرا الى مأساة الاتفاقيات التونسية الفرنسية

وانه ليحزننا ان تصبح حالة المغرب العربي على ما نرى من دماء وقتلى وتخويه وتخريب لان اولئك القتلى اخوان لنا وذلك التدمير والتخريب يقع في وطننا

يحزننا ذلك ويحزننا اكثر منه ان فرنسا ان مالت بعد تلك الكوارث الى حلول فانما تميل اليها على انها حلول سقطاعية لا تعالج المشكل في جوهره ولا تتصل بصميم آمال المغرب العربي المتوثب الى الحرية والاستقلال الحرية الحقة والاستقلال الجد وذلك ما وقع للاتفاقيات التونسية الفرنسية فانها برغم ما احيط بها من تطبيل وتزمير انكشف امرها وانهار جدارها في طرف اسبوع واحد من تاريخ هجومي عليها وانا بالوطن العزيز وذلك ليس لغوة خارقة في اسلوبي الخطابي ولا لمعجزة تتصل بشخصي بل لان مواثيق الاتفاقيات تمثل مهزلة حقيقية ولان الشعب التونسي الواعي ذلك الشعب الذي التحق بدعوتي وتجمع حولها في هجومي لم يكن ضباعيا يستسلم للعميل والمكائد ويومن بشموع التضحيح ولانه شعب يقدر الجواهر لا الاعراض ويومن بالمبادئ، لا بالاشخاص وانني شخصيا اعلن من هنا بان لكل تونسي ان يقوم ويقلعني عن اي باطل يراه مني لاعتافات بن يوسف بن يوسف » وهل انا خير من عمر الفاروق رضي الله عنه اذ قال « من راى منكم اعوجاجا فليقومني »

ايها المواطنون الاعزاء : لا مجال اليوم لدرس الاتفاقيات واظهار معائبها فقد اجبلنا ذلك عدة مرات في خطب وتصريحات وتشريحات دروس تلك النصوص واعطائها قيمتها الحقيقية نحب من المثقفين التونسيين الذين يقشعر بهم الوطن وهم رصيده الدائم . وواجبكم ايها المواطنون ان تقدروا ان الزمن يسير وان من تتخلف عن ركبه فقد تعثر في السير وسباق وكب الزمن عسل الهلاك ولنا في سيرة اسلافنا المياميين ممن بنوا الحضارة العربية الاسلامية اعظم مثال وخير دليل وحسبنا الله ونعم الوكيل (متافات)

ايها المواطنون الاعزاء اقيم الدليل للشرق والغرب للصديق والعدو على انكم ناهضون حقا ومدركون حقا وواعون حقا وذلك بموقفكم ازاء الاتفاقيات رغم وسائل التخدير المختلفة والانقسام التي حاولوا بها تحويل وجهتكم وتغيير سبيلكم وموقفكم ذلك هو بصدق فخر لكم ومجد اثيل للوطن المفدى

وانني اتوجه من هنا الى جميع سكان بلادنا على اختلاف الاديان والجنسيات باننا بعددهم كساكنين يقومون بواجبهم وتجترمهم كضيوف اجلاء وتطمئنهم باننا اعداء للعنصرية واننا اعداء الظلم واننا اعداء للكبر والحديعة وقد علموا منا صراحتنا في وغباتنا واماناتنا وليعلم اليوم ايضا اننا لا نخاف احدا ولا نمكر بطائفة او جماعة فهم في المجموعة البشرية اخوان وهم في بلادنا ضيوفنا ونحن العرب اكرم الناس للضيف (تحي يا ابن يوسف)

ولا يفوتني ان انوه بفضال رجال الدين المسيحي فقد كانوا ازاء حوادث المغرب العربي — وكان احراجهم على الخصوص — في موقف يبعث في المومنين الاعتزاز بالايمان وتقدير الرابطة الالهية العظيمة « ان الله يامر بالعدل والاحسان » وذلك اعظم دليل على ان الانظمة الدينية يمكن ان تتقارب وتتجاوب في عالم يسمو بفضائله بعيدا عن مبادىء اللاتكية والالحاد وهو دليل ناصع على قوة وصدق دعوتنا للتمسك بعروة الاسلام الوثقى التي لا انفصام لها ودليل على ان اهل الكتاب اقرب الناس الى الخير واعدل الناس في الحكم وامياهم الى الفضيلة

ايها المواطنون الاعزاء ، ها هي صور امام عيني تبسم لذاتي وتصفق تاييدا لاقوالي انها صور لارواح اخواننا شهداء وشاكر وحفوز ومن جاهم جموع

1- "منهج الحزب الدستوري في الحاضر والمستقبل"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 11

تصريح الزّعيم صالح بن يوسف عن الحد الأدنى لقبول

الاتفاقيات التونسية الفرنسية[1]

الصباح

الاحد ٢٠ ربيع ١ ١٣٧٥ — ١٩٥٥
٦ نوفمبر
عدد ١٢٨٩
السنة الخامسة
الثمن ١٥ فرنك

الزعيم الكبير الاستاذ صالح بن يوسف يذكر للصحافيين

الحد الادنى لقبول الاتفاقيات التونسية الفرنسية

ويشرح لماذا رفض ان يؤلف حزب معارضة عند ما طلب منه ذلك

نشرنا في عدد الامس تحت عنوان : الزعيم الكبير الاستاذ صالح ابن يوسف يعقد ندوة صحفية يكشف فيها المؤامرة المدبرة ضد الامانة العامة للحزب ، نص البيان الذي القاه ارتجالا الامين العام للحزب الحر الدستوري اثناء الندوة الصحفية التي عقدها اول امس بمكتبه ، ونعود اليوم فننشر فيما يلي الاسئلة التي وجهها له الصحفيون وردوده عليها

عند ما فرغ الاستاذ صالح بن يوسف من القاء بيانه وجه اليه الصحفيون الحاضرون عدة اسئلة رد عليها على النحو التالي :

س — تحدثت عن برنامج يشمل الحد الادنى من مطالبك فما هو هذا البرنامج ؟

ج — لم اتحدث عن برنامج ادنى ولكني تحدثت عن ادنى حد من الشروط التي كان يمكنني — لو توفرت — ان اقبل الاتفاقيات وهذه الشروط هي :

١ — عدم توكيد معاهدة باردو لا صراحة ولا ضمنيا

٢ — تسليم سلطات الامن الى التونسيين فور التوقيع على الاتفاقيات

٣ — الحرية الكاملة في الميدان الاقتصادي والمالي مع التوفيق بينها وبين بقائنا في حظيرة الفرنك

٤ — تونسة السلطة القضائية في اجل لا يتجاوز خمس سنوات على ان يحذف بعد ذلك الاجل كل قضاء فرنسي

٥ — لم يعترف ابدا بالشؤون الخارجية وشؤون الدفاع في معاهدة على انها من اختصاص فرنسا وحدها

٦ — عدم التعهد بتاتا بان تعطي ضمانات لمصالح اصبحت امتيازات حقيقية والاحتياط لكي لا تخرج تلك المصالح والامتيازات مهما يكن نوعها عن اختصاص القانون التونسي

ولقد قدمت هذه الشروط الى المتفاوضين التونسيين واني ما زلت املك الوثائق التي تثبت ذلك وهي وثائق ستصدر في (كتاب ابيض) سينشر قريبا

س — لقد ذكرت في معرض حديثك ان الديوان السياسي اصبح يستخدم جهاز الدولة لتحقيق اغراضه فهل يمكنك ان تشرح لنا ذلك ؟

ج — اذ ما سوق لكم مثالا حصل عند ما سافرت الى الشمال الغربي . ان وزير الداخلية يامر من جهة بان يجرد رجال الامن من السلاح ومن جهة اخرى يسمح للعصابات المسلحة التي قدمت من فيريفيل وماطر وبنزرت والساحل بان تدخل الى بلدة سوق الاربعاء آمنة مطمئنة رغم انها عند دخولها اعلنت عن وجودها باطلاق عبارات نارية في الفضاء . فاعضاء الديوان السياسي المشاركون في الحكومة يهيئون الجو المناسب من جهة وبقية اعضاء الديوان السياسي ترسلون العصابات المسلحة

س — ذكرت ايضا ان محاولات اغتيال قد وقعت فهل يمكنك ان تفيدنا ببعض التفاصيل ؟

ج — عند ما غادرت قافلة السيارات تونس في طريقها الى سوق الاربعاء وبعد ما اجتزنا مجاز الباب استبدلت السيارة التي كنت فيها بسيارة اخرى بناء على ما وصلني من معلومات تفيد ان السيارة التي اركبها ستستهدف للاغتيال وقد كان ذلك فعلا عند مرور القافلة بجسر وادي باية قبل هذه المدينة ببضعة كيلو مترات

س — يقال ان الاستاذ الحبيب بورقيبة عرض عليك ان تؤلف حزبا جديدا وانك رفضت ؟ لماذا ؟

ج — لقد عرض علي ذلك الاستاذ الحبيب بورقيبة فعلا ولكني رفضت لاني من مؤسسي الحزب الحر الدستوري ومن الذين عايشوا وعاشوا تطوره واني لذلك اعرف منهاجه ومذهبه القومي واعتبر ان الديوان

(الفيه على الصفحة السادسة)

1- " الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف يذكر للصحافيين الحد الأدنى لقبول الاتّفاقيات التونسية الفرنسية"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 12

بيان المناضل حسين التريكي إلى أبناء السّاحل المكافح[1]

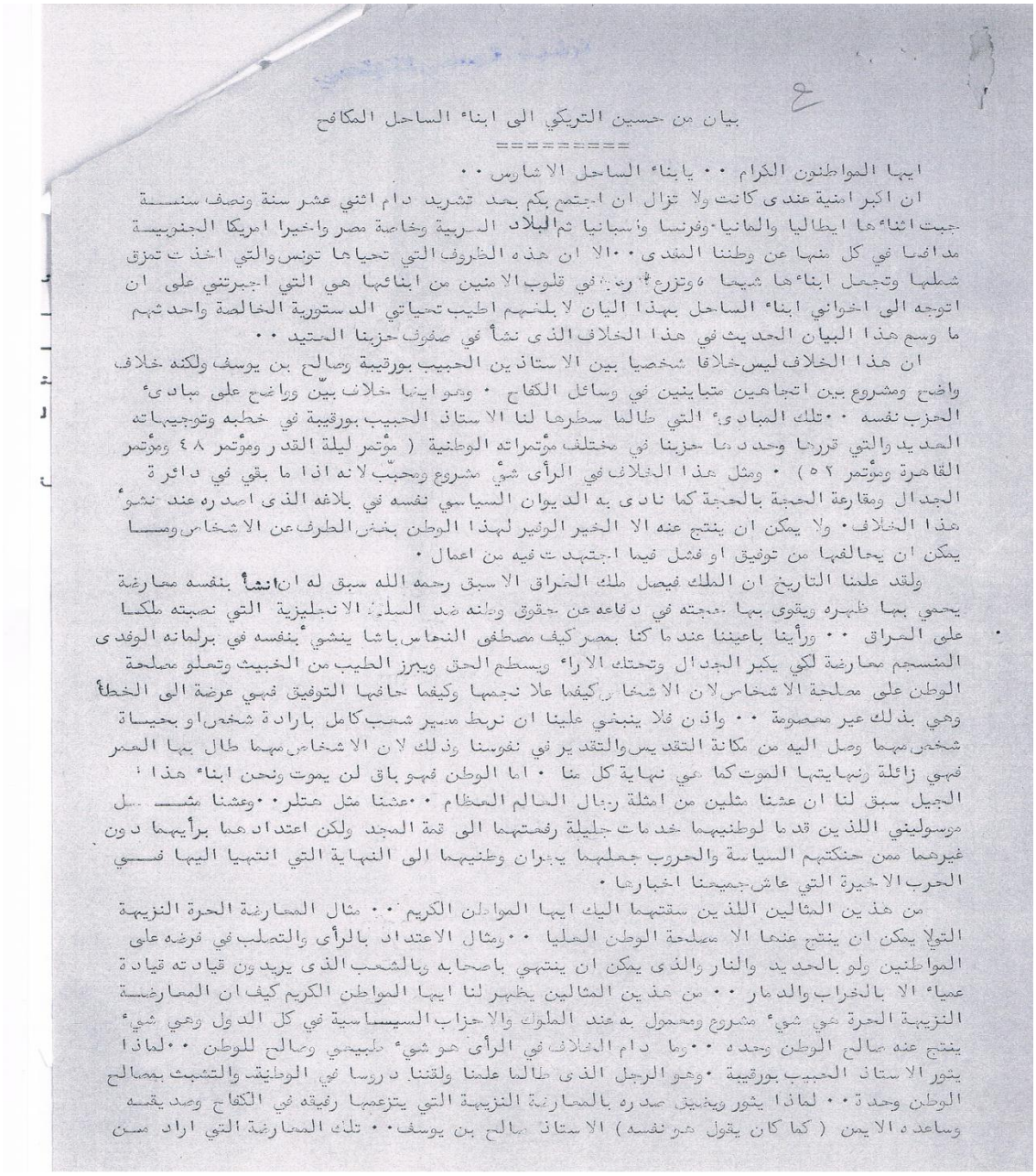

بيان من حسين التريكي الى ابناء الساحل المكافح

==========

ايها المواطنون الكرام .. يابناء الساحل الاشارس ..

ان اكبر امنية عندى كانت ولا تزال ان اجتمع بكم بعد تشريد دام اثني عشر سنة ونصف سنة جبت اثناءها ايطاليا والمانيا وفرنسا واسبانيا ثم البلاد العربية وخاصة مصر واخيرا امريكا الجنوبية مدافعا في كل منها عن وطننا المندى .. الا ان هذه الظروف التي تحياها تونس والتي اخذت تمزق شملها وتجعل ابناءها شيعا وتزرع في قلوب الامنين من ابنائها هي التي اجبرتني على ان اتوجه الى اخواني ابناء الساحل بهذا البيان لا بلغهم اطيب تحياتي الدستورية الخالصة واحدثهم ما وسع هذا البيان الحديث في هذا الخلاف الذى نشأ في صفوف حزبنا المتيد ..

ان هذا الخلاف ليس خلافا شخصيا بين الاستاذين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف ولكنه خلاف واضح ومشروع بين اتجاهين متباينين في وسائل الكفاح . وهو اينما خلاف بيّن وواضح على مبادئ الحزب نفسه .. تلك المبادئ التي طالما سطرها لنا الاستاذ الحبيب بورقيبة في خطبه وتوجيهاته المديدة والتي قررنا وحددنا حزبنا في مختلف مؤتمراته الوطنية (مؤتمر ليلة القدر ومؤتمر ٤٨ ومؤتمر القاهرة ومؤتمر ٥٢) . ومثل هذا الخلاف في الرأى شيء مشروع ومحبّب لانه اذا ما بقي في دائرة الجدال ومقارعة الحجة بالحجة كما نادى به الديوان السياسي نفسه في بلاغه الذى اصدره عند نشوء هذا الخلاف . ولا يمكن ان ينتج عنه الا الخير الوفير لهذا الوطن بغض الطرف عن الاشخاص ومهما يمكن ان يحالفها من توفيق او فشل فيما اجتهدت فيه من اعمال .

ولقد علمنا التاريخ ان الملك فيصل ملك العراق الاسبق رحمه الله سبق له ان انشأ بنفسه معارضة يحمي بها ظهره ويقوى بها حجته في دفاعه عن حقوق وطنه ضد السلطة الانجليزية التي نصبته ملكا على العراق .. ورأينا باعيننا عندما كنا بمصر كيف مصطفى النحاس باشا ينشيء بنفسه في برلمانه الوفدى المنسجم معارضة لكي يكبر الجدال وتحتك الاراء ويستطع الحق ويبرز الطيب من الخبيث وتعلو مصلحة الوطن على مصلحة الاشخاص لان الاشخاص كيفما علا نجمها وكيفما حالفها التوفيق فهي عرضة الى الخطأ وهي بذلك غير معصومة .. واذن فلا ينبغي علينا ان نربط مصير شعب كامل بارادة شخص او بحياة شخص مهما وصل اليه من مكانة التقديس والتقدير في نفوسنا وذلك لان الاشخاص مهما طال بها العمر فهي زائلة ونهايتها الموت كما هي نهاية كل حيّ . اما الوطن فهو باق لن يموت ونحن ابناء هذا الجيل سبق لنا ان عشنا مثلين من امثلة رجال العالم العظام .. عشنا مثل هتلر .. وعشنا مثل مرسوليني اللذين قدما لوطنيهما خدمات جليلة رفعتهما الى قمة المجد ولكن اعتدادهما برأيهما دون غيرهما ممن حنكتهم السياسة والحروب جعلهما يخونان وطنيهما الى النهاية التي انتهيا اليها في الحرب الاخيرة التي عاش جميعنا اخبارها .

من هذين المثالين اللذين سقتهما اليك ايها المواطن الكريم .. مثال المعارضة الحرة النزيهة التولا يمكن ان ينتج عنها الا مصلحة الوطن العليا .. ومثال الاعتداد بالرأى والتصلب في فرضه على المواطنين ولو بالحديد والنار والذى يمكن ان ينتهي باصحابه وبالشعب الذى يريدون قيادته قيادة عمياء الا بالخراب والدمار .. من هذين المثالين يظهر لنا ايها المواطن الكريم كيف ان المعارضة النزيهة الحرة هي شيء مشروع ومعمول به عند الملوك والاحزاب السياسية في كل الدول وهي شيء ينتج عنه صالح الوطن وحده .. وما دام الخلاف في الرأى هو شيء طبيعي وصالح للوطن .. لماذا يثور الاستاذ الحبيب بورقيبة . وهو الرجل الذى طالما علمنا ولقننا دروسا في الوطنية والتشبث بمصالح الوطن وحده .. لماذا يثور ويضيق صدره بالمعارضة النزيهة التي يتزعمها رفيقه في الكفاح وصديقه وساعده الايمن (كما كان يقول هو نفسه) الاستاذ صالح بن يوسف .. تلك المعارضة التي اراد من

ارشيف الوطني التونسي

وراءها ان يبين لابناء هذا الوطن مدى ما تلحقه بنا الاتفاقيات المشؤومة من عار يسجله علينا التاريخ وتلعننا عليه الاجيال المقبلة ٠٠وما تبيته لنا من اخطار جسيمة بأن تجعل استعمار فرنسا استعمارا ابديا ارتضيناه بانفسنا ٠٠ولماذا يثور اخواننا اعضاء الديوان السياسي هداهم الله ٠٠لماذا يثورون ويجعلون من خلافنا هذا خلافا مخضبا بالدماء ٠٠لماذا يريدون ان يكبتوا انفاس كل من صدع بكلمة حق واعطى رأيه في اتفاقيات تربط مصيره ومصير ابنائه واحفاده بمصير من قرر علينا وجوده بالحديد والنار سنة ١٨٨١ ثم افتك منـــا سيادتنا ومقاليد امورنا الى ان اصبحنا اجانب في ارض آبائنا واجدادنا ٠٠ لماذا قتلوا المرحوم الشهيد محمد بن عمار ذلك الرجل الذى كان كل ذنبه ان يتعاطى حرفة التصوير ليكسب من وراء ذلك قوت اولاده ٠٠ولماذا جندلوا غدرا المجاهد المرحوم على بن اسماعيل ابوعين ذلك البطل الذى دافع على حياض الحرية والاسلام من سهول فلسطين الى جبال تونس والذى كان كل ذنبه انه وجد لقمة عيشه بان يسوق سيارة صالح ابن يوسف ٠٠ولانه كان مسلما ومؤمنا لا يروم الخيانة التي حرمها اللهفوفض ان يسلم علي الزليطني وحسين التريكي الى جلاديهم من اعضاء العصابات المجرمة لانهما ارتكبا ذنب الدفاع عن الوطن ولم يرضيا بعار الاتفاقيات ٠٠ ولماذا جندلوا غدرا اخانا في الدين والوطن الشهيد المختار بن عطية ذلك الوطني والدستورى الذى ابلا البلاء الحسن في اصعب اوقات الجهاد والشدة والضيق ٠٠لماذا هذا الموت الذى ينشرونه بين صفوف اخواتهم المجاهدين ٠٠ولماذا هذا الفزع وهذا الرعب الذى ينشرونه في مدن سليمان ومنزل بوزلفة وتازركة وقربة ومدنين وغيرها من المدن الامنة مستحيين بما كان يستحيين بهم "هرتكلوك" نفسه ضد هـــذا الشعب المكافح ٠٠ هل هذا كله دبر لاسكات المعارضة وارهاب الناس حتى لا يلتفوا حولها ؟ ٠٠ام كما يقولون لان الحزب لا يحتمل ان يقود "رأسان اثنان" ٠٠ واذن لا بد للشيوعيين من الخنق ومن الموت ؟ ٠٠

هل فكرت ايها المواطن الكريم من يستفيد من خنق المعارضة ؟ ٠٠

هل فكرت من يستفيد عندما يعملون على قرن الاتفاقيات ويقولون لصالح بن يوسف ومن يؤيده على رفضها "ان مصيركم الموت لو علارضتم الاتفاقيات" ؟ ٠٠

ما هي جناية صالح بن يوسف ايها المواطن الكريم رايها الدستورى الصميم ؟ ٠٠

هل جنايته في انه طالب لك مزيدا من الحرية ٠٠ومزيدا من الكرامة ٠٠ومزيدا من العزة ؟ ٠٠

هل جريمته لانه صاح في الملاء ومنذ ما يزيد عن السنة بكثير ٠٠صاح وقال انه لا يقبل باسم الشعب ان تكون نتيجة مفاوضاتنا اغلالا نغلل بها ؟ ٠٠ هل جريمته لانه راى ان الظرف ملائم لينال الشعب استقلاله وعزته وكرامته ٠٠فطار الى جنيف ومكث هنالك اشهرا عديدة ينبه ويحذر ويلفت النظر ٠٠ واخيرا يهدد ٠٠نعم انه نبه وحذر وهدد مفاوضيك وقال لهم حذار من ان تفرطوا في حقوق الشعب بتنازلاتكم المريبة ٠٠

ام هل جريمته انه طار الى باندونج حيث رأس وفد تونس والجزائر ومراكش واستطاع ان يجعل ٢٩ دولة تمثل ثلثي الجنس البشرى الذى خلقه الله على وجه الارض ٠٠جعلها تقرر حق تونس والجزائر ومراكش في الاستقلال التام العاجل ٠٠وجعلها تلتزم بين بعضها بعض على العمل على تنفيذ قرارها ٠٠ ولم تمر ستة اشهر ونرى نتيجة قرارات مؤتمر باندونج تنفذ ٠٠وبفضلها تدرج قضية الجزائر التي تعتبر منذ ١٨٤٨ ارضا فرنسية ٠٠تدرج في جدول اعمال هيئة الامم المتحدة وبذلك يعترف لشقيقتنا الجزائر دوليا بانها ليست ارضا فرنسية ٠٠ونرى نتائج مقررات مؤتمر باندونج تؤتي اكلها في مراكش (المغرب الاقصى) فيتجاوب المراكشيون مع تلك المقررات ويذودوا عن حقوقهم ٠٠وتتقهقر فرنسا وترجع لهم سلطانهم الشرعي ويشرعون في الدخول في مفاوضات مع فرنسا على اساس الاستقلال التام ٠٠الاستقلال الداخلي والخارجي ٠٠ ويبدأون من حيث انتهينا نحن بعد ان جاهدنا ما يزيد عن السنتين ونصف سنة وبعد ان سلمنا سلاحنا بدون مقابل ٠٠ هم يبدأون بحكومة منسجمة بها ٢١ وزيرا منهم ١٦ وزيرا ودلني (٩ من حزب الاستقلال و٦ من حزب الشورى والاستقلال)

اوعل جريمة حسين التريكي التي استحق عليها حكم الاعدام من طرف اعوان الديوان السياسي ٠٠ هل جريمته لانه سبق لفرنسا ان حكمت عليه بالاعدام فجاءوا هم لتأييد ذاك الحكم ؟ ٠٠ام جريمته لانه ترك اولاده

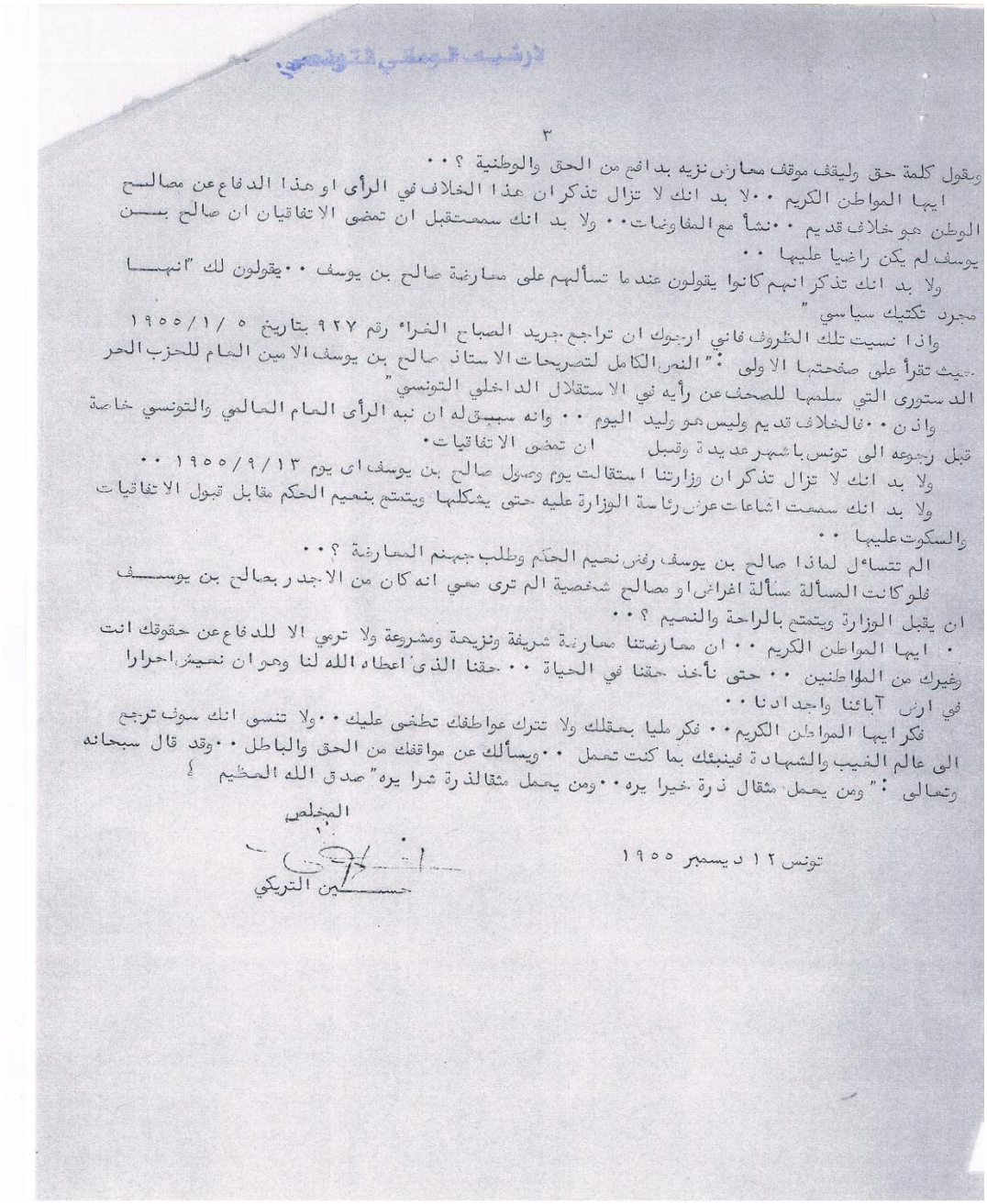

٣

ويقول كلمة حق وليقف موقف معارض نزيه يدافع من الحق والوطنية ؟ ..

ايها المواطن الكريم ..لا بد انك لا تزال تذكر ان هذا الخلاف في الرأى او هذا الدفاع عن مصالح الوطن هو خلاف قديم ..نشأ مع المفاوضات .. ولا بد انك سمعت قبل ان تمضى الاتفاقيان ان صالح بن يوسف لم يكن راضيا عليها ..

ولا بد انك تذكر انهم كانوا يقولون عندما تسألهم على معارضة صالح بن يوسف ..يقولون لك "انها مجرد تكتيك سياسي"

واذا نسيت تلك الظروف فاني ارجوك ان تراجع جريد الصباح الغراء رقم ٩٢٧ بتاريخ ١٩٥٥/١/٥ حيث تقرأ على صفحتها الاولى :" النص الكامل لتصريحات الاستاذ صالح بن يوسف الامين العام للحزب الحر الدستورى التي سلمها للصحف عن رأيه في الاستقلال الداخلي التونسي"

واذن ..فالخلاف قديم وليس هو وليد اليوم .. وانه سبق له ان نبه الرأى العام العالمي والتونسي خاصة قبل رجوعه الى تونس باشهر عديدة وقبل ان تمضى الاتفاقيات.

ولا بد انك لا تزال تذكر ان وزارتنا استقالت يوم وصول صالح بن يوسف اى يوم ١٩٥٥/٩/١٣ ..

ولا بد انك سمعت اشاعات عرض رئاسة الوزارة عليه حتى يشكلها ويتمتع بنعيم الحكم مقابل قبول الاتفاقيات والسكوت عليها ..

الم تتساءل لماذا صالح بن يوسف رفض نعيم الحكم وطلب جهنم المعارضة ؟..

فلو كانت المسألة مسألة اغراض او مصالح شخصية الم ترى معي انه كان من الاجدر بصالح بن يوسف ان يقبل الوزارة ويتمتع بالراحة والنعيم ؟..

ايها المواطن الكريم .. ان معارضتنا معارضة شريفة ونزيهة ومشروعة ولا ترمي الا للدفاع عن حقوقك انت وغيرك من المواطنين .. حتى نأخذ حقنا في الحياة .. حقنا الذى اعطاه الله لنا وهو ان نصير احرارا في ارض آبائنا واجدادنا ..

فكر ايها المواطن الكريم .. فكر مليا بعقلك ولا تترك عواطفك تطغى عليك ..ولا تنسى انك سوف ترجع الى عالم الغيب والشهادة فينبئك بما كنت تعمل ..ويسألك عن مواقفك من الحق والباطل ..وقد قال سبحانه وتعالى :" ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ..ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" صدق الله العظيم

المخلص

حسين التريكي

تونس ١٢ ديسمبر ١٩٥٥

1- "بيان حسين التريكي إلى أبناء السّاحل المكافح"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 13

إفادة من إدارة عمل المهدية إلى وزارة الدّاخلية

بخصوص توزيع بيان حسين التريكي بالمهدية والمناطق المجاورة لها[1]

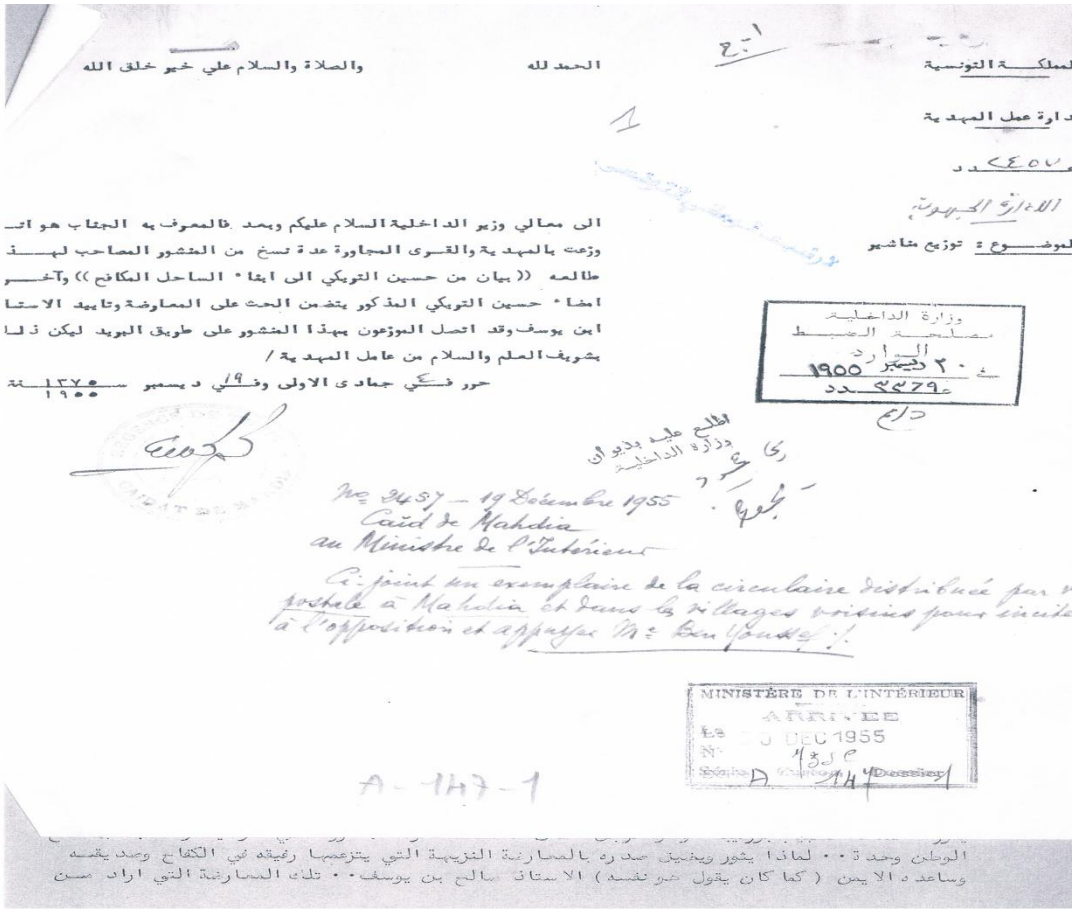

1- "إفادة عن توزيع بيان التريكي بمناطق السّاحل التونسي"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق، الوثيقة رقم 147، المؤرّخة في 30 ديسمبر 1955.

الملحق رقم 14

مندوب الحزب الحر الدستوري التونسي ومدير مكتب المغرب العربي بليبيا يؤكد تضامنه مع الزّعيم صالح بن يوسف[1]

مندوب الحزب الحر الدستوري في ليبيا

يؤكد تضامنه مع الزعيم الكبير صالح بن يوسف

الزعيم الكبير الاستاذ صالح بن يوسف يشرح الاتفاقيات التونسية الفرنسية لوفد شعبة الدويرات بتونس
— تصوير عصمان —

ارسل الاخ عبد العزيز شوشان مندوب الحزب الحر الدستوري التونسي في ليبيا البرقية التالية الى الزعيم الكبير الاستاذ صالح بن يوسف :

« نؤكد لكم كامل تقتنا وتمسككم بموقفكم الشجاع في رفض القناع عن السياسة الاستعمارية الجديدة التي تنطوي عليها الاتفاقيات الفرنسية التونسية كما اننا لا نزال مخلصين بكم الامين العام للحزب الحر الدستوري التونسي الجديد . واننا لنحيي فيكم المبرز الامين عن رغبات الوطنيين الصادقين ورغبات الشعب التونسي باكمله كما نحيي فيكم مواصلتكم السير في طريق الاستقلال الذي رسمته دماء المجاهدين الابرار وتضحياتهم وآلام الشعب التونسي الجديد

الامضاء : عبد العزيز شوشان مندوب الحزب الحر الدستوري التونسي ومدير مكتب المغرب العربي بليبيا

ومعروف ان مكتب تونس في ليبيا تاسس في سنة ١٩٥٢ لحماية بضعة الاجئين السياسيين التونسيين واشرف عليه الاستاذ علي الزليطني بمساعدة الاخ عبد العزيز شوشان، وانه تقرر الابقاء عليه بعد عودة اللاجئين في الايام الاخيرة ليكون مكتب دعاية لقضايا شمال افريقيا وكلف بادارته الاخ عبد العزيز شوشان بعد ما عاد الاستاذ علي الزليطني الى تونس

ARCHIVES CENTRALES

1- "مندوب الحزب الحر الدستوري التونسي ومدير مكتب المغرب العربي بليبيا يؤكد تضامنه مع الزّعيم صالح بن يوسف"، الأرشيف الوطني التونسي، المصدر السّابق.

الملحق رقم 15

دعوة بن يوسف إلى مواصلة الكفاح المسلح بتونس

تسهيلا لعمل الثوّار الجزائريين[1]

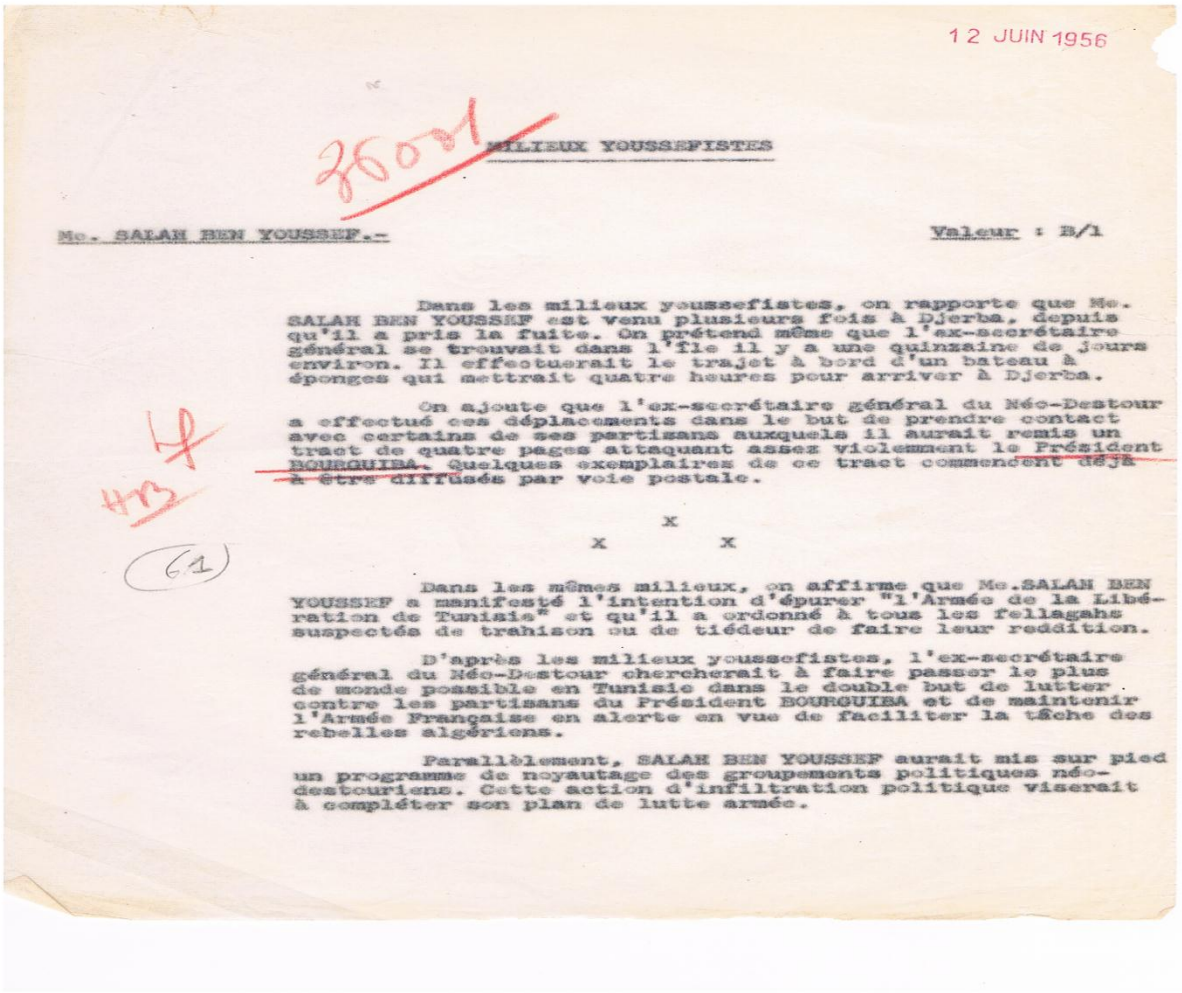

12 JUIN 1956

MILIEUX YOUSSEFISTES

Mo. SALAH BEN YOUSSEF.-

Valeur : B/1

Dans les milieux youssefistes, on rapporte que Mo. SALAH BEN YOUSSEF est venu plusieurs fois à Djerba, depuis qu'il a pris la fuite. On prétend même que l'ex-secrétaire général se trouvait dans l'île il y a une quinzaine de jours environ. Il effectuerait le trajet à bord d'un bateau à éponges qui mettrait quatre heures pour arriver à Djerba.

On ajoute que l'ex-secrétaire général du Néo-Destour a effectué ces déplacements dans le but de prendre contact avec certains de ses partisans auxquels il aurait remis un tract de quatre pages attaquant assez violemment le Président BOURGUIBA. Quelques exemplaires de ce tract commencent déjà à être diffusés par voie postale.

x

x x

Dans les mêmes milieux, on affirme que Mo.SALAH BEN YOUSSEF a manifesté l'intention d'épurer "l'Armée de la Libération de Tunisie" et qu'il a ordonné à tous les fellagahs suspectés de trahison ou de tiédeur de faire leur reddition.

D'après les milieux youssefistes, l'ex-secrétaire général du Néo-Destour chercherait à faire passer le plus de monde possible en Tunisie dans le double but de lutter contre les partisans du Président BOURGUIBA et de maintenir l'Armée Française en alerte en vue de faciliter la tâche des rebelles algériens.

Parallèlement, SALAH BEN YOUSSEF aurait mis sur pied un programme de noyautage des groupements politiques néo-destouriens. Cette action d'infiltration politique viserait à compléter son plan de lutte armée.

1- A.N.T , Série : mouvement national, carton 0068, dossier : 05, dates extrêmes : 156, objet : notes et rapports relatifs aux tournées de Bourguiba dans le sud tunisien sur propagande anti youssefiste et le mesures prises par le premier gouvernement tunisien en vue de préserver l'ordre public après l'indépendance, 12 juin 1956.p 61.

الملحق رقم 16

النصّ الكامل للبروتوكول التونسي الفرنسي.

إعلان الاستقلال 20 مارس 1956 وعدم صلاحيّة معاهدة 1881

وحقّ تونس في تكوين جيش وطني[1]

في 03 جوان 1955 على إثر مفاوضات حرّة حصلت بين وفديهما، اتّفقت الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية على الاعتراف لتونس بممارستها الكاملة للسيّادة الدّاخلية، فأبديتا على هذا النّحو عزمهما على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولي الإشراف على مصيره على مراحل.

وتعترف الحكومتان بأن التطوّر المنسجم والسّلمي للعلاقات التونسية الفرنسية، يتماشى مع مقتضيات العالم العصري، ويلاحظان بابتهاج أن ذلك التطوّر يتيح البلوغ للسيّادة الكاملة بدون آلام بالنّسبة للشعب وبدون صدمات بالنّسبة للدولة.

تؤكّدان اقتناعهما بأنه بإقامة علاقتهما على أساس الاحترام المتبادل والكامل لسيّادتهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما، تدعم فرنسا وتونس التّضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين.

وعلى إثر خطاب التّولية الذي ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤكّدين لعزمهما المشترك على التقدّم بعلاقتهما في كنف نفس روح السّلم والصّداقة، افتتحت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم 27 فيفري.

وبناء عليه

تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس.

وينجم عن ذلك:

أ) أن المعاهدة المبرمة بين فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881، لا يمكن أن تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية.

ب) أن أحكام اتّفاقيات 03 جوان 1955، التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلة ذات سيّادة سيقع تعديلها أو إلغاءها.

وينجم عن ذلك أيضا

ج) مباشرة تونس لمسؤوليّاتها في مادّة الشؤون الخارجيّة والأمن والدّفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي.

وفي نطاق احترام سيّادتهما تتّفق فرنسا وتونس على تحديد أو إكمال صيّغ التّكافل بحرّية بين البلدين لتنظيم تعاونهما في الميادين التي تكون مصالحهما فيها مشتركة، خاصّة في مادّة الدفاع والعلاقات الخارجية.

وستضع الاتّفاقات بين فرنسا وتونس صيّغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في إنشاء الجيش الوطني التونسي.

وستستأنف المفاوضات يوم 16 أفريل 1956، قصد الوصول في أقصر الآجال الممكنة وطبقا للمبادئ المقرّرة في هذا البروتوكول لإبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ.

حرّر بباريس في نسختين أصليتين يوم 20 مارس 1956.

عن فرنسا: (أمضى) كريستيان بينو.

عن تونس: (أمضى) الطّاهر بن عمّار.

1- "بروتكول الاستقلال التونسي الفرنسي"، جريدة الصباح، العدد 1328، المصدر السّابق.

الملحق رقم 17

رسالة من القائد الأعلى لجيش التّحرير التونسي الزّعيم صالح بن يوسف إلى المقاوم مصطفى كمال المرزوقي[1]

الحمد لله وحده

حضرة الأخ الكريم الوطني المكافح الأستاذ مصطفى كامل المرزوقي.

" (...) ذكّروا دائما من حولكم بأنّنا نكافح أولا وبالذّات من أجل انجاز استقلال حقيقي لبلادنا، لا من أجل صورة مزيّفة من هذا الاستقلال، كما نشاهده اليوم وكما رضيّ به الحبيب بورقيبة، لا يتصوّر أن يكون لنا استقلال حقيقي مادامت الجيوش الفرنسية تغدو وتروح في بلادنا، إنّ المجاهدين بجيش التحرير الوطني التونسي لم نأمرهم بمواصلة الكفاح من أجل مساعدة الجزائر فقط، بل مساعدة الجزائر تأتي كهدف ثاني بعد كفاحنا في الدّاخل ضدّ العدوين فرنسا وأذنابها، يعني حكومة بورقيبة وأعوانها من إضافيين وحرس متجوّل وولاة (...)، إني أحجّر على جيوشنا الدخول للجزائر والالتحاق بجيش التحرير الجزائري، خصوصا وقد بلغني أنّ إخواننا الجزائريين أصبحوا يطلبون من جماعتنا رخصا من الحكومة التونسية تكون بأيدي جيوشنا للتّرخيص لهم في الالتحاق بالجيش الجزائري، وإلا يرفضونهم كما وقع أخيرا (بتليبت) للجيش الذي كان يقوده المبروك يوذينة المدنيني والهادي قدورة المرزوقي ومحمّد بن أحمد بن عمّار بن محجوب اليزيدي والطّاهر دبش اليزيدي وعلي بن عمّار بن عون المحضاوي الحويوي، اتّصل هؤلاء بقيّادة الجيش الجزائري يطلبونهم العمل مع جيشهم، فردّ عليهم المسؤول الجزائري بأنّه لا يقبل التّعاون معهم إلا إذا كانوا مستعدّين للاندماج بجميع جيوشهم في الجيش الجزائري تحت قيّادته، وحتى في هاته الصّورة لا يقبلهم الجيش الجزائري تحت قيّادته إلا برخصة من الحكومة التونسية، فرفض قوّادنا هذه الشروط، ثم رجعوا قافلين إلى داخل التّراب التونسي، وكان ذلك من الأسباب التي حملتهم على الاستسلام وجرّ جيشهم إلى الاستسلام معهم.

إنّ قيّادنا الذين ذكرتهم لكم خونة ومجرمون، لأنّني لم أبعث في وقت من الأوقات إلى أيّ قائد كان بتعليمات تفيد أن ثورتنا عبارة على ذيل من ذيول الثورة الجزائرية، إنّنا بثورتنا نساعد الثورة الجزائرية، ونشترك مع الجزائريين في تحقيق تحرير المغرب العربي ووحدته (...)، فيجب أن تذكّروا دائما وأبدا القيّاد الذين تجتمعون بهم، بأنّ ثورتنا تستهدف تحرير تونس وتخليصها من كل حلف فرنسي أو غربي وربطها ربطا حقيقيّا بالأمة العربية (...) " .

الإمضاء: القائد الأعلى لجيش التّحرير الوطني التونسي (صالح بن يوسف).

في 10 جويلية 1956

1- كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة، المصدر السّابق، ص ص 80 . 88 .(بتصرّف) .

الملحق رقم 18

"رسالة من الطّاهر لسود إلى الثوّار في الجزائر"[1]

" بسم الله الرّحمن الرّحيم "

سلامي إلى إخواني المحاربين وقادة الثورة الجزائرية، أحيّيكم بحفاوة عظيمة على قتالكم الشجاع من أجل تحرير وطننا الغالي، وطن العروبة والإسلام.

إنني أتضامن معكم في مصائب الدّهر وهموم استقلال كامل إفريقيا الشمالية، وأتعهّد على مواصلة القتال طالما ظلّت شعوبنا مستعبدة من طرف الاستعمار، وطالما ظلّت فرنسا مسيطرة على الشمال الإفريقي.

إننا ننتسب لأمّة تقدّر معنى القومية العربية ورفع الرّاية العربية المسلمة.

إنني مؤمن بالله ورسوله والحروب التي أخوضها لتحطيم قيود الاستعباد، ولن يهدأ لي بال ما دامت فرنسا تسيطر علينا وعلى شعوبنا.

وينبغي علينا الآن، المشاركة والمساندة في كفاح واحد ضدّ عدونا الواحد والمشترك، كما ينبغي أن لا يكون هذا الكفاح سيّاسي فقط بل كفاحا مسلّحا بالفعل.

وسيوحدنا الدين والاجتهاد من البداية إلى غاية تحرير كامل شمال إفريقيا من الاستعمار المنبوذ، لأن لا فرق عندنا بين المغرب أو الجزائر أو تونس، وإننا مسلمون أولا وقبل كل شيء، ودين الإسلام ينبذ العبودية والذّل.

لذا أطلب منكم:

1- أن تقتربوا من الحدود التونسية حتى يتمكّن إخوانكم التونسيون من الانضمام إليكم، إلى أن ننهض بكافّة أفراد الشعب التونسي للثورة، ونقضي تماما على الأكاذيب التي تتحدث عن قيّام المكتب السيّاسي الخبيث لبورقيبة وأتباعه بعقد اتفاقيات فرانكو-تونسية.

2- احذروا من التونسيين الذين اجتمعنا بهم سابقا، دققوا في أمرهم لمعرفة ما إذا كانوا تابعين للمكتب السيّاسي لبورقيبة أو للأمانة العامّة التي يرأسها السيّد صالح بن يوسف.

حاولوا معرفة ما إذا كانوا أيضا يرفضون تلك الاتفاقيات ويقبلون ما جاء به صالح بن يوسف، أو ما إذا كانوا يقبلون تلك الاتفاقيات التي أجراها المكتب السياسي الذي يرأسه لحبيب بورقيبة؟. إنّ الأفراد الذين يساندون رأي لحبيب بورقيبة، يشكّلون خطرا بالنّسبة لنا، لأنهم لا يسعون لتحقيق الاستقلال الشّامل للمغرب الكبير ولذلك ينبغي إبعادهم عن واجهة الطّريق مهما كلف الأمر لكي لا يسيئوا لوحدتنا...

3- وألفت انتباهكم إلى أنّ الأسلحة مازالت تصل من الخارج، وأن الأشخاص الذين ينضمّون إليكم هم أبناء الحامّة أو أبناء بني زيد، الذين يقودهم الخائن ساسي لسود الساكن بزاوية الشباب والمقيم بالصومبا، وكذلك رفقاءه الخونة من المكتب السيّاسي مثل بشير بن وناس السّاكن في دبدابة، عبد الله بلحاج العربي السّاكن بالحامّة وجبل بحير وآخرون أيضا من نفس المكتب السيّاسي، الذين يسعون جميعا إلى الوقوف في وجه كل من ينقل السّلاح، وهم على اتّصال دائم بأشخاص مثلهم من طرابلس وليبيا. وعليه ينبغي تغيير الطّريق التي تؤدي إلى الحامّة،

4- تحقّقوا من هويات التونسيين الذين ينضمّون إليكم في القتال (لقبهم، قريتهم، ناحيتهم، شيوخهم).

5- ينبغي أن تسلّموا للتونسيين الذين ينضمّون إليكم مستقبلا كلمة السرّ الآتية: "جسر قسنطينة وواد سوق أهراس"، ولا تدعوا أي تونسي يتولى القيّادة عنكم.

وفي الأخير، أوجّه سلامي إلى القوّات المقاتلة على تحرير هذا الوطن العزيز.

ولينعم الله بخيراته على إفريقيا، العروبة والإسلام. إلى القتال، إلى القتال، إخواني العرب. الطّاهر لسود.

23 ديسمبر 1955.

1- عمّار بن سلطان وآخرون، المرجع السّابق، ص ص 37 . 38 .

الملحق رقم 19

"بيان القيّادة العامّة لجيش التّحرير التونسي"[1]

" بسم الله الرّحمن الرّحيم "

هذا بيان القيّادة العامّة لجيش التّحرير الوطني التونسي، نوجّهه ونعلن على رؤوس الملأ للشعب التونسي، والشعب الفرنسي والعالم بأسره، أنّنا أحدثنا على بركة الله جيشًا تحريريًّا وطنيا تونسيًّا، مهمّة هذا الجيش هو تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأذنابه وقد قرّرنا ضمّ جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة.

وبهذه المناسبة التّاريخية نقدّم إلى جلالة ملكنا المعظم، سيّدنا ومولانا محمد الأمين الأول مراسم ولائنا وإخلاصنا، ونحن مقتنعون من أنّ عطفه الأبوي سيشمل شعبه دائما كما هو في الماضي في الدفاع عن حقوق وطن هذا الشعب وكرامة هذه الأمة، ونحن نهيب بجميع طبقات الشعب التونسي إلى أن يدركوا خطورة الظروف الحاليّة، ويدركوا الدّور التّاريخي الذي يستعدّ الشعب التونسي القيّام به، ونحن ننذر الشّعب بأن لا يهتمّ بالأشخاص، وأن لا يكون نصب عينيه إلا مصلحة الوطن العليا.

ونحن ندعو الدولة الفرنسيّة إلى إدراك خطورة الحالة، وأن لا تربط مصلحة وإرادة شعب كامل بمصلحة شخص مهما كان، وأن تجنح إلى السّلم حتى نجنح إلى السّلم بدورنا، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا اعترفت الدولة الفرنسية بحقوقنا الكاملة، و تشرع في فتح مفاوضات حالا ،على قاعدة الاعتراف بالاستقلال التّام، وتكون هذه المفاوضات مع النّاطقين الحقيقيين باسم حزبنا الدستوري العتيد من الذين بقوا مخلصين للمأمورية التي عهد بها الشعب إلينا.

وفي الختام نحذّر كلّ مشوّش وكل انتهازي من العواقب الوخيمة التي تترقّب كلّ من لم يؤدّ واجبه على الوجه الأكمل، ونحذّر كل من يحاول تعطيل عمل جيش التّحرير الوطني في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ كفاحنا ومصير أجيالنا المقبلة، أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وأن ينصركم الله فلا غالب لكم . **" الطّاهر لسود "** .

1- "بيان من القائد الطّاهر لسود: تأسيس جيش التّحرير الوطني"، جريدة الزّهرة، العدد 15269، المصدر السّابق. أنظر أيضا: "بيان القيّادة العامة لجيش التّحرير التونسي"، جريدة الصباح، العدد 1273، المصدر السّابق.

الملحق رقم 20

خريطة توضّح طرق تهريب الأسلحة إلى الجزائر عبر الجنوب التونسي[1]

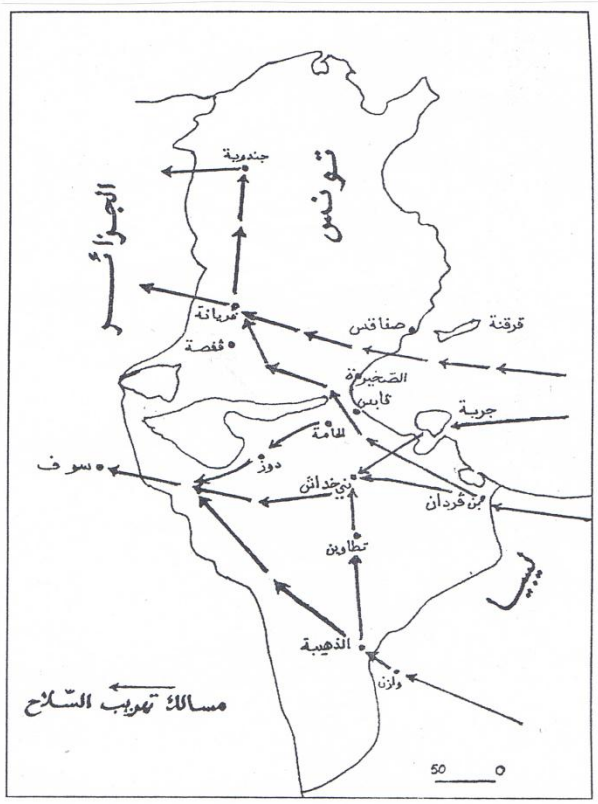

1- عمّار السوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 178.

الملحق رقم 21

محاكمات اليوسفيين (1956–1963)[1]

السنة	عدد المحاكمات	عدد المحكومين
1956	12	212
1957	7	102
1958	1	55
1959	5	166
1960	2	21
1963	1	؟4
المجموع	**28**	**560**

1- عميرة عليّة الصغير، اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي، المرجع السّابق، ص93 .

الملحق رقم 22

نصّ الحكم في قضيّة اليوسفيين الكبرى[1]

أصدرت المحكمة المتركبة من رئيسها السيّد محمد فرحات وأعضائها السّادة: محمد الري، الشاذلي قلالة، بلحسين جراد، محمود زهيوة، محمود عبد الكافي، الطاهر عبد الكافي حكمها غيّابيا في حقّ صالح بن الحاج سليمان بن يوسف ومحمد بن الحاج علي عبد الكافي و حسين التريكي وأحمد بن علي العبيدي شهر الشرقاوي وموسى بن حسن بن موسى الرويسي، وحضوريا بالنسبة لمن عداهم وذلك بعقاب كل من صالح بن الحاج سليمان بن يوسف ومحمد بن الحاج علي عبد الكافي وحسين التريكي والميزوني بن العلمي بن علي وأحمد بن علي العبيدي الشرقاوي شهر مسعود والهادي بن بلقاسم بن ضو العزيزي والهادي بن محمد بن علي بن قدوره بالإعدام.

وبعقاب علي بن محمد (بالفتح) بن علي الزليطني ورضا بن محمد بن عمار، بالأشغال الشّاقة مدّة عشرين عاما، وبعقاب عبد الرّحمن بن محمود الشملي وحسن بن محمد بن سعيد مورو ومحمد الصالح بن الهادي بن صالح غرس، وحسن بن محمد (بالفتح) بن محمد الحمدي ومصطفى بن سليمان حورية بعشرة أعوام أشغالا شاقة.

وبعقاب عبد الله بن حسين بن الحاج أحمد ومحمد الباجي بن الطيب بن مسعود ومحمد الصالح بن مصطفى براطلي البنزرتي وصلاح الدين الجيلاني بن محمد الزرني والطّاهر بن المكي بن أحمد العربي والبشير بن الجيلاني بن محمد وصالح ثامر البوخاري والطّاهر بن المختار الغطاس ومحمد بن عبد الرزّاق السبعي وبلقاسم بن خليفة بن علي الحاجي بخمسة اعوام أشغالا شاقة، وبعقاب كل من سعيد بن بوشريط بن مبارك والحطاب بن محمد الذيب وحسن بن سالم الحمادي والطيب بن محمد غرسه وعبد العزيز بن حسين العياري وعبد الله بن نصر بن محمود والناصر بن محرز فارح ومحمد المنصف بن حسن بن خامسة ومحمود بن محمد الدالي شهر الكحلة وعبد الحميد بن المنوبي بن أحمد القاضي وحمّادي بن أحمد الزواوي والمولدي بن محمد بن سعد وعبد الستار بن محمد بن أحمد معاوية وعلي بن الصّادق بن أحمد الشاوش ومحمد بن الطّاهر بن محمد (بالفتح) الدخلاوي وعبد الرّحمن بن علي بن صالح تاج وعلي بن مسعود ابن الحاج سعيد يغلان والبشير بن رحومة غربال وعمر بن علي بن عبد السلام بن يونس والطاهر بن الحاج منصوري بن محمد والأزهر بن الصادق بن عمر وعمار بن سعد بن صالح شهر بني والحاج عيّاد ربانه بالأشغال الشّاقة مدّة خمسة أعوام مع التأجيل وبتخطئة الحاج عيّاد ربانه المذكور بخمسة وعشرين مليونا من الفرنكات.

وبعقاب العربي بن محمد الرباعي بالسّجن مدّة عامين مع التّأجيل وبعدم سماع الدعوى على كل من بوجمعة بن العلمي بن علي وأحمد بن عبد الرّحمن بن علي وقعيد بن علي بن أحمد وزوجته عائشة بنت يوسف بن محمد والصادق بن قعيد بن علي وشقيقه المولدي وشقيقتهما ريم وموسى بن حسن بن موسى الرويسي، وحفظ الحقّ لأوليّاء القتيلين علي وإبراهيم في القيّام بالغرم مدنيّا واستصفاء الوثائق والأموال والذخائر الحربية وآلة الطباعة والملابس والسيّارة المحجوزة في القضية لصالح الدولة.

وحذر جميع المتّهمين الواقع تمتيعهم بالتّأجيل من عاقبة العود وصدر هذا الحكم و تلي علنا بالجلسة بمحضر السيّد الطّاهر دبية الشاغل لمنصب الادعاء العمومي ومساعدة السيّد القاضي كاتب الجلسة وحرّر في تاريخه.

1- كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة، المصدر السّابق، ص ص 167 . 168.

الملحق رقم 23

" الأحداث الكبرى في المعارضة اليوسفية"[1]

- 13 سبتمبر 1955: عودة صالح بن يوسف إلى تونس.
- 03 أكتوبر 1955: اجتماع صالح بن يوسف وخطابه في مقرّ جامعة الحزب الدستوري بتونس يلقى مساندة كبيرة لموقفه الرافض للاتفاقيات.
- 7 أكتوبر 1955: خطاب بن يوسف في الجامع الكبير، وحكمه على اتفاقيات 3 جوان 1955 بالخيّانة واعتبارها خطوة للوراء.
- 8 أكتوبر 1955: الديوان السيّاسي يجرّد بن يوسف من صفته كأمين عام للحزب ويفصله منه.
- 13 أكتوبر 1955: خطاب منفلوري في تونس، ودعوة بن يوسف إلى المقاومة وإفشال الاتفاقيات.
- 31 أكتوبر 1955: تدشين مقرّ الأمانة بنهج الجزيرة بالعاصمة.
- 7 نوفمبر 1955: صالح بن يوسف يبدأ جولة تعبوية في الجنوب الشرقي (حومة السّوق، تطاوين وبن قردان).
- 11 نوفمبر 1955: الطّاهر لسود يعلن عن انضمامه لصالح بن يوسف.
- 12 نوفمبر 1955: عودة حسين التريكي إلى تونس، وانضمامه لصالح بن يوسف.
- 20 نوفمبر 1955: جولة دعائية لصالح بن يوسف مصحوبا بالطّاهر لسود والتريكي بقابس ولعراض وبني زيد ومدنين.
- 25 نوفمبر 1955: تظاهر الفلاقة في تونس واقتحامهم دار الباي "يطالبون بمنح والتّشغيل".

- 27 نوفمبر 1955: الاتحاد العام للفلاحة بتونس يعلن معارضته لاتفاقيات 03 جوان 1955، وينحاز إلى بن يوسف.
- 17 ديسمبر 1955: إعلان المندوب السّامي الفرنسي بتونس والحكومة التونسية على اكتشاف عصابة خطيرة (عصابة عبد الرحمن الشملي).

- 4 جانفي 1956: إيقاف عليّة بن محمد بن عليّة رئيس عصابة مقاومة وقريب الطّاهر لسود.
- 9 جانفي 1956: صالح بن يوسف يقدّم لشيخ المدينة أعلاما بعقد مؤتمر وطني للأمانة العامّة يوم 18 جانفي بالعاصمة.
- 11 جانفي 1956: الحكومة تعلن منع انعقاد مؤتمر الأمانة العامّة.
- 21 جانفي 1956: انفجار قنبلة في مقرّ الأمانة العامّة بباب الجزيرة.
- 28 جانفي 1956: عمليّات تفتيش في مقرّ الأمانة العامّة والخلايا اليوسفية حيث وجدت أسلحة.
- إلقاء القبض على حوالي 50 من أنصار بن يوسف (علي الزليطني...)، وتمكّن بن يوسف من الفرار.
- 01 فيفري 1956: مدّة الثماني والأربعين ساعة السّابقة البوليس يلقي القبض على 115 يوسفيا، منهم 32 بجهة تونس.
- 06 فيفري 1956: خليّتا الأمانة العامّة في جبنينة وتبرسق تنضمان إلى الديوان السيّاسي.
- 26 أفريل 1956: رئيس الجامعة اليوسفية بالوطن القبلي يعلن ولاءه لبورقيبة.
- 19 ماي 1956: قائد المنظّمة اليوسفية في سيدي بورويس يعلن انضمامه لبورقيبة وولاءه في برقية بعثها له.
- 03 جويلية 1956: استسلام أشهر القيّاديين الميدانيين "اليوسفيين" الطّاهر لسود، وقد قدّم نفسه لوالي مدنين.

1- عميرة عليّة الصغير، جيش التّحرير الوطني التونسي. حقيقته ومصيره، المرجع السّابق، ص ص 111 .112.

الملحق رقم 24

صورة شخصية لزعيم المعارضة اليوسفية "صالح بن يوسف"[1]

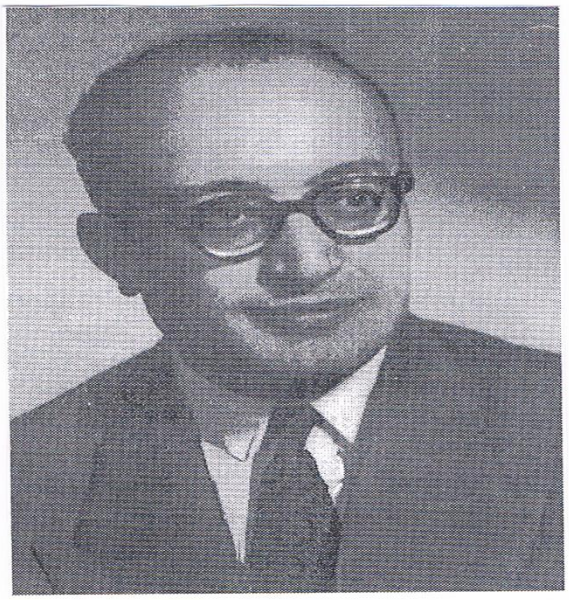

1- عمّار السوفي، بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية. من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية، المرجع السّابق، ص 178.

الملحق رقم 25

صورة شخصية للمناضل "أحمد بن بلّة"[1]

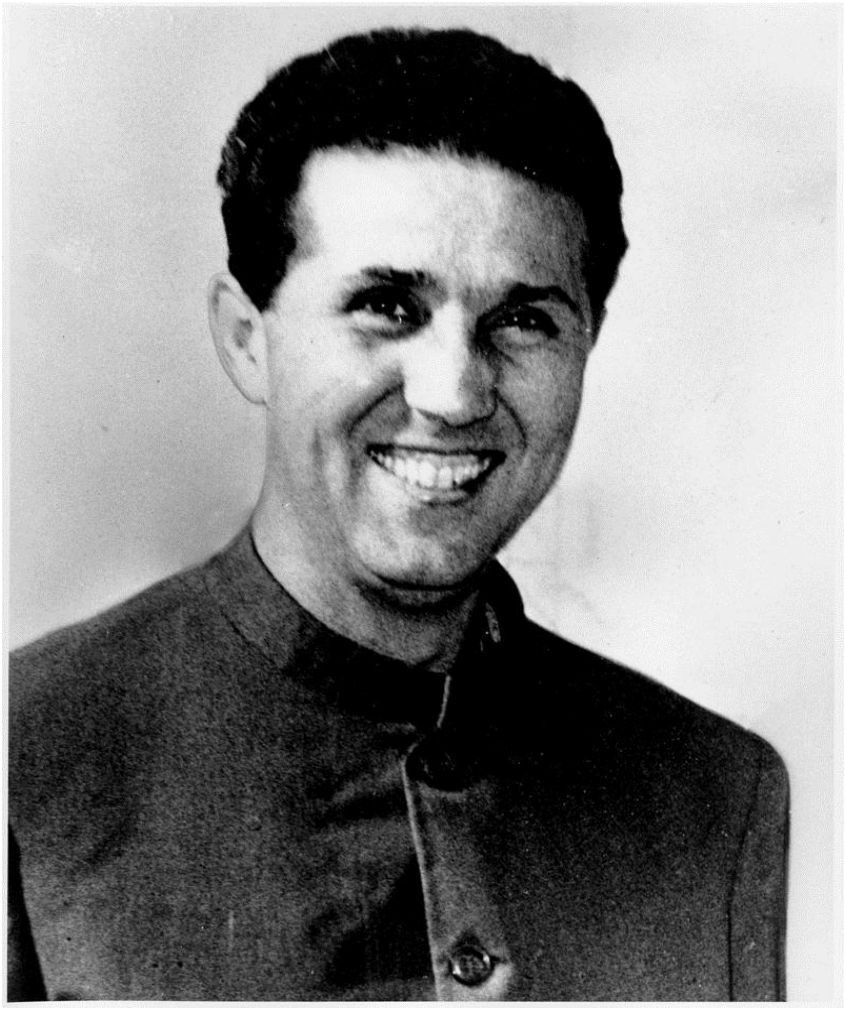

1- عمّار السوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعياته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 177.

الملحق رقم 26

صورة شخصية للقائد "الطاهر لسود"[1]

1- عمّار السوفي، عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعياته. من ثامر إلى الشرايطي، المرجع السّابق، ص 122.

الملحق رقم 27

بطاقة تعريفية للرئيس "الحبيب بورقيبة"[1]

1- عز الدين معزة، المرجع السّابق، ص 459.

ترجمة الأعلام

- **الباهي الأدغم (1913 – 1998):**

من مواليد تونس في 10 جانفي 1913، بدأ نشاطه السيّاسي مبكّرا في صفوف الحركة الوطنية التونسية، حيث عُدّ أحد أبرز مؤسّسي "الشبيبة المدرسية" النّواة الأولى للشبيبة الدستورية، كما شارك في الدّعاية للقضية التونسية وكسب التّأييد الدولي لها، وسافر لأجل ذلك إلى عدّة بلدان مثل المغرب الأقصى ومصر وباريس والولايات المتّحدة الأمريكية، ومن هذه الأخيرة عاد إلى تونس في أكتوبر 1955، لينتخب خلال شهر نوفمبر من نفس السنة (أثناء انعقاد مؤتمر صفاقس) أمينا عامّا للحزب، وظلّ طوال فترة الخمسينيات والستّينيات الشّخصية الثانية في هرمية الدّولة والحزب بعد بورقيبة إلى أن تراجع دوره السيّاسي بشكل كبير بداية من سنة 1970، حين أعفاه بورقيبة من مهامّه على رأس الحكومة، وبقي منعزلا عن الحياة السيّاسية إلى أن توفي سنة 1998[1].

- **البلهوان علي (1909– 1958):**

من مواليد تونس في سنة 1909، دخل كتّاب بطحاء رمضان باي، ثم التحق بمدرسة خير الدين أين أحرز على الشهادة الابتدائية. بعد ذلك التحق بالمدرسة الصّادقية وأحرز على دبلومها، ثم انتقل سنة 1932 إلى جامعة السّربون وانخرط بباريس في منظّمة نجم شمال إفريقيا، ولما عاد إلى تونس عيّن أستاذا بالمدرسة الصّادقية. في سنة 1936 انظمّ البلهوان إلى صفوف الحزب الدستوري وتعرّض للسّجن بسبب عمله لفائدة الحركة المشاغبة للسلطة الاستعمارية. وبعد إطلاق سراحه من سجن سان نيكولا بمرسيليا في 8 أفريل 1943، عاد إلى تونس وأنتخب عضوا للدّيوان السيّاسي، فكانت له بذلك عدّة جولات سيّاسية وثقافية للتّعريف بالقضية التونسية في المشرق، خاصّة بمصر والعراق، وبعد الاستقلال عيّن البلهوان عضوا بالمجلس التأسيسي ثم انتخب رئيسا لبلدية تونس. توفي في 10 ماي 1958[2].

[1] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 223 . 229.

[2] – أحمد الطويلي، المرجع السّابق، ص ص 153. 154.

- **بن بلّة أحمد (1916 – 2012):**

ولد بمدينة مغنية في 25 ديسمبر 1916 من عائلة متواضعة، نشأ وترعرع في وسط عائلي فقير، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية في التّعليم، انتقل إلى تلمسان لمواصلة تعليمه الثانوي، حيث درس خمس سنوات كاملة، وهنالك شعر بالفروقات التّامة بين الفرنسيين والجزائريين، فقرّر التمرّد على المصير الذي رسمه الاستعمار لأبناء الجزائر. وأثناء دراسته في تلمسان احتك بن بلّة مع أحد رفقاء الدّرس المدعو "عبد الكريم بن عثمان (بركة)" الذي عمل على تلقينه لبعض الدروس الوطنية، كونه كان أكثر معرفة بالسيّاسة، ومنذ ذلك الحين (حوالي1927) بدأ أحمد بن بلّة في الاتّصال بالأوساط الوطنية عبر الاتحاد الوطني للمسلمين بشمال إفريقيا.

وفي سنة 1937 دُعي بن بلّة إلى التّجنيد الإجباري، فشارك بذلك في الحرب العالمية الثانية التي أبدى فيها من الشجاعة ما شهد له بها خصومه من الفرنسيين. وبعد عودته من الحرب (انتهت فترة الجندية سنة 1940) وجد نفسه العائل الوحيد لأهله بعد وفاة أبيه وإخوته، غير أنّ ذلك لم يمنعه من السّعي في تحسين أمور الجزائريين، حيث انضمّ مبكّرا للحركات النّضالية السيّاسية ثم العسكرية خُصوصا بعد مجازر ماي 1945 حين ترأس المنظّمة الخاصّة سنة 1949. وبعد اكتشاف المنظّمة الخاصّة تم اعتقال أحمد بن بلّة، غير أنّه لم يمكث طويلا في السجن، حيث تمكّن من الفرار من سجن البليدة رفقة صديقه أحمد مهساس في مارس 1952، وتم تهريبه إلى فرنسا بإحدى المراكب البحرية باستعمال وثائق مزوّرة للإفلات من السّلطات الفرنسية، وفي فرنسا دبّر له محمد يزيد (عضو في اللّجنة المركزية للحزب) الوثائق اللازمة للانتقال إلى سويسرا، ليلتحق خلال شهر أوت 1953 بالوفد الخارجي للثورة بالقاهرة. وهنالك اهتمّ بمسألة التّسليح في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، واعتقل مع رفاقه في عملية اختطاف الطائرة ولم يطلق سراحه إلا في مارس 1962. عيّن بن بلّة وزيرا للدولة في الحكومة المؤقّتة الأولى، ثمّ نائبا لرئيس الحكومة في العهدتين الثانية والثالثة. انتخب كأول رئيس للجمهورية

الجزائرية سنة 1963، ثم انقلب عليه بومدين في التّاسع عشر جوان 1965، وبعد سنة 1980 اختار المنفى إلى غاية سنة 1989، حيث عاد إلى الجزائر وبقيّ يُصارع المرض إلى أن وافته المنيّة عام 2012[1].

- **بن لخضر الطّاهر الغريبي (—):**

أصيل الجنوب التونسي، ينتمي إلى قبيلة غريب التونسية، وهو من مواليد مدينة نفطة الواقعة في أقصى جنوب غرب تونس، انخرط في الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد منذ شبابه، ولعب دورا أساسيّا في كسب الأنصار لرفع السلاح خلال الثورة المسلّحة بتونس (1952 - 1954). وقد رفض تسليم السلاح في أواخر ديسمبر 1954، والتحم مع المقاومين الجزائريين بالجنوب الغربي، فأصبح من أبرز قيّاديي المقاومة المسلّحة اليوسفية بالجنوب التونسي إلى غاية جوان 1957. وبعد إلقاء القبض على رفيقه الجزائري الطالب العربي، تمكّن الغريبي من الفرار إلى ليبيا، فحكم علية بالإعدام غيّابيا[2].

- **بورقيبة الحبيب (1903 – 2000):**

ولد بالمنستير في 3 أوت 1903 من عائلة متواضعة، زاول تعليمه بالمدرسة الصّادقية ثم بمعهد كارنو (معهد بورقيبة الآن) أين حصل على الإجازة في الحقوق. وبعد عودته إلى تونس أسّس الحزب الدّستوري التونسي الجديد، وتزعّم حركة الانشقاق داخل هذا الحزب التي أدّت إلى ميلاد حزب جديد في مارس 1934 إثر انعقاد مؤتمر قصر الهلال، عُرف باسم الحزب الدستوري الجديد، وانتخب أمينا عاما له. وفي مارس 1945م التحق بالقاهرة ليقود الصّراع ضدّ الامبريالية، ثم عاد إلى تونس بعد أربع سنوات من ذلك ليواصل نضاله ضدّ سلطات الحماية.

وافق بورقيبة على الاستقلال الدّاخلي لتونس في 03 جوان 1955م. ودخل بذلك في مواجهة عنيفة مع الأمين العام للحزب الدستوري التونسي الزّعيم "صالح بن يوسف" بسبب الموقف من الاتّفاقيات الفرنسية التونسية، قبل أن يحسم الصّراع لفائدته خاصّة في ظلّ تطوّر الأوضاع التونسية والإقليمية التي قادت تونس إلى الاستقلال المعلن عنه في 20 مارس 1956، وبذلك انتخب بورقيبة في

[1] – السّعيد الصّافي، بن بلّة يتكلّم، المصدر السّابق، ص ص 21. 30. (بتصرّف).

[2] – عميرة علية الصغير، في التحرّر الاجتماعي والوطني. فصول من تاريخ تونس المعاصر، المرجع السّابق، ص 188.

08 أفريل رئيسا للمجلس التأسيسي، وأصبح في 12 أفريل رئيسا لأول حكومة تونسية بعد الاستقلال. هكذا بقيّ بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية إلى غاية الإطاحة به من طرف الجنرال زين العابدين بن علي في 07 نوفمبر 1987، ومنذ هذا التّاريخ اعتزل بورقيبة السيّاسة وظلّ كذلك إلى أن وافته المنيّة خلال شهر أفريل من سنة 2000[1].

- **البوعمراني عبد الله (ـــ):**

أحد أبرز قادة العصابات المسلّحة بالجنوب الغربي التونسي خلال فترة الخمسينيات من القرن العشرين، عارض اتّفاقيات الحكم الذّاتي في تونس ووقف في صفّ صالح بن يوسف، حكم عليه بالإعدام من طرف المحكمة العليا في سبتمبر 1956 باعتباره واحدا من المعارضين اليوسفيين، ونفّذ الحكم في حقّه بمدينة باردو خلال نفس الشهر من سنة 1956[2].

- **ثامر الحبيب (1909 – 1949) :**

من مواليد 04 أفريل 1909 بتونس، وهو سيّاسي وطني وطبيب تونسي، درس الطّب بباريس، وبدأ نشاطه السيّاسي ضمن الحزب الحر الدستوري الجديد وجمعيّة طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي تولى رئاستها عام 1935. وبعد أحداث أفريل 1938 تولى الحبيب ثامر رئاسة الديوان السيّاسي السري الذي يمثّل القيّادة السرية للحزب الدستوري الجديد، فأصبح بذلك من أبرز قيّادبي الحزب، ليعرف بذلك الاعتقال شأنه شأن الوطنيين التونسيين. وفي ماي 1943 غادر تونس هروبا من القمع الاستعماري متّجها نحو ألمانيا، ومنها إلى مصر أين ساهم رفقة إخوانه المغاربة في تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947. وقد لقي حتفه هو ورفيقيه علي الحمامي من الجزائر ومحمد بن عبود من المغرب، في حادث طائرة بباكستان (لاهور) بتاريخ 12 ديسمبر 1949، عندما كانوا متّجهين لحضور مؤتمر الاقتصاد الإسلامي المنعقد بمدينة كراتشي في باكستان[3].

---

[1] – مفيد الزّيدي، موسوعة التّاريخ العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2004، ص 235.

[2] – عميرة عليّة الصغير وعدنان المنصر، المرجع السّابق، ص 211.

[3] – أحمد الطويلي، المرجع السّابق، ص 155.

- **التريكي حسين (1915 – 2012):**

ولد بالمنستير سنة 1915، انظمّ في سنّ مبكّرة إلى الحزب الحر الدستوري الجديد، وأصبح أثناء الحرب العالمية الثانية من أحد قيّادييه البارزين. فرّ من تونس إثر إعادة احتلالها من طرف الحلفاء، وظلّ متنقّلا ما بين إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا. حُكم عليه بالإعدام غيّابيا من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية. وفي سنة 1948 انتقل إلى القاهرة وأصبح من أهمّ العناصر الوطنية النشيطة ضمن مكتب المغرب العربي. وخلال فترة الصّراع اليوسفي البورقيبي اصطفّ حسين التريكي إلى جانب صالح بن يوسف، فكان بمثابة العضد الأيمن له، حيث ظلّ ملازما له في مواقفه المعارضة للاتّفاقيات التونسية الفرنسية المتعلّقة بالاستقلال الدّاخلي لتونس، وحكم عليه بالإعدام غيّابيا من طرف النّظام البورقيبي، ولم يعف عنه بورقيبة إلا في سنة 1962. توفي التريكي سنة 2012[1].

- **الخطابي محمد بن عبد الكريم (1882 –1963):**

هو الزّعيم الوطني المغربي والقائد البارع للمقاومة الشعبية المسلّحة ضدّ الاحتلال الاسباني والفرنسي، اعتقله الفرنسيون إبان الحرب العالمية الأولى لكنه أفلت من قبضتهم وأطلق الدعوة للجهاد ضدّ المحتلين، حيث تمكّن من إحراز انتصارات باهرة ضدّ القوات الاسبانية في معركة الأنوال خلال سنة 1921. وفي ربيع 1925 شنّ الخطابي هجوما ناجحا ضدّ القلاع الحدودية الفرنسية، الأمر الذي دفع بفرنسا واسبانيا إلى شنّ حملة ضدّه بقيّادة الجنرال بيتان، وهي الحملة التي جعلته يقبل على التّسليم عام 1926، حيث تم نفيه إلى جزيرة في المحيط الهندي، وبقيّ هنالك إلى أن قامت جامعة الدّول العربية بوساطة ناجحة لنقله من هناك سنة 1947، وتمكّن من اللّجوء إلى مصر وبقي هناك إلى غاية وفاته سنة 1963[2].

[1] – عميرة عليّة الصغير، في التحرّر الاجتماعي والوطني. فصول من تاريخ تونس المعاصر، المرجع السّابق، ص 182.

[2] – الموسوعة العسكرية، ج3، ط2، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 1993، ص 843.

- **الرويسي يوسف: (1907– 1980):**

من مواليد الجنوب التونسي خلال سنة 1907، ترعرع منذ صباه في بيئة محافظة، فتعلّم الاعتزاز بالنّفس والاتكال عليها وحدها، مع الحرص على تغذيتها بالقيّم الفاضلة التي تستمدّ أصالتها من التّاريخ العربي الإسلامي، ولما التحق بجامع الزيتونة، أدرك أهمية التحرّك لتغيير الأوضاع الاجتماعية والسيّاسية المزرية التي فرضها النّظام الاستعماري بتونس، فانخرط ضمن صفوف الحزب الدستوري التونسي في أواخر سنة 1926، أين وجد الفضاء الطبيعي الذي استهواه لبلورة نشاطه وتحرّكه السيّاسي المبكّر، ثم ساهم في تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد، وظلّ من أبرز قيّاداته إلى غاية خروجه من تونس في ماي 1943 هروبا من القمع الاستعماري، حيث واصل نضاله بفرنسا وألمانيا وإسبانيا. وفي سنة 1946 لجأ الرويسي إلى دمشق، أين كوّن "مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي بدمشق"، كما ساهم في تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة في فيفري 1947، واختلف مع بورقيبة في نهجه التّفاوضي، ليتعمّق الخلاف أكثر بينهما بسبب تأييده (الرويسي) للمعارضة اليوسفية. وكان الرويسي من العناصر الوطنية المغضوب عليها في تونس، حيث لم يعد إليها حتى سنة 1946، لينتخب عضوا بمجلس النوّاب، توفي الرويسي سنة 1980[1].

- **الزليطني علي (1913 – 1976):**

أصيل جربة ومناضل دستوري منذ فترة شبابه، ارتقى إلى قيّادة الحزب الحر الدستوري الجديد حين انتخب عضوا لمجلسه الملّي سنة 1937، فسجن ونفي مع قيّادة الحزب سنة 1938، ثم أصبح مع فترة الخمسينيات على رأس جامعة تونس والأحواز. وفي سنة 1952 أوفده حزب الدستور لتنظيم مكتب الحزب بطرابلس وتأطير اللاجئين التونسيين هناك، ثم عاد إلى تونس في سبتمبر 1955 ليُعلن عن تأييده لمواقف الزّعيم صالح بن يوسف الرّافضة للاتفاقيات الفرنسية التونسية، فأصبح بذلك أحد العناصر البارزة في المعارضة اليوسفية. حكمت عليه المحكمة العليا مثل غيره من اليوسفيين بعشرين سنة من الأعمال الشّاقة، غير أنّ بورقيبة عفا عليه سنة عام 1960. ومنذ ذلك الحين قرّر علي الزليطني الابتعاد

[1] – عبد الجليل التميمي، كتابات ومذكّرات المناضل يوسف الرويسي، المرجع السّابق، ص ص 18 .21 (بتصرّف)

عن العمل السيّاسي مفضّلا ممارسة النشاط الفلاحي، وظلّ على هذا الحال إلى أن وافته المنيّة يوم 05 أكتوبر 1976[1].

- **السعيد عبد الحي (1927–1957):**

من مواليد 1927 بمدينة الوادي، تعلّم منذ صباه مبادئ اللّغة العربية وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامع الزيتونة لمواصلة دراسته العليا وتخرج منها سنة 1952. كان من الطلائع الأولى للثورة التحريرية بالمنطقة الأولى، حيث كلّف بقيادة الثورة في تونس خلال أواخر سنة 1955، فكان همزة وصل بين الداخل والخارج لتزويد الثورة بالسلاح والعتاد والرجال، كما كان من دعاة تحرير المغرب العربي بكامله، حيث اتصل بالزعيم التونسي صالح بن يوسف لتوحيد الكفاح مع الثورة الجزائرية. ونتيجة للصّراعات التي وقعت بين قادة الثورة بتونس بعد مؤتمر الصومام، ألقي القبض على عبد الحي ونفّد فيه حكم الاعدام يوم 26 جوان 1957[2].

- **الطالب العربي (1923 – 1957):**

هو القائد الطالب العربي بن محمد قمودي. من مواليد سنة 1923 بمدينة الوادي، تعلّم اللّغة العربية وحفظ بعض سور القرآن الكريم بأولاد أحمد، ولما بلغ سنّ الشباب سافر سنة 1952 إلى نفطة التونسية للعمل في مناجم الفوسفاط بالرديف، وشارك في الثورة التونسية بماله ونشاطه السيّاسي. وعند اندلاع ثورة نوفمبر الجزائرية اتّصل مع مصطفى بن بولعيد وشيحاني البشير والجيلالي بن عمر، فكلّف بتمويل الثورة وتسليحها، وكوّن في الوادي خلايا الإسناد للثورة في المنظّمة المدنية السرّية لجبهة التّحرير التي بقيّت تمدّ الثورة إلى غاية اكتشاف النّظام والتنكيل بأفراده في مجزرة رمضان 1957. وبعد استشهاد الجيلاني بن عمر تقلّد الطالب العربي قيّادة الجيش بالحدود الجزائرية التونسية بالمنطقة الخامسة للولاية الأولى (الأوراس)، فتولى المهمّة بحزم وإخلاص إلى أن استشهد عام 1957[3].

---

[1] – اللّواتي حمّادي، أبناء جربة في الحركة الوطنية (1881–1967)، الشركة التونسية لفنون الرّسم، تونس، 2006، ص ص 241. 244.

[2] – سعد بن البشير العمامرة، شهداء من بلادي الجزائر، مطبعة مزوار، الجزائر، 2006، ص ص 96. 97.

[3] – حمد الهادي بوغزالة، المصدر السّابق، ص 22.

- **عبد النّاصر جمال (1918–1970م):**

ولد جمال عبد النّاصر في 15 جانفي 1918 بالإسكندرية، وهنالك تلقى دراسته الابتدائية، ثم واصل تعلّمه بمدرسة النهضة الثانوية بالقاهرة أين احتك بوفود الطلبة التي كانت تسعى إلى بيوت الزّعماء تطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، فتألّفت بذلك الجبهة الوطنية سنة 1936 التي أصبح عبد النّاصر أحد أعضائها البارزين. وبعد حصوله عل البكالوريا قرّر الالتحاق بالكلّية الحربية عام 1937، ورُقّي فيها لرتبة نقيب في 09 سبتمبر 1942، ليُعين مع مطلع 1943 كمدرّس بالكلية الحربية. شارك جمال عبد النّاصر في حرب فلسطين عام 1948، وبعد عودته منها عُين مدرّسا في مدرسة أركان الحرب، أين عمل على تأليف لجنة تنفيذية من الضبّاط الأحرار، مهمّتها التّخطيط والتنفيذ العملي للثورة المصرية التي كانت في 22 جويلية 1952. وبعد نجاح ثورة الضبّاط الأحرار في مصر، تقلّد جمال عبد النّاصر منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الدّاخلية في فبراير 1954. وفي 24 يونيو 1956 انتخب عبد النّاصر رئيسا للجمهورية عن طريق الاستفتاء الشعبي وفقا لدستور 16 جانفي 1956، كما أصبح خلال 22 فيفري من سنة 1958 رئيسا للجمهورية العربية المتّحدة، فعمل بذلك على مساندة حركات التحرّر في العالم العربي، وظلّ يشغل منصب رئاسة الجمهورية العربية المتّحدة إلى أن تُوفي فجأة في 28 سبتمبر 1970[1].

- **لغرور عباس (1926– 1957):**

من مواليد 23 جوان 1926 بخنشلة، حفظ ما تيّسر من القرآن الكريم ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية التي تحصّل منها على الشهادة الابتدائية، انخرط مبكرا في حزب الشعب الجزائري وشارك رفقة مصطفى بن بولعيد وبشير شيهاني في مؤتمر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1954. قاد الأفواج الأولى بخنشلة عندما اندلعت الثورة الجزائرية، وشارك في عدّة معارك مثل معركة الجرف سنة 1955، اختلف مع لجنة التنسيق والتنفيذ وسلم نفسه ليعدم خلال شهر جوان 1957 من دون محاكمة[2].

---

[1] – الموسوعة العسكرية، ج2، ط3، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 1990، ص ص 75 . 76.

[2] – سعد بن البشير العمامرة، المرجع السّابق، ص ص 96. 97.

- **المدني أحمد توفيق (1899 – 1983):**

ولد بتونس سنة 1899، وهو من أصول جزائرية، تخرّج من جامع الزيتونة لكنّه لم يحز على شهادة لأنه كان بدون دفتر، ذو ثقافة واسعة، عُرف منذ بداية حياته بنضاله الوطني ونشاطه السيّاسي. كان من مؤسّسي الحزب الدستوري ثم جمعيّة العلماء المسلمين ونادي الترقي بالعاصمة، كما كان النّاطق الرسمي لجبهة التّحرير الوطني الجزائرية، وعضوا في الحكومة المؤقتة، وبعد الاستقلال تقلّد عدّة مناصب دبلوماسية، وظلّ كذلك إلى أن وافته المنيّة يوم 18 أكتوبر 1983 بمدينة الجزائر، تاركا مؤلّفات كثيرة ومتنوعة أهمّها: تقويم المنصور، الحريّة ثمرة الجهاد، كتاب الجزائر. التّاريخ والجغرافيا والمجتمع...الخ[1].

- **المنجي سليم (1908 – 1969):**

ولد بتونس من عائلة ذات أصول يونانية يوم 15 سبتمبر 1908، زاول تعليمه بالمدرسة الصّادقيّة بتونس، ثم بكليّة الحقوق بباريس أين حصل على الإجازة في الحقوق ونشط في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا. انخرط مبكّرا في النّشاط الحزبي ضمن صفوف الحزب الدستوري الجديد. وفي أكتوبر 1948، انعقد مؤتمر الحزب بمنزله وانتخب آنذاك مديرا له، ثم تقلّد عدّة مناصب منها وزير الدّاخلية في حكومة الطّاهر بن عمّار سنة 1955. وفي أفريل 1956 عيّنه بورقيبة وزيرا في حكومة الاستقلال الأولى، كما عُيّن سنة 1963 كاتب دولة للشؤون الخارجية، وظلّ يشغل خطّة كاتب دولة إلى غاية وفاته سنة 1969[2].

[1] – محمد محفوظ، المرجع السّابق، ص ص 263 .268. (بتصرّف).

[2] – نفسه، ص ص 219 .228. (بتصرّف).

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

أولا: المصادر:

1- الوثائق الأرشيفية (الأرشيف الوطني التونسي):

*** تقارير، ملاحظات، قصاصات صحفية متعلّقة بالخلاف السيّاسي بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف، سلسلة الحركة الوطنية التونسية (الصندوق 61، الملف رقم 05):**

- **"بيان الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحر الدستوري التونسي حول المصادقة على الاتّفاقيات التونسية الفرنسية"**، الوثيقة 112، المؤرّخة في 12 جويلية 1955.
- **"الأستاذ صالح بن يوسف يلقي خطابا توجيهيّا جامعا يتحدّث فيه عن الاتّفاقيات وعن قضيّتي المغرب والجزائر "**، الوثيقة رقم 76، المؤرّخة في 09 أكتوبر 1955.
- **"مندوب الحزب الدستوري الحر بليبيا يؤكد تضامنه مع الزّعيم الكبير صالح بن يوسف"**، الوثيقة رقم 108، المؤرّخة في 23 أكتوبر 1955.
- **"مبادئ الأمانة العامة"**، الوثيقة رقم 74، المؤرّخة في 01 نوفمبر 1955.
- **"دعوات إلى توحيد الجهد الوطني وتجاوز الخلافات لصالح الحزب والشعب"**، الوثيقة رقم 49، المؤرّخة في 09 نوفمبر 1955 .
- **"مقتل حارس الحبيب بورقيبة الشّخصي"**، الوثيقة رقم 63، المؤرّخة في 05 ديسمبر 1955.
- **"بيان حسين التريكي إلى أبناء السّاحل المكافح"**، الوثيقة رقم 01. 02. 03، المؤرّخة في 12 ديسمبر 1955.
- **"خطاب معالي الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري التونسي بتطاوين"**، الوثيقة رقم 150، المؤرّخة في أوائل نوفمبر 1955.
- **"منهج الحزب الدستوري في الحاضر والمستقبل"**، الوثيقة رقم 127 – 128، المؤرّخة في 01 نوفمبر 1955.
- **"صالح بن يوسف يعقد ندوة صحفية يكشف فيها عن المؤامرة المدبّرة ضدّ الأمانة العامة"**، الوثيقة رقم 125، المؤرّخة في 05 نوفمبر 1955.

- "**الزعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف يذكر للصّحفيين الحدّ الأدنى لقبول الاتفاقيّات التونسية الفرنسية**"، الوثيقة رقم 131، المؤرّخة في 06 نوفمبر 1955.
- "**رحلة الزّعيم الكبير بن يوسف إلى الجنوب**"، الوثيقة رقم 148، المؤرّخة في 23 نوفمبر 1955.
- "**زيارة بن يوسف إلى القيروان**"، الوثيقة رقم 95، (د.ت).

*** وثائق الخارجيّة الفرنسية (سلسلة المراسلات السيّاسية والتّجارية بتونس)**

- "**تقرير النّشاط السيّاسي بالبلاد التونسية**"، الصّندوق رقم 314، الملف رقم 649، الوثيقة 50، المؤرّخة في 14 ماي 1955.
- "**زيّارة الحبيب بورقيبة للقيروان**"، الصَندوق 379، الملف 281، الوثيقة رقم 02، (د.ت).

2- الشهادات الحيّة:

*** الشهادات الشفوية: رصيد (م.ع.ت.ح.و.ت):**

- بن بلقاسم (الطيّب)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 049، الحامّة، 17 أفريل 1993.
- بن الحسين بن كريم ظاهري (علي)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 99، الخليدية، 1993.
- بن صالح عباسية (محمد الهادي)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 112، تونس، 16 ماي 1994.
- بن علي بن مسعود المسعودي (الزّين)، **تسجيل شفوي**، شهادة مدمجة مع شهادة الطّاهر لسود.
- بن فرج بن عمّار السبوعي (محمد)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 36، الحامّة، 1993.
- بوعواجة (عبد الرّحمن)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 216، قفصة، 23 جويلية 1992.
- التريكي (حسين)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 044 ، تونس، 25 جويلية 1993.
- حمّادي (غرس)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 221، تونس (الجهة الكبرى)، 19 أفريل 2001.
- السّندي (عبد الوهاب)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 101، قفصة، 30 ديسمبر 1993.
- عبد الله إبراهيم، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 039، تونس، أكتوبر 1992.
- غابري (خليفة بوشاش)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 13، المكناسي، 25 نوفمبر 1992.
- كعفار (محمد الصّالح)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 062، تونس، 1991.
- لسود (الطّاهر)، **تسجيل شفوي**، رقم التّسجيل 043، جهة قابس، جانفي 1993.

*** شهادة ضمن حصّة تلفزيونية:**

- البكوش (الهادي)، **اغتيّال بن يوسف جريمة دولة**، ج3، برنامج شاهد على العصر (حصة تلفزيونية)، إعداد وتقديم أحمد منصور مدير قناة الجزيرة الوثائقيّة، 2008.

*** الشهادات المكتوبة:**

- الباش (حسين)، **شهادة ضمن كتاب عبد الحميد العلاني. لم يناموا على الذّل. شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والسّاحل**، شركة فنون الرّسم والنّشر والصّحافة، تونس، 2006.
- بن الطيّب إدريس (محمد)، **شهادة ضمن كتاب عبد الحميد العلاني**.
- التريكي (حسين)، **شهادة تاريخية منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة**، العدد 121، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2006.
- الخطيب (عبد الكريم)، **شهادة حول الاتّفاقات بين جيش التّحرير المغربي وجيش التّحرير الجزائري، والخلافات المغربية – الجزائرية ما بعد الاستقلال**، أعمال ملتقى جيش التّحرير المغاربي 1948– 1955، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 11.12 ماي 2001.
- رزق الله (عبد المجيد)، **شهادة ضمن كتاب عبد المجيد العلاني**.
- الشاذلي (باي)، **شهادة تاريخية منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة**، العدد 117، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2004.
- الشاذلي (البديري)، **شهادة منشورة في جريدة الصّباح**، العدد 101452، 12 أوت 1988
- شاشية (عمر)، **شهادة منشورة ضمن أعمال مؤتمر حول: نهاية حكم بورقيبة والقيّادات السيّاسيّة العربية بين الصّعود والانحدار في 13 ديسمبر 2003 بمؤسّسة التمّيمي**، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2005.
- شوشان (عبد العزيز)، **شهادة ضمن كتاب عبد الحميد العلاني**.
- القاضي (بشير)، **شهادة حول المسيّرون المغاربة. الاتّفاق والاختلاف**، أعمال ملتقى مؤسّسة محمد بوضياف بالجزائر، حول جيش التّحرير المغاربي 1948–1955، في 11.12 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 2006.

- ملاح (عمّار)، **شهادة منشورة في جريدة الشرق اليومي**، العدد 3440، الاثنين 10 أكتوبر 2011.
- مهساس (أحمد)، **شهادة منشورة في جريدة الخبر**، العدد 5169، الاثنين 02 مارس 2013.
- الهاني (عبد الستّار)، **شهادة ضمن ملف الخلاف اليوسفي البورقيبي**، شهادة منشورة بالمجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 144، منشورات (م.ت.ب. ع.م)، تونس، 2004.

3- الكتب:

*** المذكّرات الشخصية:**

- بن إبراهيم بن العقون (عبد الرّحمن)، **الكفاح القومي والسيّاسي من خلال مذكّرات معاصر (1947-1954)**، ج3، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- بن بلّة (أحمد)، **مذكّرات أحمد بن بلّة كما أملاها على روبير ميرل**، تر: العفيف الأخضر، ط2، منشورات دار الآداب، 1999.
- بن الحاج (عثمان سعدي)، **مذكّرات الرّائد عثمان سعدي بن الحاج**، دار الأمة للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2010.
- بوغزالة (حمد الهادي)، **مسيرة شاهد على الكفاح والثورة (مذكّرات)**، ط1، منشورات ملحقة متحف المجاهد، مطبعة سفري، ولاية الوادي، 2012.
- حربي (محمد)، **حياة تحدّ وصمود. مذكّرات سيّاسية (1945-1962)**، تر: عبد العزيز بوباكيرو وعلي قسايسية، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2004.
- الرّشيد إدريس، **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- (ـــــــــ)، **في طريق الجمهورية (مذكّرات)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- الزّبيري (الطّاهر)، **مذكّرات آخر قادة الأوراس التّاريخيين (1959-1962)**، منشورات E.N.E.P ، الجزائر، 2008.
- الرّغل (حامد)، **جيل الثورة.ذكريات مناضل**، دار سراس للنّشر والتوزيع، تونس، 2001.
- الزّهار (أحمد الشّريف)، **مذكّرات الحاج أحمد الشّريف الزّهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1975.

- السّمعلي (عبد القادر)، **مذكّرات مقاوم. تجربتي مع جيش التّحرير التونسي والمقاومة المسلّحة كما عشتها**، تحقيق الأستاذ عبد الجليل الميساوي، دار نهى للطّباعة والنّشر، صفاقس، 2010.
- الشّابي (علي)، **صدى الذّكريات**، ط1 ، دار نقوش عربية للنّشر، تونس، 2010.
- عبد الكافي (محمد)، **رحلة عبر الكفاح الوطني (مذكّرات)**، دار الغرب الإسلامي، تونس،2012.
- العبعاب (عبد الله)، **شهادة للتّاريخ (مذكّرات)**، ج1، مطبعة التّسفير الفني، تونس، 2010.
- المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح (مذكّرات)**، ج1، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1976.
- (ـــــــــ)، **حياة كفاح (مذكّرات)**، ج2، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1976.
- (ـــــــــ)، **حياة كفاح (مذكّرات)**، ج3، ط2، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- المستيري أحمد، **ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التّاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940– 1990) وثورة (2010 – 2011)**، دار الجنوب للنّشر والتوزيع، تونس، 2011 .
- المعاوي (علي)، **ذكريات وخواطر. سلسلة مذكّرات**، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، منوبة، 2007.
- الموهلي (محمد الحبيب)، **مذكّرات الوطن والصّمود**، دار الغرب الإسلامي للنّشر، بيروت، 1991.
- نويرة (الحبيب)، **الذّاكرة الحيّة. ذكريات عصفت بي**، دار سراس للنّشر، تونس، 1992.

*** المؤلّفات:**

- الأشرف (مصطفى)، **الجزائر: الأمّة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- البكّوش (الهادي)، **شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب**، E.N.A.G، للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013.
- بلخوجة (الطّاهر)، **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم. شهادة على العصر**، مطبعة علامات، تونس، (دون تاريخ).
- البلهوان (علي)، **نحن أمّة**، إصدارات دار الحرية، شركة فنون الرّسم والنشر، تونس، 1990.

- ابن خلدون (عبد الرّحمن)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج12، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1995.
- بن عبود أمحمد، **مكتب المغرب العربي في القاهرة. دراسات ووثائق**، منشورات عكاض،(د.م)، (د.ت).
- بورقيبة (الحبيب)، **تصريحات وأحاديث صحفية**، نشر وزارة الإعلام، تونس، 1963.
- (ـــــــــــ)، **خطب**، ج 1، منشورات كتابة الدولة للأخبار، تونس، 1974.
- (ـــــــــــ)، **خطب**، ج 2، منشورات كتابة الدولة للأخبار، تونس، 1974.
- الحبيب ثامر، **مكتب المغرب العربي: هذه تونس**، مطبعة الرسالة، (د.م)، (د.ت).
- جوليان (شارل أندري)، **إفريقيا الشمالية تسير**، تر: المنجي سليم وآخرون، الدّار التونسية للنّشر، تونس، 1976.
- حربي (محمد)، **جبهة التّحرير الوطني الأسطورة والواقع (1954-1962)**، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983.
- الديب (فتحي)، **عبد النّاصر وثورة الجزائر**، ط2، دار المستقبل العربي، بيروت، 1990.
- زروال (محمد)، **دور المنطقة السّادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية مع دراسة تحليلية للقيّادات العسكرية العليا لجيش التّحرير الوطني في الحدود الشرقية والعلاقات الجزائرية التونسية مدعومة بوثائق لم تنشر**، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011.
- (ـــــــــــ)، **اللّمامشة في الثورة** ،ج2، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2003.
- الشّاذلي (عمر)، **بورقيبة كما عرفته**، الدار التونسية للنشر، تونس، 2013.
- الصّافي (سعيد)، **بن بلّة يتكلّم. المذكّرات السيّاسية والثقافية للزّعيم أحمد بن بلّة**، ط2، منشورات عرابيا، تونس، 2012.
- (ـــــــــــ)، **بورقيبة سيرة شبه محرّمة**، ط4، منشورات عرابيا، تونس، 2004.
- الصيّاح (محمد)، **الفاعل والشّاهد**، حاوره الأستاذ المولدي الأحمر، دار سراس للنّشر، تونس، 2012.
- طوبال (إبراهيم)، **البديل الثوري بتونس**، دار الطّليعة للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1979.

– الفاسي (علال)، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط7، منشورات المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، الرّباط، 2010.

– مزالي (محمد)، **نصيبي من الحقيقة. وزير أوّل في رئاسة بورقيبة يشهد**، ط1، دار الشروق للنّشر، القاهرة، 2007.

– قرار (الحبيب)، **لتحيا تونس**، مطبعة بوسلامة للنّشر، تونس، 1996.

– نزّار (خالد)، **يوميّات الحرب. الجزائر (1954 – 1962)**، ط1، تر: سعيد اللحام، منشورات E.N.E.P ، الجزائر، 2004.

– الورتلاني (الفضيل)، **الجزائر الثائرة**، ط3، دار الهدى للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1991.

– **كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتّحدة**، أصدرته كتابة الدولة للشّؤون الخارجيّة للجمهورية التونسية، تونس، 1958.

ثانيا: المراجع:

1– الكتب:

–أبو خليل (شوقي)، **الإسلام وحركات التحرّر العربية**، دار الفكر للنّشر والتوزيع، دمشق، 1991.

– ألفرد (بل)، **الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي**، تر: عبد الرّحمن البدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

– بلقاسم (محمد) وآخرون، **القواعد الخلفية للثورة الجزائرية. الجبهة الشّرقية 1954–1962**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

– بن خليف (عبد الوهّاب)، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2009.

– بن سلطان (عمّار) وآخرون، **الدّعم العربي للثورة الجزائرية. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث**، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

– بوقرّة (عبد الجليل)، **النّظام البورقيبي الصّعود والانحدار (1956–1987)**. دراسة تاريخية، ط1، دار آفاق للنّشر والتّوزيع، تونس، 2012.

– التّركي (عروسية)، **الحركة اليوسفية في تونس 1955 – 1956**، ط1، دار نهى، صفاقس، 2011.

– (ـــــــــــ)، **فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة**، ط1، دار نهى، صفاقس، 2005.

– التيمومي (الهادي)، **انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر (ثورة 1906)**، بيت الحكمة، قرطاج، 1993.

– (ـــــــــــ)، **نقابات الأعراف التونسيين (1932–1955)**، دار محمّد علي للنّشر والتّوزيع، تونس، 1983.

– التمّيمي (عبد الجليل)، **كتابات ومذكّرات المناضل يوسف الرويسي السيّاسية مع وثائق جديدة تنشر لأول مرة**، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1995.

– التمّيمي (عبد الجليل) وآخرون، **شهادة أحمد بن صالح السيّاسية. إضاءات حول نضاله الوطني والدولي**، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، زغوان، 2002.

– الجابري (محمد الصّالح)، **النّشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900–1962)**، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1983.

– جعيط (هشام)، **الفتنة. جدليّة الدّين والسيّاسة في الإسلام المبكّر**، ط1، تر: خليل أحمد خليل، دار طليطلة للنّشر، بيروت، 1993.

– الجيلاني (بن الحاج يحيى)، **الزّعيم الكبير صالح بن يوسف. حياته ونضاله**، ط1، الشركة التونسية للنّشر وتنميّة فنون الرّسم، تونس، 2009.

– حجي (لطفي)، **بورقيبة والإسلام. الزّعامة والإمامة**، دار الجنوب للنّشر، تونس، 2004.

– حفظ الله (بوبكّر)، **التّموين والتّسليح إبّان ثورة التحرير الجزائرية (1954–1962)**، طاكسيج كوم للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010.

– الحدّاد (سالم)، **الإتحاد العام التونسي للشّغل والإشكالات الصّعبة**، آرتبيو للطّباعة ، تونس، 2009.

– (ـــــــــــ)، **الاتحاد العام التونسي للشّغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصّدام**، ج1، ط1، آرتيبو للطّباعة والنّشر، تونس، 2011.

– خالد (أحمد)، **الهادي نويرة مسيرة مثقّف مناضل ورجل دولة**، ط1، منشورات الزّخارف، تونس، 2006.

– خرفي (صالح)، **في رحاب المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

– خليفة (الجندي) وآخرون، **حوار حول الثورة**، ج1، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009.

– الدّقي (نور الدّين)، **المغرب العربي والاستعمار الفرنسي**، دار سراس للنّشر، تونس، 1997.

– الدقي (نور الدين) وآخرون، **المجتمع التونسي والاستغلال الاستعماري. سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر**، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 1997.

– الزّريبي (الهادي وناس)، **الطّاهر لسود. القيّادة العامّة لجيش تحرير شمال إفريقيا، ط1، مطبعة التسفير الفني**، صفاقس، 2008.

– الزليطني (محمد حفظي)، **الزّعيم علي الزليطني. سيرة ونضال. المناضل الذي كافح من أجل الاستقلال فلمّا جاء الاستقلال وجد نفسه في غياهب السّجن**، تحقيق: فوزية محمد حفظي الزليطني، منشورات MIP، تونس، (د .ت).

– ساطع الحصري (أبو خلدون)، **آراء وأحاديث في الوطنية والقوميّة**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 1985.

– سطورا (بن يامين)، **مصالي الحاج**، تر: صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 1999.

– السروجي (محمد محمود)، **العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال**، مطبعة المصري، القاهرة، (د.ت).

– سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

– (ـــــــــــــــ)، **الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945)**، ج3.، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

–السّوفي (عمّار)، **بني خدّاش وجيرانها عبر الحركات النّضالية (من الحركة التمرّدية إلى المقاومة اليوسفية)**، ط1، مطبعة الرّشيد– الياسمينة، تونس، 2001.

– (ـــــــــــــ)، **عواصف الاستقلال. رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي. جذوره وتداعيّاته. من ثامر إلى الشرايطي**، مطبعة الرّشيد–الياسمينة، تونس، 2006.

– الشابي (محمد منصف)، **صالح بن يوسف. حياة كفاح**، ط2، دار نقوش عربية، تونس، (د . ت).

– شترة (خير الدّين)، **إسهامات النّخبة الجزائرية في الحياة السيّاسية والفكرية التونسية (1900 – 1939)**، دار البصائر، الجزائر، 2008.

– (ـــــــــــــ)، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900–1956)**، ج1، دار البصائر للنّشر والتّوزيع ، الجزائر، 2009.

– الشّريف (محمد الهادي)، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التّاريخ إلى الاستقلال**، ط3، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنّشر، تونس، 1993.

– ضيف الله (محمد)، **المحاكمات السيّاسية في تونس في عهد بورقيبة (1956–1987)**.**ضمن القضاء والتشريع في تونس البورقيبية والبلاد العربية**، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2004.

– الطويلي (أحمد)، **تراجم تونسية**، المطبعة العصرية، تونس، 2009.

– العايب (معمّر)، **مؤتمر طنجة المغاربي (دراسة تحليلية تقييميه)**، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

– عبد الله (الطّاهر)، **الحركة الوطنية التونسية. رؤية شعبية قومية جديدة**، ط2، دار المعارف للطبّاعة والنّشر، تونس، (دون تاريخ).

– عبّاس (محمد)، **روّاد الوطنية .شهادة 28 شخصية وطنية**، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2005.

– عزّيز (عبد الكريم)، **نضال شعب أبيّ. تونس (1881–1956)**، مركز النّشر الجامعي، تونس، 2005.

– عفلق (ميشال)، **في سبيل البعث. الكتابات السيّاسية الكاملة**، ج1، دار صادر، (د.م)، 1960.

– عليّة الصغير (عميرة)، **المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات. انتفاضة المدن– الفلاقة– اليوسفية**، مطبعة التّسفير الفني، صفاقس، 2004.

– (ـــــــــــــ)، **في التّحرر الاجتماعي والوطني. فصول في تاريخ تونس المعاصر**، ط1، المغاربية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، 2010.

- (ـــــــــــــ)، **اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي**، ط2، المغاربية للطّباعة والنّشر والإشهار، تونس، 2011.
- عليّة الصغير (عميرة) وعدنان (المنصر)، **المقاومة المسلّحة في تونس (1939-1956)**، ج2، سلسلة نصوص ووثائق في تاريخ تونس المعاصر، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، منوبة، 2005.
- عليّة الصغير (عميرة) آخرون، **المحاكمات السيّاسيّة في تونس (1956- 2011)**، ج1، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2014.
- العمامرة (سعد بن البشير)، **شهداء من بلادي الجزائر**، مطبعة مزوار، الجزائر، 2006.
- عوادي (عبد الحميد)، **القاعدة الشرقية**، دار الهدى، الجزائر، 1993.
- قدّاش (محفوظ)، **وتحرّرت الجزائر**، دار الأمة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011.
- القصّاب (أحمد)، **تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956)**، ط1، تعريب حمّادي السّاحلي، الشركة التونسية للتّوزيع، تونس، 1986.
- كريم (عبد المجيد) وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)**، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2008.
- لمجد (ناصر)، **أحاديث مع أحمد علي مهساس**، ط1، دار الخليل القاسمي للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013.
- اللّواتي حمّادي، **أبناء جربة في الحركة الوطنية (1881-1967)**، الشركة التونسية لفنون الرّسم، تونس، 2006.
- اللّولب (حبيب حسين)، **التونسيون والثورة الجزائرية**، ج2، ط1، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009.
- المحجوبي (علي)، **العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلّف فاستعمار فمقاومة)**، ط1 ، دار محمد علي للنّشر، تونس، 2009.
- محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- المديني (توفيق)، **المعارضة التونسية. نشأتها وتطوّرها. دراسة**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.

– مصباحي (حسونة)، **رحلة في زمن بورقيبة**، ط1، دار آفاق– برسبكتيف للنشر والتوزيع، تونس، 2011.

– مقلاتي (عبد الله)، **دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية**، ج1، ط1، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009.

– (ـــــــــــ)، **العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبّان الثورة الجزائرية**، ج1، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2009.

– منصور (أحمد)، **الرئيس أحمد بن بلّة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر**، ط1، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2007.

– الميلي (محمد)، **مواقف جزائرية**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

– (ـــــــــــ)، **المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب**، ط2، دار الكلمة للنّشر، بيروت، 1983.

– نزّار (المختار)، **وحدة المغرب العربي. الفكرة والتّطبيق (1918– 1958)**، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011.

– الهلالي (عبد الحميد)، **جندوبة (1881 – 1956). علاقة الحركة الوطنية بالأرياف**، تقديم الأستاذ علي المحجوبي، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس ، 2009.

– هنري (كلود) وآخرون، **الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي**، تر: محمد عيتاني، منشورات دار المعارف، بيروت، (د.ت).

– مؤلّف مجهول، **مؤتمر صفاقس. المؤتمر الخامس للحزب الحر الدستوري**، وزارة الشؤون الثّقافية والأخبار، تونس، 1971.

2– الموسوعات:

– الزيدي (مفيد)، **موسوعة التّاريخ العربي الحديث والمعاصر**، ط1، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2004.

– **الموسوعة العسكرية**، ج2، ط3، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، 1990.

– **الموسوعة العسكرية**، ج3، ط2، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، 1993.

– بن مكرم (بن المنظور)، **لسان العرب**، ج1، دار صادر، بيروت، 2003، ص 362.

- **المنجد في اللّغة والإعلام**، ط 20، دار المشرق، بيروت، 1960.

ثالثا: الدوريات والمجلات:

1- الجرائد:

- "**من بوادر الوحدة المغاربية**"، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد15، 01 فيفري 1952.
- "**جبهة مغربية (مغاربية)**"، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 16، 15 فيفري 1952.
- "**ميثاق الجبهة المغربية**"، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 19، 28 مارس 1952.
- "**خطاب منداس فرانس بقرطاج**"، جريدة الصّباح، العدد 727، 01 أوت 1954.
- "**تصريح لممثّل جبهة التّحرير الجزائرية بالقاهرة**"، جريدة الصّباح، العدد 1269، 08 فيفري 1955.
- "**نصّ الاتّفاقية العامة بين تونس وفرنسا**"، جريدة الصّباح، العدد 1277، 12 جوان 1955.
- "**مقتطفات من خطاب صالح بن يوسف بجامع الزيتونة**"، جريدة الصّباح، العدد 1161، تونس، 08 أكتوبر 1955.
- "**خطاب معالي الزّعيم الكبير الأستاذ صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحرّ الدستوري التونسي بعد قرار الرفت**"، جريدة الصّباح، العدد 1167، تونس، 14 أكتوبر 1955.
- "**الأمين العام للحزب الدستوري يعقد تجمّعا بملعب تونس العاصمة**"، جريدة الصّباح، العدد 1204، 24 نوفمبر 1955.
- "**كلمة حسين التريكي لأهالي ورغمّة بمدنين**"، جريدة الصّباح، العدد 1204، 24 نوفمبر 1955.
- "**بيان المنجي سليم**"، جريدة الصّباح، العدد 1259، 9 جانفي 1956.
- "**بيان القيّادة العامّة لجيش التّحرير**"، جريدة الصّباح، العدد 1273، 12 فيفري 1956، ص 2 .
- "**بيان عن القيّادة العامة لجيش التّحرير. بني خدّاش**"، جريدة الصّباح، العدد 1274، 13 فيفري 1956.
- "**بروتكول الاستقلال التونسي الفرنسي**"، جريدة الصباح، العدد 1328، 21 مارس 1956.
- "**تصريح الوزير منداس فرانس**"، جريدة الصّباح، العدد 15332، 19 أفريل 1956.

- **"المجلس التأسيسي يدرس أمس مسألتي: سلطات المجلس وتكوين المحكمة العليا"**، جريدة الصّباح، العدد 1346، 26 أفريل 1956.
- **"المناداة بحياة صالح بن يوسف بالمغرب"**، جريدة الزهرة، العدد 15184، 20 نوفمبر 1955.
- **"الزّعيم الكبير يعقد اجتماعا عظيما بالجنوب التونسي والشعب التونسي يهتف بحياة العروبة"**، جريدة الزهرة، العدد 15184، 20 نوفمبر 1955.
- **"خطاب صالح بن يوسف في منفلوري يوم 17 أكتوبر 1955"**، جريدة الزهرة، العدد 15149، 18 أكتوبر 1955.
- **"زرمدين تنظمّ للأمانة العامة"**، جريدة الزهرة، العدد 15211، 17 ديسمبر 1955.
- **"برقية من أهالي السّاحل إلى صالح بن يوسف"**، جريدة الزهرة، العدد 15219، 25 ديسمبر 1955.
- **"بيان من القائد الطّاهر لسود: تأسيس جيش التّحرير الوطني"**، جريدة الزّهرة، العدد 15269، 13 فيفري 1956.
- **"بيان الأستاذ يوسف الرويسي"**، جريدة الزهرة، العدد 15351 ، 08 ماي 1956.
- **"خطاب بن يوسف بالعاصمة"**، جريدة البلاغ، العدد 141، 17 أكتوبر 1955.
- **"برقيّة تنويه بمساعي بن يوسف"**، جريدة البلاغ، العدد 109، 19 أكتوبر 1955.
- **"رسالة مدير مكتب المغرب العربي بدمشق المناضل يوسف الرويسي لبن يوسف"**، جريدة البلاغ، العدد 108، 19 أكتوبر 1955.
- **"برقية تضامن وتأييد الحركة اليوسفية من جبهة التحرير الوطني الجزائرية"**، جريدة البلاغ، العدد 123، 04 نوفمبر 1955.
- **"تصريح المناضل علي البلهوان"**، جريدة البلاغ، العدد 123، 04 نوفمبر 1955.
- **"اللائحة العامّة للمجلس القومي للاتحاد العام التونسي للشّغل المنعقد في 06 نوفمبر 1955"**، جريدة العمل، العدد 37، 12 نوفمبر 1955.
- **"خطاب بورقيبة في منزل تميم يوم 30 نوفمبر 1955"**، جريدة العمل، العدد 986، 01 ديسمبر 1955.
- **"تصريح المنجي سليم بالهمامة"**، جريدة العمل، العدد 89، 22 جانفي 1956.

– **"بيان اللّجنة التّنفيذية للحزب الدستوري"**، جريدة الاستقلال، العدد 1321، 30 مارس 1956.

– عبّاس (محمد)، **حديث الاثنين مع المناضل حامد روابحية**، الحلقة الأول، جريدة الشعب، العدد 12، الجزائر، 12 جانفي 1987.

2– المجلات:

– بن عبود (محمد) و كاني (جاك)، **مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 وبداية نشاط المغرب العربي في القاهرة**، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 25– 26، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1982.

– بوزايد (خضراء)، **لقاء مع المجاهد عبد القادر العمّودي عضو مجموعة 22**، مجلّة المصادر، العدد 04، القرص المضغوط الصّادر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010.

– بوشلاغم (الزّبير)، **حوار مع محمد عصّامي**، مجلّة أوّل نوفمبر، العدد 146، المنظّمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1994.

– بوعزيز يحي، **أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشّيخ بوزيان عام 1849**، مجلّة الثقافة، العدد 32، وزارة الشؤون الثّقافية والأخبار، الجزائر، 1976.

– (ـــــــ)، **الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء السّاقية**، مجلّة الهداية، العدد 158، وزارة الشؤون الثّقافية والأخبار، تونس، 2003.

– جبلي (الطّاهر)، **إرهاصات الثورة الجزائرية: مسألة التّسليح في اهتمامات قادة المنظّمة الخاصّة (1947–1950)**، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 143– 144، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 2011.

– حمّادي (عبد الله)، **التوجّه المغاربي في ذاكرة الحركة الوطنية الجزائرية. حزب الشعب الجزائري.جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا. البدايات.التطوّر. التأزّم**، مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاص، إصدارات المندوبية السّامية والمجلس الوطني المؤقّت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، مطبعة الصّومعة، الرّباط، 2002.

– رخيلة (عامر)، **الثورة الجزائرية والمغرب العربي**، مجلّة المصادر، العدد4 ، القرص المضغوط الصّادر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010.

- الرّشيد (إدريس)، **خلاصة نضال في سبيل الوحدة المغاربية**، مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاص، إصدارات المندوبية السّامية والمجلس الوطني المؤقّت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، مطبعة الصّومعة، الرّباط، 2002.

- عبيد (خالد)، **الخلاف البورقيبي الثامري**، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 97. 98، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، أوت 2000.

- العلاني (عليّة)، **اليوسفية حقائق جديدة عن الأزمة البورقيبية**، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 93-94، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، ماي 1999.

- المدني (أحمد توفيق)، **"الأخوّة الجزائرية التونسية أواخر أيّام الأمير عبد القادر"**، مجلّة الثقافة، عدد خاصّ 75، وزارة الثقافة والاعلام والاتصال، الجزائر، جوان 1983.

- مقلاتي (عبد الله)، **الثورة الجزائرية وعلاقاتها بالمقاومة التونسية (1954-1956)**، مجلّة المصادر، العدد 19، القرص المضغوط الصّادر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010.

- المنجي (واردة)، **جذور الحركة اليوسفية**، المجلّة التّاريخية المغاربيّة، العدد 71. 72، منشورات (م.ت.ب.ع.م)، تونس، 1993.

- المنصر (عدنان)، **اليوسفية من خلال المصادر الشفوية** . دراسة في الخطاب، مجلّة روافد، العدد 02، (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 1996 .

- موسم (عبد الحفيظ)، **الدّعم المادي والعسكري التونسي للثورة الجزائرية (1954-1962)**، مجلّة الذّاكرة الوطنية، العدد 24، المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، الرباط، 2015.

- (ـــــــــــ)، **الإمداد عبر تونس خلال الثورة الجزائرية (1954-1962)**، مجلّة الحكمة للدّراسات التّاريخية، العدد29، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015.

- موسم (عبد الحفيظ) وتلّي (رفيق)، **التّحضير للثورة الجزائرية من خلال الاستعدادات الدّاخلية والاتّصال بالحركتين الوطنيّتين:(التونسية والجزائرية)**، دورية كان التّاريخية، العدد 27، دار ناشري للنّشر الإلكتروني، الكويت، 2015.

3- الندوات والملتقيات:

- البكّوش (سمير)، **نظرة استقرائية للواقع السيّاسي والأمني على التّخوم التونسية الجزائرية (1954-1958).الكاف نموذجًا**، أعمال ندوة قسم التّاريخ خلال يومي 15، 16 أفريل 2005 حول: "الشّمال الغربي ذاكرة جهة"، دار نهى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، صفاقس، 2009.

- تابليت (علي)، **وحدة المغرب العربي من خلال وثائق عربية وإنجليزية**، أعمال النّدوة المغاربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، مداخلة منشورة في مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاص، المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرّباط، 2002.

- التميّمي (عبد الجليل)، **القناعات والثوابت المغاربية في مسيرة المناضل الكبير يوسف الرويسي**، أعمال النّدوة المغاربية حول وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، مداخلة منشورة في مجلّة الذّاكرة الوطنية، عدد خاص، المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرّباط، 2002.

- التّواتي (مباركة حامد)، **التّقارب والتّباعد بين الوطنيين التونسيين والوطنيين المصريين في تصوّر الهوية الوطنية المعاصرة (1945- 1956)**، أعمال النّدوة الدولية الثالثة عشر حول استقلال تونس ومسيرة التحرّر من الاستعمار المنعقدة بتونس أيّام 4 .5 .6 ماي 2006، منشورات (م.ع.ت.ح.و.ت)، تونس، 2010.

- عليّة الصغير (عميرة)، **جيش التّحرير الوطني بتونس**، الملتقى الدوّلي حول نشأة وتطوّر جيش التّحرير الوطني (1954 - 1962)، فندق الأوراسي أيّام : 02 ، 03 ، 04 جويلية 2005. (مداخلة أمدّني بها الأستاذ عميرة عليّة الصغير).

- (ـــــــــــــــ)، **جيش التّحرير الوطني التونسي: حقيقة ومصيره**، أعمال ملتقى مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 12 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسّسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004.

- (ـــــــــــــــ)، الطيّب الزلاق. مسار مقاوم، أعمال ندوة قسم التّاريخ تحت عنوان "الشّمال الغربي ذاكرة جهة (15 .16 أفريل 2005)، قسم التّاريخ، جامعة منوبة، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، 2009.

- (ـــــــــــ)، **مناقشات حول زمن بورقيبة**، أعمال ندوة بمؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في يوم 19 مارس 2007، (مداخلة أفادني بها الباحث عميرة عليّة الصغير).

رابعا: الأطاريح والرسائل الجامعية:

1- الأطاريح والدّراسات المعمّقة في البحث:

- بلقاسم (محمد)، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1954-1975)**، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009.

- جبلي (الطّاهر)، **شبكات الدّعم اللّوجيستيكي للثورة التّحريرية (1954-1962)**، أطروحة دكتوراه، قسم التّاريخ، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010.

- الخميري (محسن)، **الحركة اليوسفية. مجالها وحدودها (1955 - 1961)**، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، قسم التّاريخ، جامعة منوبة، تونس، 2003 - 2004.

- الزواري (محمد)، **الحركة اليوسفية بجهة صفاقس (1955- 1956)**، شهادة الدّراسات المكمّلة للبحث، كلّية 09 أفريل، تونس، 2000 – 2003.

- السويّح (علي)، **الوطنيون التونسيون ومصر (1952-1956)**، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1996.

- قمعون (عماد)، **الصّحافة التونسية (1955-1956)**، شهادة الدّراسات المعمّقة في البحث، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، منوبة، 1988.

- المحضي (منيرة)، **المسألة التونسية من 31 جويلية 1954 إلى 20 مارس 1956**، شهادة الكفاءة في البحث، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1988.

- المطوي (المختار)، **المسألة التونسية من خلال جريدة الاستقلال (1955-1960)**، شهادة الكفاءة في البحث، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، 1986.

- معزّة (عز الدين)، **فرحات عبّاس والحبيب بورقيبة. دراسة فكرية وتاريخية مقارنة (1899-2000)**، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، الجزائر، 2009- 2010

- ناصري (محمد مختار)، **الحركة الوطنية التونسية بين البورقيبية واليوسفية**، شهادة الكفاءة في البحث، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة تونس، تونس، 1991.

- (ـــــــــــــــ)، **المقاومة التونسية المسلّحة وإشكاليّاتها (1952-1956)**، أطروحة دكتوراه، قسم التّاريخ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس الأولى، تونس، 2000.

2- رسائل الماجستير:

- بلقاسم (محمد)، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954)**، رسالة ماجستير، معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994.

- شطيبي (محمد)، **العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية (1954-1962)**، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ، جامعة قسنطينة، 2008-2009.

- طرشون (نادية)، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشّام (1847-1911)**، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ، جامعة دمشق، 1984- 1985.

- فيلالي (السّايح)، **العلاقات السيّاسية الجزائرية التونسية (1910-1954)**، رسالة ماجستير، معهد التّاريخ، جامعة قسنطينة، 1997-1998.

- مناصرية (يوسف)، **الحزب الحرّ الدستوري التونسي**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1985-1986.

- ميموني (رضا)، **دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثّانية إلى غاية الاستقلال**، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التّاريخ، جامعة باتنة، 2011-2012.

- ودّوع (محمد)، **ليبيا والثورة الجزائرية (1954-1962)**، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2000-2001.

- يامن (أحمد حمدي)، **محاولة في تحديد الخسائر البشرية خلال الحملة العسكرية الفرنسية على البلاد التونسية (1881- 1884)**، رسالة ماجستير، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 2006-2007.

باللغة الفرنسية:

أولا: المصادر:

1- الوثائق الأرشيفية:

*** وثائق الأرشيف الوطني التونسي:**

- *Série : mouvement national, carton 0068, dossier : 05, dates extrêmes : 1956, objet : notes et rapports relatifs aux tournées de Bourguiba dans le sud tunisien sur propagande anti yousséfiste et les mesures prises par le premier gouvernement tunisien en vue de préserver l'ordre public après l'indépendance,12 juin 1956.*

*** أرشيف المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر:**

- *I.S.H.M.T, Bobine S386, carton 2H151, D n° :02, Physionomie de la presse arabe et tunisienne, Al Balagh du 03 Décembre 1955.*
- *I.S.H.M.N, Bobine S387, carton 2H152, Bureau n°01 physionomie de la presse arabe tunisienne, Assabah du 20 janvier 1956.*
- *I.S.H.M.N, bobine S387, carton 2H152, D n°1 :(Physionomie de la presse arabe et Tunisienne, Albalagh Aljadid du 28 janvier 1956).*
- *I.S.H.M.N, bobine S377, carton 2H138, D n° :2, (réorganisation des troupes française en Tunisie), 15 février 1956.*
- *I.S.H.M.N, Bobine S506, 2H313, Notes de renseignement, le 16 Juin 1956.*
- *I.S.H.M.N, Bobine S506, 2H313, Commandement supérieur des troupes de Tunisie division Sud, Etat Major 2 Eme Bureau n° 7, Le 22 Juin 1956.*
- *I.S.H.M.N, bobine S506, carton 2H313, D n° :01, (Note de renseignement du 30 juin 1956).*
- *I.S.H.M.N, bobine s505, carton 2H312, D n° :2, (R. du Dec1955-25 avril 1957).*

*** أرشيف المصلحة التّاريخية لجيش البر الفرنسي: (أرشيف شخصي أفادني به الباحث التونسي عبد المجيد الجمل).**

- *S.H.A.T, série 2H ,carton 2H 310, Bobine S 503.*
- *S.A.H.T, Série 2H, carton 2H 311, Bobine S 505.*
- *S.A.H.T, Série 2H, carton 2H312, Bobine S 505.*
- *S.H.A.T, Série 2H, carton 2H312, Bobine S 506.*
- *S.H.A.T, Série 2H, carton 2H312, Bobine S 507.*
- *S.H.A.T, Série 2H, carton 2H318, Bobine S 523.*

- *S.H.A.T, Série 2H, carton 2H319, Bobine S 503.*

2- الكتب:

- *Achour (Habib),* ***Ma vie politique et syndicale: Enthousiasme et déception (1944-1981),*** *Tome1, Alif Editions de la méditerranée, Tunis, 1989.*
- *Azzouz (Azzedine),* ***L'histoire ne pardonne pas : (Tunisie 1938-1969)*** *l'harmattan, Editions Dar Ashraf, Tunis, 1988.*
- *Ben Khadda (Benyoucef),* ***Les origines du 1 novembre 1954****, Editons Dahleb, Alger, 1989.*
- *Ben Slimane (Slimane),* ***Souvenirs politiques****, Cérès production, Tunis, 1989.*
- *Bourguiba (Habib),* ***discours****, publication du secrétariat d'Etat à l'information, Tunisie, 1974.*
- *(_____) ,* ***Ma vie, mes idées, mon combat****, Publications du Secrétariat d'Etat à L'information, Tunis, 1977.*
- *Lacouture (Jean),* ***Cinq hommes et la France****, Editions du Seuil, Paris, 1961.*
- *Ladgham (Bahi),* ***Correspondances 1952-1955****, Cérès production, Tunis, 1990.*
- *Lebjaoui (Mohammed),* ***Vérités sur la révolution algérienne,*** *Edition Gallimard, S.L, 1970.*
- *Nezzar (Khaled),* ***Mémoires****, Préface par Ali Haroun, éditions Chihab, Alger, 1999.*

ثانيا: المراجع:

1- الكتب:

- *Abdel-Malek (Anouar),* ***La pensée politique arabe contemporaine*** *(collection politique), Editions du seuil, paris, 1970 .*
- *Abis (Sébastien),* ***L'affaire de Bizerte****, Sud Editions, Tunis, 2004.*
- *Aron (Robert) et autres,* ***Les origines de la guerre d'Algérie****, Editions Fayard, Paris, 1992.*
- *Bardin (Pierre),* ***Algériens et Tunisiens dans l'empire Ottomane de 1848 à 1914****, Editions du CNRS, Aix -en- Provence, Paris, 1979.*
- *Belhoucine (Mabrouk),* ***Le courrier Alger le Caire 1954-1962 et le congrès de la Soummam dans la révolution****, Editions casbah, Alger, 2000.*
- *Ben Salem (Mohammed),* ***L'antichambre de l'indépendance (1947 - 1957),*** *Cérès productions, Tunis, 1988.*
- *Bessis (Sophie) Et Belhassen (Souhayer),* ***Bourguiba : A la conquête d'un destin (1901-1957),*** *Tome1, Jeune Afrique, Paris, 1988.*

- *Cohen Hadria (Elie),* ***du protectorat français à l'indépendance tunisienne, Souvenirs d'un témoin socialiste****, Nice, 1976.*
- *De La Tour (Boyer),* ***Vérités sur l'Afrique du Nord****, Plon , Paris, 1956.*
- *El Mechat (Samya), Tunisie,* ***les chemins vers l'indépendance (1954-1956)****, l'harmattan, paris, 1992.*
- *Guenaneche (Mohammed),* ***Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939)****, Traduit de l'arabe par Sidi Ahmed Bouali, ENAL, Alger, 1990.*
- *Jacques Slimon (V),* ***Novembre 1954. La révolution commence en Algérie****, Ed L'harmattan, Paris , 2044.*
- *Jean (Rous),* ***Habib Bourguiba****, Editions Martina sart, Paris, 1984.*
- *Julien (Charles André)* ***, Et la Tunisie devient indépendante (1951 – 1957)*** *, Editions J.A/S.T.D , (s . l), 1985 .*
- *(————————),* ***l'Afrique du Nord en marche****, nationalisme musulmans et souveraineté française, Julliard, paris, 1972.*
- *Khlifi (Omar),* ***Bizerte la guerre de Bourguiba****, Editions M.C , Tunis, 2006.*
- *Louis (Rinn) ,* ***Histoire de l'insurrection en Algérie de 1871****, Alger, (s. d).*
- *Mahdjoubi (Ali),* ***Les origines du mouvement national en Tunisie (1904-1934)****, Publication de L'université de Tunis, Tunis, 1982.*
- *Mudimbé (V-Y) et autre,* ***L' Afrique et son environnement européen et asiatique****, Ed L'harmattan, Paris, 2008.*
- *Mzabi (Hassouna),* ***La Tunisie du Sud- Est, géographie d'une région fragile marginale et dépendante****, publications de l'université de Tunis 1 , Tunis, 1993.*
- *Pallier (Pierre) ,* ***Terre d'affrontements . Le Sud Tunisien la ligne de Marth et son étrange destin*** *, Nouvelles Editions latines , Paris , 1985.*
- *Philippe (Tetrat),* ***Histoire politique et culturelle de la France observateur,(1950-1957),*** *L'harmattan, Tome1 Paris, (S.D).*
- *Sayah (Mohammed),* ***Le nouvel Etat aux prises avec Le complot Yousséfiste (1956-1958),*** *Editions Dar El Amal, Tome3, Tunis, 1983 .*

2- الدوريات والمجلات:

* الجرائد:

- *Le Petit Matin, 21 avril 1955.*
- *Le Petit Matin, 05 Novembre 1955.*
- *Le Petit matin, 29 janvier 1956.*
- *Le Petit matin, 19 février 1956.*
- *Le Petit matin, 14 Mars 1956.*
- *L'action du 16 Janvier 1956.*

* المقالات :

- *Allagui (Abdelkrim),* ***Une tentative de riposte au ministère Chenik à travers le journal l'indépendance,*** *in actes de la Tunisie de 1950-1951, publication de l'I-S-H-M-N,1993.*
- *Aleya Sghair (Amira),* ***Les Tunisiens et la révolution algérienne 1954-1958, in acte Du 1 Congrès du Forum d'histoire contemporaine****, sur méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb, Publication de La Fondation Temimi Zaghouan, Septembre, 1998.*
- *Ayachi (Mokhtar),* ***Questions culturelles dans les conventions Franco- Tunisiennes de 1955,*** *in Actes sur les relations Tunisio- Françaises au miroir des Elites, XIX eme-XX eme Siècle, Publication de La Faculté de Lettre, Manouba, Tunis, 1997.*
- *Chaibi (Mohammed Lotfi) ,* ***Préliminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la région l'Aradh (1952 – 1954)*** *, in Rawafid , n 2 , publication de L'I.S.H.M.N , Tunis , 1996.*
- *De Cock (Laurence),* ***La France et Bourguiba : 1954-1956,*** *in actes du VIIIe colloque sur : histoire orale et relations Tunisio- Française de 1945 a 1962, la parole aux témoins, publications de (l'I.S.H.M.N), Tunis, 1988.*
- *Rachid Driss,* ***La politique étrangère de la Tunisie constante et mutation,*** *in revue d'études internationales (dirassat duwaliya), C.J.B pour les études en science humaines et sociales, n° 31, Tunisie, février, 1989.*
- *Soumagne (Charles) et autres,* ***journal et écrit : Tunisie 1947-1957.*** *éditeur : Nice : C.M.M.C, Collection : cahiers de la méditerranée éditions : publication gouvernementale française, 1979 .*

- *Sraieb (Noureddine)*, ***Politiques culturelles nationales et unité maghrébine***, *In Annuaire d'Afrique du Nord 1970, Paris, 1971.*

3- الأطاريح والمذكرات الجامعية:

*** الأطاريح:**

- *El Mechat (Samya)*, ***La ligue des Etat arabes et la question tunisienne***, *Thèse de Doctorat, Université de Nice, Paris, Mai 1990.*

*** المذكرات:**

- *Oualdi M'hamed*, ***L'orage des indépendances. Salah Ben Youssef et les yousséfistes en 1955-1956***, *mémoire d'histoire, Université de paris I , Paris, 1998-1999.*

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

المقدمة.....أ

الفصل التمهيدي:

العلاقات السيّاسية بين الجزائر وتونس قبيل الثورة الجزائرية (نظرة عامّة).

1- المقوّمات الأساسيّة للتّواصل بين القطرين الجزائري والتونسي..... 14

2- العلاقات الجزائرية التونسية خلال مرحلتي الاحتلال والمقاومة..... 17

3- العلاقات الجزائرية التونسية أثناء مرحلة النّضال السيّاسي..... 22

4- العلاقات الجزائرية التونسية من خلال النّضال المغاربي المشترك..... 31

الفـــــصل الأوّل:

الخلفيّات التّاريخية لظهور الحركة اليوسفية

1- الهجرة إلى القاهرة وبداية الخلاف بين الدستوريين التونسيين..... 39

1-1- الخلاف البورقيبي الثامري..... 39

1-2- الخلاف البورقيبي اليوسفي..... 41

2- تباين استراتيجيّات العمل النّضالي وانقسام الدستوريين التونسيين..... 47

2-1- الخلاف بين الدستوريين حول أسلوب النّضال..... 47

2-2- تطوّر الخلاف وانقسام الدستوريين التونسيين..... 48

3- الخلاف حول اتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي وميلاد الحركة اليوسفية..... 51

3-1- المفاوضات الفرنسية التونسية واتّفاقيات الاستقلال الدّاخلي..... 51

3-2- بروز الخلاف حول الاتّفاقيات وميلاد الحركة اليوسفية..... 58

الفصل الثـــــاني:

طبيعة الحركة اليوسفية وتطوّرها

1-ماهيّة الحركة اليوسفية..... 68

1-1- محاولة تحديد مفهوم الحركة اليوسفية..... 68

1-2- البعد القومي العربي للحركة اليوسفية..... 72

2- صالح بن يوسف والحركة اليوسفية..... 76

2-1- صالح بن يوسف. مسيرة مناضل..... 76

2-2- ارتباط اسم بن يوسف بالحركة اليوسفية..... 83

3- المجال الجغرافي للحركة اليوسفية..... 86

3-1- الشمال التونسي..... 86

3-2- الوسط التونسي..... 89

3-3- الجنوب التونسي..... 91

4- التّعبئة في صفوف الحركة اليوسفية..... 95

4-1- استراتيجية التّعبئة عند صالح بن يوسف..... 95

4-2- التيّارات التي وقفت وراء بن يوسف..... 99

الفـــــــصل الثالث:

علاقة الحركة اليوسفية بالثورة التحريرية الجزائرية.

1-اليوسفية والخيار العسكري..... 112

1-1- دوافع وأسباب جنوح الحركة اليوسفية نحو الخيار العسكري..... 112

1-2- خلفيّة البعد الثوري الوحدوي لدى صالح بن يوسف..... 115

2- اليوسفية والثورة الجزائرية..... 119

2-1- موقف الحركة اليوسفية من الثورة الجزائرية..... 119

2-2- جهود صالح بن يوسف لتوحيد الكفاح مع الثورة الجزائرية..... 123

3- علاقة جيش التّحرير الوطني التونسي بالثورة الجزائرية..... 128
3-1- جيش التّحرير الوطني التونسي، ظروف التّأسيس، المبادئ والأهداف..... 129
3-2- مظاهر التّنسيق بين جيش التّحرير الوطني التونسي وجيش التّحرير الوطني الجزائري..... 135
4- مظاهر دعم اليوسفيين للثورة الجزائرية..... 143
4-1- التحاق اليوسفيين ومشاركتهم في الثورة الجزائرية..... 144
4-2- اليوسفيون ومسألة تهريب الأسلحة إلى الجزائر..... 152

الفـــصل الرّابع:

استراتيجية التحالف البورقيبي الفرنسي في القضاء على اليوسفية وعزلها عن الثورة الجزائرية

1-العلاقة بين الأطراف المعادية للحركة اليوسفية..... 161
1-1- تحديد الأطراف المعادية للحركة اليوسفية..... 161
1-2- التّحالف المصلحي بين أعداء الحركة اليوسفية..... 165
2- استراتيجية الأطراف المتحالفة في القضاء على اليوسفيين وعزلهم عن الثورة الجزائرية..... 170
2-1- الاستراتيجية المعتمدة في القضاء على الحركة اليوسفية..... 170
2-2- الاستراتيجية المعتمدة في التصدّي للدّعم اليوسفي للثورة الجزائرية..... 182
3- قراءة في موضوع الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية..... 189
3-1- ثنائية النّجاح والفشل في نضال الحركة اليوسفية..... 189
3-2- قراءة في علاقة اليوسفيين بالثورة التحريرية الجزائرية..... 194

الخاتمة..... 202
الملاحق..... 207
ترجمة الأعلام..... 248
قائمة المصادر والمراجع..... 258
فهرس الموضوعات..... 283

الملخّص:

يعتبر موضوع "الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية"، من أهمّ المواضيع التي تعكس لنا جوانب مهمّة عن العلاقات الجزائرية التونسية خلال مرحلة الثورة الجزائرية. فالحركة اليوسفية التي ظهرت في تونس عقب التّوقيع على اتفاقيات الاستقلال الدّاخلي في 03 جوان 1955، أعلنت منذ بدايتها عن رفضها لمبدأ الحكم الذّاتي، حين رفعت شعار "الاستقلال التّام". والتقت بذلك في خندق واحد مع الثورة الجزائرية، التي كانت تسعى هي الأخرى إلى تحقيق الاستقلال التّام. وعلى هذا الأساس برز التّنسيق واضحا بين أنصار اليوسفية وقادة الثورة الجزائرية لأجل توحيد الكفاح المسلّح بينهما، كما تجسّدت مظاهر التّنسيق بينهما ميدانيّا من خلال التحاق اليوسفيين بالثورة الجزائرية ومشاركتهم في نقل وتهريب الأسلحة إلى الجزائر. الأمر الذي دفع بورقيبة وجهاز الدولة التونسي إلى التّحالف مع فرنسا للقضاء على الحركة اليوسفية وعزلها عن الثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:

الحركة اليوسفية، الثورة الجزائرية، الديوان السيّاسي، الاستعمار الفرنسي، صالح بن يوسف، بورقيبة، الاستقلال الدّاخلي، الاستقلال التام، الكفاح المسلح

****

Résumé :

«Le mouvement Yousséfiste et la guerre de la libération Algérienne » sont parmi les sujets les plus importants qui nous reflètent des aspects importants des relations tuniso-algériennes pendant la Révolution Algérienne. Le mouvement Yousséfiste qui est apparu en Tunisie après la signature des conventions de l'indépendance interne le 03 Juin 1955, a annoncé que, depuis sa création son rejet du principe de la décision d'autonomie, tandis qu'il leva le slogan de «l'indépendance Totale". Il se réunit dans la même tranchée avec la révolution algérienne, alors que celle-ci cherche à atteindre l'indépendance totale. Sur cette base, une coordination est expressément apparue entre les partisans de Yousséfiste et les dirigeants de la révolution algérienne pour l'unification de la lutte armée entre les deux, que les aspects de coordination sont concrétisés entre eux dans le domaine grâce à l'adhésion des youséfistes à la révolution algérienne et leur participation dans la contrebande d'armes et son transfert vers l'Algérie. Ce qui a incité Bourguiba et l'appareil d'État tunisien à une alliance avec la France pour éliminer le mouvement Yousséfiste et le faire éloigner de la Révolution algérienne.

Mots clés:

Mouvement de Yousséfiste, la révolution algérienne, le cabinet politique, le colonialisme français, Salah Ben Youssef, Bourguiba, l'indépendance interne, l'indépendance totale, la lutte armée.

****

Summary :

"The Youssefiste movement" and the war of the Algerian liberation "are among the most important topics that we reflect important aspects of Tunisian-Algerian relationships during the phase of the Algerian Revolution. The Youssefiste movement that emerged in Tunisia after the signing of conventions of the internal independence June 3, 1955, announced that since its establishment its rejection of the principle of decision autonomy, while he raised the slogan of "the Total independence. "It meets in the same trench with the Algerian revolution, while it seeks to achieve total independence. On this basis, coordination is expressly emerged between supporters of Youssefiste and leaders of the Algerian revolution for the unification of the armed struggle between the two, as the aspects coordination materialized them in the field through membership of youssefistes the Algerian revolution and involvement in the smuggling of arms and its transfer to the Algeria. What prompted Bourguiba and the Tunisian state apparatus of an alliance with France to eliminate movement and to isolate Youssefiste of the Algerian Revolution.

Keywords:

Youssefiste movement, the Algerian revolution, the political office, French colonialism, Salah Ben Youssef, Bourguiba, the internal independence, full independence, the armed struggle